

مكتبة دار الفکر
بیتنا
الطبعة الأولى: ۱۳۸۵ هـ
الطبعة الثانية: ۱۳۸۶ هـ

تاريخ

فخري الخلفاء الراشدين

الأصل الحسن بن علي

للاستاذ

حسن كامل البطاوي



جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
بجته التعريف بالإسلام

خليفة الراشدين
الأمام الحسين عليه السلام

ملاستان
حسن كامل الملهطاي

القاهرة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

بِسْمِ اِسْمِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(قُلْ لَا اَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِلَّا الْمُوَدَّةَ فِي الْقُرْبٰی ، وَمَنْ يَّقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا اِنْ اَللّٰهُ غَفُوْرٌ شَكُوْرٌ) .

قرآن کریم

« اِنَّ ابْنِيْ هٰذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اَللّٰهُ اَنْ يَّصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئْتَيْنِ عَظِيْمَتَيْنِ
مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ » .

حدیث شریف رواہ البخاری

مقدمة

الى سيدى أمير المؤمنين أبى محمد الحسن السبط رضى الله عنه :
أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، وأصلى وأسلم على مولانا رسول
الله جدك المصطفى الذى سماك من ابتكاره حسنا ، ولم يكن ذلك الاسم
الجميل معروفا من قبل ، كما نسبك اليه بالنبوة ، وان كنت من صلب آبيك
الامام على ، ولقبك بالسيد ، فقلت بذلك كله شرفا لم ينله معك الا أخوك
الامام الحسين ، صلوات الله وسلامه على سيدى رسول الله وآله وصحبه
وأزواجه ، ورضوان الله على من اقتنى أثره الى يوم الدين وبعد .

فقد وصفك الواصفون ، فقالوا انك كنت أشبه الناس برسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ونشأت عفا كريما ، حليما ، عليما ، خطيبا ، فارسا ،
عابدا ، زاهدا ، راشد الرأي ، ولقد صورك للناس أخوك الامام الحسين
رضى الله عنه ، حين قال فى تأنيك مع حزنه عليك ، ووحشته بفراقك :

« رحمك الله أبا محمد ، ان كنت لناصرا للحق ، وتؤثر الله عندمداحض
الباطل ، فى مكان التقية بحسن الروية ، وتستشف جليل معانم الدنيا بعين
حاذرة ، وتقبض عليها بيد طاهرة ، وتردع ما يريد أعداؤك بأيسر المؤنة
عليك ، وأنت ابن سلالة النبوة ، ورضيع لبان الحكمة ، فالى روح وريحان
وجنة نعيم ، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه ، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن
الاسماء عليه » .

فأى شرف أحاط بك ياسيدى السبط ، فى محتدك ، وفى اسمك ، وفى
رسمك ، وفى خصالك ، وقديما قالوا :

ليس على الله بمستكر
أن يجمع العالم فى واحد

سيدي السبط الكريم :

كان من بركات أخيك الامام الحسين ، أن دفعني الى الكتابة عنك ،
فما كاد القراء يطلعون على كتابي « الامام الحسين بن علي » الذي نشره
المجلس الأعلى للثقون الاسلامية في ١٥ من شوال ١٣٨٥ (الموافق ٥
فبراير ١٩٦٦) ، حتى ألحوا علي في الكتابة عنك ، وها أنا ذا ألبى رغبتهم
سعيدا بك كما سعدت به ، فسلام الله عليكما وعلى سائر سادتي آل البيت
ورحمته وبركاته ، ولكما منى الاكبار والاعجاب ، ما أكبر الحق وانصف
أهله المنصفون .

سيدي السبط الكريم :

لقد وقفت على تاريخك العاطر ، فرأيت أن العناية الربانية قد هيأتك
لأن تكون اماما كاملا ، فوعيت في طفولتك الباكورة أحاديث عن جدك صلى
الله عليه وسلم ، أخذها عنك الرواة ، مع أنك لم تعاشره أكثر من سبعة
أعوام ونصف .

ورأيتك ملازما لأبيك ، تعرف من بحره الزاخر وترتوي ، ويمدك
بمكتون اللآلئ والدرر ، وهو الذي تربي من صباه في حجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عنه الكتاب والحكمة ، فامتلا علما ونورا ، وقال
في ثقة بالله : أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله ما من آية في كتاب
الله نزلت الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل .

ورأيتك معلما للناس وللناشئة من أهل بيتك ، مما عليك الله ، فكنت
منهم الامام ، وكانوا هم الائمة من بعدك .

ورأيتك عابدا ، ذا همة خارقة في عبادتك ، حتى كأنك قطعت الدنيا
الى الآخرة ، وعانيت الغيب ، فرأيت أن الأمر جد لا هزل فيه ، فشد ذلك
من عزمك ، حتى حججت بيت الله عشرين مرة ماشيا على قدميك وابلك
تقاد بين يديك ، وتقول تواضعا لله ، اني أستحي أن أذهب الى بيت الله
الحرام راكبا ، فما أعظم الهيبة ، وما أكبر الهمة .

ورأيتك وفيما بوالديك وأهلك وصحبك وصحب أبويك ، متأثرا بقول
جذك المصطفى صلى الله عليه وسلم : حسن العهد من الإيمان .

ورأيتك حسن العشرة لأزواجك على كثرتهم ، وهن ضرائر ، وهو
ما رغب الناس في مصاهرتك مع كثرة طلاقك ، حتى انه حين أمر أبوك
مناديه أن ينادى في الناس الا يزوجوك لأنك رجل مطلق ، كانوا يقولون
للمنادى : تزوجه فان شاء أمسك وان شاء سرح .

وقد انتقد كثرة زواجك بعض الجهال ، وما درى أنه لا تهمة مع
الحلال ، وما درى أن زمايتكم غير زماننا ، ومعاييركم غير معاييرنا ، فقد
كان تعدد الزواج في أيامكم مستحسنا ، لربط العصبيات ، والاكتثار من
الذراري المقاتلين ، ولئن كان التعدد مستحبا لغيركم فقد كان فيكم أهل
البيت أكثر استحبابا ، لأن سلالة النبي صلى الله عليه وسلم أمان ورحمة
لأهل الأرض ، كيف لا وهم الطاهرون المطهرون ، الذين يبشرون الهدى بين
الناس بالقول والعمل والحال .

ورأيتك تحل الطيبات ، وزينة الله التي أخرج لعباده ، لتظهر للناس
نعمة الله عليك وفضلك عنهم ، حتى لقد كنت تلبس برنس الخبز وسبنجونه
(بالطو) من جلود الثعالب ، وتركب الخيل المسومة .

ورأيتك مواسيا المنكوب في ساعة العسرة ، وان تباعد عنه أحبابه ،
فقد خرجت مع أبيك ومع أخيك ، تودع الصحابي الجليل ، أبا ذر رضى
الله عنه ، وهو خارج الى الربذة مما أثر في نفسه فخطبكم قائلا رحمكم
الله أهل بيت النبوة ، مالى بالمدينة سكن ولا شجن غيركم ، اذا رأيتمكم
ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورأيتك سخيا ، تعطى بسؤال وبغير سؤال ، وراك قبلى أبوك في
سخائك وجودك فوصفك قائلا : صاحب جفنة وخوان ، فتى من فتيان
قريش .

ورأيتك حلو الحديث ، عف اللسان ، لا تصدر عنك الكلمات النابية،
كما كنت تأخذ أمورك بالروية فلا يذهب عنك الرشد بغضب أو تسرع ، كل

ذلك فى هبة ووقار يحسب حسابها صاحب السلطان فى عرشه ، حتى لقد قال معاوية : والله ما رأيتك جالسا عندى الا خفت مقامه .

ورأيتك واصلا لسيداتنا أمهات المؤمنين ، رضى الله عنهن ، تزورهن كل يوم ، وتبرهن وتهدى اليهن ، فملات عليهن بعض الفراغ الكبير الذى خلفه جدك صلى الله عليه وسلم حين اختار الله له الرفيق الأعلـا .

ورأيتك حليما ، حلما شادا به خصومك ، حتى لقد قال مروان ، وهو ممن جرعكم الغيظ ، ان حلمه كان يوزن بالجبال .

ورأيتك جادا فى مواقف الجد ، فاذا رأيت ما يمس كرامتك ، زارت فى وجه خصمك زئير الأسود ، لا ترهبك سطوته ، ولا يصدك سلطانه .

ورأيتك تثبت عند رأيك ، اذا اطمانت اليه نفسك ، وهى نفس طاهرة ، فكنت تمتد به وتمتز ، وتقف حياله مدافعا ، حتى مع أهلك الذى تحبه ، وأخيك الذى تعزه .

ورأيتك خفت الله فى دماء المسلمين ، فلم ترد أن تلى أمر أمة محمد وتراق فى سبيل ذلك محجمة دم ، كما قلت حين تنازلت عن الخلافة لمعاوية ، على الرغم من معارضيك فى ذلك من أهلك وأنصارك المخلصين .

ورأيتك ملكت الدنيا وزهدت فيها ، فحققت ما قال به الصوفية الذين أخذوا عن أهلك المعرفة ، فقد قالوا : ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك ، بل الزهد ان تتركها من قلبك وهى فى يدك ، وهو ما كان منك بفضل الله .

ورأيتك تدرأ الحدود بالثبتهات ، حين شكوت الى أخيك الامام الحسين ، السم الذى سقيته غدرا ومت به فقال لك أخبرنى من سقاك ، فقلت لتقتله ، قال نعم ، فقلت ما أنا بمخبرك ، ان يكن صاحبى الذى أظن ، فالله أشد تقمة ، والا فما أحب أن يقتل بى برىء ، فكننت رجل السلام مرة أخرى فى موطن تظلى فيه الصدور حقدا وانتقاما من الأعداء ، فما أعظم الورع .

وليت الغيب انكشف لخصومكم ، فراوا ماجر عليهم ، وعلى ذرارهم ،
وعلى الأمة الاسلامية ، الطمع في ملك الدنيا ، فكانوا تركوا الحق لأهله ،
ولم يردوا على الله يوم القيامة بأوزارهم ، حين تأتونه أتم خفافا ، لكم
لا عليكم .

وقد يظن البعض ، انك خالفت سياسة أبيك ، فجنحت للسلم وحارب
أبوك ، ولو دقق الباحث ، لرأى أن أباك كان رجل السلام ، وقد كان ينشده
ويحاوله ما وسعه الجهد ، حتى مع الخوارج الذين ضلوا السبيل ، فما
قاتل كرم الله وجهه خصومه ، إلا بعد أن بصرهم ونصح لهم وأقنهم ، ولكن
الأهواء صمت آذانهم عن سماع الحق ، فلم يجد بدا من حربهم ، استعمالا
لحقه ، وصيانة لسلطانه ، ولو أنه كان أراق دماءهم قطرة قطرة ، واستأصل
شأفتهم ، ما كان آثما ، وقد أعذر من أندر .

وكذلك كان أخوك الامام الحسين ، رجل سلام ، ولكن خصومه أكرهوه
على القتال دفاعا عن نفسه ، وشرف دينه ، وكرامة أمته ، والتاريخ خير
شاهد .

وانك حين سلمت معاوية ، لم تخالف أباك ، ولم تقصد الى مخالفته ،
بل اجتهدت رأيك في ظرف غير ظرفه ، فقد بان لك غدر أصحابك بيقين ،
حين اعتدوا عليك وطمعوك ، ونهبوا عسكرك ، فكيف كنت تقبل أن تكون
مأمورا وأنت الأمير ، أو أن تكون تابعا وأنت المتبوع ، وإذا كان ابن عمك
عبيد الله بن عباس ترك لواءك ، وانحاز لمعاوية ليلا حيث اشترى منه ذمته
بالمال ، فقد كان الشراء من غيره أهون على معاوية وأرخص ، وما أصدق
أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين قال : ان فتنة الدنيا طغت على النفوس
طغيانها الذى لا تجدى فيه الحيلة أو المحاولة .

ولقد كان أبوك في حربه بعد المسألة مجتهدا ، وكنت أنت في سلمك
بعد الاستعداد للقتال مجتهدا ، وكان أخوك في قتاله مكرها مجتهدا ، ذلك
بأن مواقفكم كلها خلت من الأهواء النفسية والأغراض الدنيوية ، وكنتم
تريدون خير الأمة ، وحفظ الدين الذى قام في بيتكم ، فكان قيامه رحما
للعالمين .

وعلى ضدكم ، كان خصومكم ، واني أقيم الشهادة لله ، فقد تلبسوا بهوى النفوس ، فجانبوا الحق ، وحادوا عن الصراط المستقيم ، ولئن كانت حرمة الصحابة واجبة على كل مسلم ، فحرمة آل البيت أوجب ، خاصة وأن الحق كان على الدوام في جانبهم كما كانوا هم على الدوام في جانب الحق ، لا شبهة في ذلك ، وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون .

فاذا كانت قريش قد حاجت العرب والأمصار بالنبوة ، فبنو هاشم كانوا أولى من بنى أمية بالخلافة ، لا بالقرابة فحسب ، ولكن بالسبق في الاسلام ، والسبق في الجهاد ، ذلك الى العلم والورع ، وهو أمر لا يسبقهم فيه سابق ، ولا يلحقهم لاحق ، باعتراف بنى أمية أنفسهم ، ولم ينل أمير المؤمنين عثمان الخلافة على أنه أموي . بل نالها بسبقه وجهاده وسخائه ، وهى سجايا شخصية له ميزته عن قومه من بنى أمية ، وحين كان عثمان في السابقين الأولين ، وفي المهاجرين الهجرتين ، كان معاوية وأبوه من أعداء الاسلام .

وإذا كان المهاجرون والأنصار وأهل بدر ، قد بايعوا الامام على بالخلافة فى المدينة ، فقد كان معاوية فى دمشق ملزما بهذه البيعة، لأن هؤلاء هم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، والتزم معاوية ببيعتهم ، فما باله لم يلتزم ببيعتهم هذه المرة ، وما بال عمرو بن العاص يشاركه الخطيئة فى الخصومة التى قامت على الطلب بدم عثمان ، وكان عمرو من المحرضين على عثمان حتى قال : كنت التقي الراعى فأعرضه على عثمان ، وحين علم بقتل عثمان فرح وقال : انا أبو عبد الله ما نكأت قرحة الا أدميتها ، كما كان عمرو أول من أشار على عثمان باعتزال الخلافة ، وثار فى وجهه وقاطعه على ملا من الناس وقال له ، اتق الله يا عثمان فقد ركبت أمورا وركبناها معك ، فما تباكى عمرو على عثمان .

وإذا كنا مطالبين بحفظ حرمة الصحابة ، فمعاوية وأعوانه من الصحابة ، مطالبون بكف النفس عن الهوى قبل غيرهم من الأجيال التى تليهم ، حتى لقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين نزل قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) ما كنت أحسب أن أحدا من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية ، ويقول العارفون تعقيا على قوله ذلك : فكان ابن مسعود في هذا المقام فانيا عن الدنيا .

وإذا كان خصومكم قد اتخذوا دم عثمان ، رضى الله عنه ، تكاة لهم في موقفهم من أيك كرم الله وجهه ، فماذا صنعوا هم لقتلة عثمان حين صار لهم الملك والسلطان ، وما بالهم لم يقتصوا من الثوار ، وما بالهم غنموا ملك الدنيا ، وأرضوا ورثة عثمان بالفتات ، وبعض كلمات .

لقد خاصم أبالك طلحة والزبير ، وعاوتهما أم المؤمنين عائشة ، رضوان الله عليهم ، ولكنهم رجعوا الى الحق بعد أن تبين لهم ، فانسحب الزبير عن المعركة ، وجدد البيعة لأبيك طلحة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وطلبت سيدتنا عائشة من أيك المنتصر في واقعة الجمل العفو فعفا ، ودعت له بالمغفرة ، وتردد بعد ذلك عبد الله بن الزبير على مجلس أخيك الحسين ، يسمع منه ، ويأخذ عنه ، وكان لم تكن بينكم وبينهم خصومة ، ولا قتال سابق .

أما معاوية ، فأبى من دونهم الا كيذا وقهورا ، وأعلنها حربا شعواء ، صلى المسلمون بنارها ، في صنفين حتى كان التحكيم ، وقصة التحكيم ، كانت أخزى ، علم الله ، من قصة الحرب ، فاتفق أبو موسى مع عمرو على شيء ، وأعلنه أبو موسى في براءة ، ونكث عمرو في خديعة ، فخلع عليا كما خلعه أبو موسى ، ولم يخلع معاوية ، كما كان الاتفاق ، بل ثبت معاوية بغير حق من كتاب أو سنة .

ولم يكن معاوية طالب خلافة ، ولو أنه حرص على قيام الخلافة لرأى أن باك كان أحق بها وأهلها لكنه كان يهدف الى ملك الأكاسرة والقيصرة وكان المجتمع قد فتن بزخرف الدنيا ، ولعبت الأموال والمناصب بأفئدة الناس وحين رأى الملك قد استوثق له ، ورثه لابنه يزيد من بعده ، فخرج عن مبدأ الشورى ، وهو من أقدس حقوق الأمة ، كما خرج عما شرطته أنت عليه في شروط الصلح ، أما مستشاره عمرو فقد ورثه معاوية مصر وخارجها ، كما شرط عليه عمرو حين وقف الى جواره يؤازره .

فكيف بالله أجارى من يقول ان معاوية كان مجتهدا ، وهل كان مجتهدا حين أمر ولاته أن يسبوا أباك وأهلك على المنابر علانية على مسمع من الناس وأتم الذين خلدكم بفضلكم كتاب الله الكريم .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد قتل حجر بن عدى بلا ذنب ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المجاهدين في الفتوحات الاسلامية ، كما قتل أصحاب حجر ، وكان معاوية يندم على قتل حجر ويقول : ما قتلت أحدا الا علمت فيم قتلته الا حجرا ، فإني لا أعلم فيم قتلته ، وقد خالف معاوية في قتل ذلك الصحابي ربه ، كما خالف ما شرطته أنت عليه في الصلح من تأمين أصحابك وأصحاب أيك .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد ألحق معاوية زيادا بأبي سفيان ، وكان لزياد أب معلوم هو عبيد ، والله تعالى يقول : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد أخذ البيعة لابنه يزيد ، نابذا الشورى وراء ظهره مع اشتهار يزيد بفسقه وفجوره ، وكان أخوك الامام الحسين علما خفاقا على ظهر الأرض ، يتمنى الناس امامته ، ولم يكن معاوية يجهل أن استخلاف يزيد فيه خروج عن حدود الله ، وفيه خروج على شروط الصلح ، فقد عرض عليك معاوية أن يكون الأمر لك من بعده ، فأبيت أنت الا أن يكون الأمر شورى بين المسلمين .

ولقد أراد معاوية أن يؤسس ملكا خالدا على الزمن لبني سفيان ، ولكن قدر الله أن يموت يزيد في شبابه بعد اعوام أربعة من حكمه بل أقل ، ثم تحول الملك سريعا الى مروان وبنيه ، ولم يكن ذلك ليسر معاوية، خاصة وأن مروان عارضه معارضة شديدة في بيعة يزيد وقال له : فأقم الأمر يا ابن أبي سفيان واهدا من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك في قومك نظرا وان لهم على مناواتك وزرا .

وما كان أقصر الملك في بني أمية بعد ذلك فقد اتزع العباسيون ملكهم الى غير رجعة بعد ستين سنة من مقتل الامام الحسين ، وبعد ان كان

عبد الله بن الزبير اتزع منهم الخلافة على أكبر بلاد الإسلام في صدر دولتهم حتى قاتلوه وغلبوه وقتلوه .

وقد يسر أمرى في دراسة موقف معاوية بعض أهله من الأمويين المنصفين ، فقد أبطل بدعة السب على المنابر ، أمير المؤمنين الأموي عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فكان عمله هذا شهادة ضد معاوية في باطله .

وحين تنازل معاوية الثانى بن يزيد عن الخلافة (التى بقى فيها أربعين يوما بعد موت أبيه) خطب خطبة زلزل بها دولة بنى أمية ومكن لخلافة عبد الله بن الزبير ، وقال معاوية الثانى في تلك الخطبة يكشف عن معاوية الأول ويزيد :

« أيها الناس ، ان جدى معاوية ، نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منه ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على بن أبى طالب ، وركب بكم ما تعلمون ، حتى أتته منيته ، فصار في قبره زهينا بذنوبه ، وأسيرا بخطاياها ، ثم قلد أبى الأمر فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه ، واخلفه الأمل ، وقصر عنه الأجل ، وصار في قبره رهينا بذنوبه ، وأسيرا بجرمه ، وان من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأباح الحرم ، وخرب الكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم - لحسانكم أمركم » .

وتلك شهادة أخرى على معاوية الأول من حفيده ، فان طمنوا هي شهادتنا نحن الآخرين ، فتلك شهادة أهله الأولين .

أما عمرو بن العاص ، فقد عاون معاوية ، وعادى أهل البيت ، وشهد بنفسه على نفسه ، وهو يحتضر ، فندم على ما فرط منه ، فقد روى عنه ابن عباس رضى الله عنهما أنه حين احتضر قال : اللهم خذ منى حتى ترضى ، اللهم أمرت فمصيئا ، ونهيت فركبنا ، فلا برىء فأعتذر ، ولا قوى فانتصر ، ولكن لا اله الا الله ، يقول ابن عباس فجعل يرددتها حتى فاض .

وانى أقول بعد أن سردت كارها لمعاوية وعمرو تلك المساوىء كما نقلها ثقة المؤرخين : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم .

أيها السبط الكريم :

ان ما وقع لكم من الدنيا وأهلها ، يحير الألباب ، لكننا أخذنا عنكم
الرضا بالمقدور ، وان كان مرا ، فذلك من علامات اليقين بالله ، ولقد قال
أخوك الامام الحسين : فاذا أراد ما نكره فيما يحب رضىنا .

كما أخذنا عنكم أن أفعال الله كلها حسنة ، وان خالفت هوانا ، لأن
حكمة الله دقت فخفيت عن العقول ، هذا في باطن الأمر ، أما في ظاهره ، فقد
علل تلميذك وابن أخيك الامام على زين العابدين ما وقع لكم خير تعليل
حين قال :

عتبت على الدنيا فقلت الى متى أكابد هما بؤسه ليس ينجلي
أكل شريف من على تجاره حرام عليه العيش غير محلل
فقلت نعم يا ابن الحسين رميتكم بسهمى عناد منذ طلقنى على

فأشار الى ما كان قاله أبوك أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وهو
يخاطب الدنيا : اليك عنى يادنيا ، الى تعرضت ، أم الى تشوقت ، هيهات
غرى غرى ، لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها .

أيها السبط الكريم :

لقد خفت الله في دماء المسلمين ، فحفظت دماء خصومك ، كما حفظت
دماء أنصارك ، وصالحت معاوية ، وتنازلت له عن خلافة كانت في يدك بيعة
شرعية ، فهل خافوا الله في دمائك ، كلا والله بل خانوا وما خافوا ، فأما توك
مسموما ، فما أبعد المدى بينك وبينهم ، حين حرصوا على دنيا سرعان
ما زالت عنهم ، وحرصت أنت على أخرى تدوم ولا تزول .

أيها السبط الكريم :

كذلك حرصت ، وانت تلفظ أنفاسك الأخيرة ، على السلام والوثام ،
كمهدك دائما ، فأوصيت أخاك الامام الحسين أن يدفنك الى جنب جدك
المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فان أبوا فلا يقاتلهم ، وليدفنك الى جنب
أمك السيدة الزهراء ، فالى جنة الخلد ورضوان من الله أكبر .

وأشهد بالله أن المعتدين عليكم ، والسافكين دماءكم الزكية ، قد أسرفوا على أنفسهم ، وجاوزوا الحد في السرف ، فباعوا الدين بالدنيا واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ولقد صدق ابراهيم النجفي حين كان يقول: لو كنت قاتل الحسين ثم دخلت الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولئن كان ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول ذل دخل على العرب موت الحسن ، فقد قال زيد بن أرقم رضى الله عنه بعد ذلك عندما جرى برأس أخيك الامام الحسين الى اللعين ابن زياد : اتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ويستعمل شراركم .

سيدي السبط الكريم :

حقا لقد فقد المسلمون بفقدكما امامين كان كل منهما في زمانه وحيد نسجه ، وأحب أهل الأرض الى أهل السماء ، وكفى بها خسارة يجعل عنها العزاء ، الا أن يأتينا من يقينكم ونوركم وبلاغتكم من مثل ما قاله أخوك الامام الحسين مواسيا اختك الطاهرة السيدة زينب رضى الله عنها حين رأى هلعها في واقعة كربلاء المشنومة حيث قال لها :

اتق الله ، وتمزى بعزاء الله ، واعلمى أن أهل الأرض يموتون ، وأهل السماء لا ييقون ، وأن كل شيء هالك الا وجه الله ، أبى خير منى ، وأمى خير منى ، وأخى خير منى ، ولى ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة .

سيدي السبط الكريم :

لئن عجز بيانى عن الوفاء بحقك في هذا الكتيب ، فلتغفر لسميك وتابعك عجزه ، ورحم الله أبوى فقد سميانى باسمك ، فأسعدانى بدمعة صارت لى منك ومن سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أهتأتى بها ،

كما أنى كذلك محب لسادتى آل البيت الكرام وأقول ما قال أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل في الهامه المشرق من كلام طويل .

ومهما ألام على جهم فليست الفتى خائف اللائمه
إذا من نسي فتور المعاصي بذكرهمو أصبحت هائمه
فيا عاذرى ثم يا عاذلى سواء رضاك أو اللائمه
قل ما تشاء وكن ما تشاء فاني أحبب بنى فاطمه

والسلام عليك ، أيها الخليفة الخامن ، في الخلفاء الراشدين ، وفي
أمراء المؤمنين ، والتحيات الطيبات لك في عليين ، ورحمة الله وبركاته عليكم
أهل البيت انه جميد مجيد .

والى كل محب لسادتي آل البيت الكرام ، وناصر للحق وأهله . اقدم
الكتيب ، طامعا في دعوة صالحه من كل قارىء وقارئة ، وراجيا أن ينفع
الله به ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

المؤلف

الباب الأول

تاريخه الشخصي

* جهاده

* نسبه

* أسرته

* علمه

نسبه الشريف رضى الله عنه :

هو أمير المؤمنين الامام أبو محمد الحسن السبط خامس الخلفاء الراشدين رضى الله عنه ، وأبوه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه ، وأمه السيدة فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى سيدة نساء العالمين طرا .

قالت أم الفضل : يا رسول الله رأيت كأن عضوا من أعضائك فى بيتى، قال رأيت خيرا ، تلد فاطمة غلاما فترضيه بلبن قشم، فولدت الحسن فأرضعته بلبن ابنها قشم .

(وأم الفضل هى السيدة لبابة بنت الحارث الهلالية، أول امرأة أسلمت بعد السيدة خديجة بمكة ، وهى زوج سيدنا العباس بن عبد المطلب ، يقال لها لبابة الكبرى ، أخت السيدة ميمونة أم المؤمنين ، وخالة سيدنا خالد بن الوليد ، وكان النبو صلى الله عليه وسلم يزورها ، ويقبل عندها ، وكانت من المنجيات ، ولدت للعباس ستة رجال ، أحدهم القشم) .

وقد شرفه جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما شرف أخاه الامام أبا عبد الله الحسين السبط بأن نسبهما اليه بالنسوة ، وان كانا من صلب على كرم الله وجهه .

روى الترمذى من حديث أسامة بن زيد قال : طرقت النبو صلى الله عليه وسلم فى بعض الحاجة فقال : هذان ابناى وابنا ابنتى ، اللهم انى أحبهما ، فأحبهما وأحب من يحبهما .

لذلك يقال لكل من السبطين الحسين والحسين : يا ابن المصطفى ، وكانا رضوان الله عليهما يمتازان بأبوتهم صلى الله عليه وسلم ويهتفان به فيقول كل منهما له صلى الله عليه وسلم « يا أبت » فإذا هتف الحسن بأبيه على قال له : يا أبا الحسين : وإذا هتف الحسين بأبيه قال له : يا أبا الحسن : فلما انتقل جدهما صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى كانا يقولان لأبيهما « يا أبت » .

كما روى عنه صلى الله عليه وسلم من وجوه أنه قال فى الحسن والحسين : انهما سيديا شباب أهل الجنة ، لذلك كانت أمهما تناديهما فتقول :

يا حسنان مرة ويا حسينان مرة أخرى ، من باب المزج التغليب ، رضى الله عنهم أجمعين .

الإمام على كرم الله وجهه :

ولد الإمام على في الكعبة يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ٣٠ من عام الفيل ، وتوفي شهيدا قبل فجر ليلة الجمعة ٢١ من رمضان سنة ٤٠ هـ وهو ابن ثلاث وستين .

وفضائله كرم الله وجهه في الاسلام أشهر من أن تذكر وكفاه شرفا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا في الناس وكانوا قد شكوا إليه عليا فقال : « أيها الناس لا تشكوا عليا ، فوالله انه لجيش في ذات الله » .
وحين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار قال له : « أنت أخى » وياله من شرف كبير .

وقد خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل بيته في المدينة حين أخرج صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك ، فبكى كرم الله وجهه وقال يارسول الله تخلفني على النساء والصبيان ، لأنه كان يشاق للجهاد في سبيل الله فيقاتل أعداء الله ، فطيب صلى الله عليه وسلم خاطره وقال له :

أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي .

وفي خيبر قال صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فتناول لها الصحابة ، حتى قال عمر رضى الله عنه ، ما أحببت الا مارة الا ذلك اليوم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادعوا لى عليا ، فاتاه وبه رمد ، فبصق في عينيه ، ورفع الراية إليه ، ففتح الله عليه .

وروى أبو بكر الانباري في أماليه ، ان عليا عليه السلام جلس الى عمر في المسجد ، وعنده ناس ، فلما قام عرض واحد بذكره ، ونسبه الى

التيه والعجب — فقال عمر : حق لئله أن يتيه والله لولا سيفه ، لما قام عمود
الاسلام ، وهو بعد أفضى الأمة وذو سابقتها وذو شرفها .

وقد كان عبد الله بن عباس تلميذا لآماننا على كرم الله وجهه ، وعرف
ابن عباس بالتبحر في العلم حتى وصف بأنه « حبر الأمة وترجمان القرآن » ،
ولما سئل ابن عباس : أين علمك من علم ابن عمك ، قال كنسبة قطرة من
المطر الى البحر المحيط .

وقد قال له عمر رضى الله عنه : لا ابقانى الله بأرض لست بها يا أبا
الحسن ، كما قال : لولا على لهلك عمر .

وقد قال أبو عبيدة رضى الله عنه ، ارتجز الامام على بن أبي طالب
كرم الله وجهه تسع كلمات قطع الأطماع عن الالتحاق بواحدة منهن ، ثلاث
في المناجاة وثلاث في العلم وثلاث في الأدب .

فأما التي في المناجاة فهي قوله : كفانى عزا أن تكون لى ربا ، وكفى بى
فخرا أن أكون لك عبدا ، أنت لى كما أحب ، فوقفتى لما تجب .

وأما التي في العلم فهي قوله : المرء مخبوء تحت لسانه ، فتكلموا
تعرفوا ، ما ضاع امرؤ عرف قدره .

وأما التي في الأدب فهي قوله : أنعم على من شئت تكن أميره ، واستغن
عن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره .

وروى أبو الفرج في كتاب الأغاني أن ابن عباس سمع قصيدة لعمرو بن
أبي ربيعة مرة واحدة فحفظها وأعادها وما سمعها قط الا تلك المرة صفحا
(أى مرورا) ثم أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة فقال له بعضهم ما رأيت
أذكى منك قط فقال لكننى ما رأيت قط أذكى من على بن أبي طالب عليه
السلام .

ولا يفوتك أن الامام عليا كرم الله وجهه ، تربى من طفولته فى حجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشملت بركاته من الصبا ، واستمع الى
ما يقوله ابن أبي حديد فى شرح نهج البلاغة فى مناقب آماننا على كرم الله
وجهه :

« اجتمع للامام على بن ابي طالب من صفات الكمال ، ومحمود السمائل والجلال ، وسناء الحسب ، وباذخ الشرف ، مع الفطرة النقية ، والنفس المرضية ، ما لم يتهدأ لغيره من أفذاذ الرجال .

« تحدر من أكسرم المناسب ، واتمنى الى أطيب الأعراق ، فأبوه ، أبو طالب ، عظيم المشيخة من قریش ، وجده عبد المطلب ، أمير مكة ، وسيد البطحاء ، ثم هو قبل ذلك من هامات بنى هاشم وأعيانهم ، وبنو هاشم كانوا ، كما وصفهم الجاحظ « ملح الأرض » وزينة الدنيا وحلى العالم ، والسنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولبات كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف ، والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم .

« واختص بقربته القربة من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فكان ابن عمه ، وزوج ابنته وأحب عترته اليه ، كما كان كاتب وحيه ، وأقرب الناس الى فصاحته وبلاغته ، وأحفظهم لقوله ، وجوامع كلمه » .

« أسلم على يديه صيبا ، قبل أن يمس قلبه عقيدة سابقة ، أو يخالط عقله شوب من شرك موروث ، ولازمه فتيا يافعا ، في غدوه ورواحه ، وسلمه وحربه ، حتى تخلق بأخلاقه ، واتسم بصفاته ، وفقه عنه الدين ، وثقف ما نزل به الروح الأمين ، فكان من أفضله أصحابه وأقضاهم وأحفظهم وأوعاهم ، وأدقهم في الفتيا ، وأقربهم الى الصواب ، وحتى قال فيه عمر : لا يقبى لمعضلة ليس لها أبو الحسن » .

« وكانت حياته كلها مفعمة بالأحداث ، مليئة بجلال الأمور ، فعلى عهد الرسول عليه السلام ، ناضل المشركين واليهود ، فكان فارس الخطبة ومسعر الميدان ، صليب النبع جميع الفؤاد . وفي أيام خلافته كانت له أحداث أخرى ، لقي فيها ما لقي من تفرق الكلمة ، واختلاف الجماعة وانقسام العروة ، ما طوى أضالعه على الهم والأسى ، ولاع قلبه بالحزن والشجن .

وفي كل ما لقي من أحداث وأمور ، وما صادف من محن وخطوب ، بلى الناس وخبرهم ، وتفتن لمطاوى نفوسهم ، واستشف ما وراء مظاهرهم ، فكان العالم المجرب الحكيم ، والناقد الصيرفي الخبير .

« وكان لطيف الحس ، نقي الجوهر ، وضاء النفس ، سليم الذوق .
مستقيم الرأي ، حسن الطريقة ، سريع البديهة ، حاضر الخاطر ، حولا
قلبا ، عارفا بمهمات الأمور اصدارا وايرادا .

بل كان كما وصفه الحسن البصرى : « سهما صائبا من مرامي الله على
عدوه ، ورباني هذه الأمة ، وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابتها من رسول
الله صلى عليه وسلم . لم يكن بالثومة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ،
ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض موقفة ،
وأعلام مشرقة ، ذلك على بن أبي طالب . »

هذا ، وقد كان امامنا على كرم الله وجهه ، أول هاشمي من أبوين
هاشميين ، فاجتمعت له صفات بنى هاشم التي اشتهروا بها مثل الشجاعة ،
والكبر ، والوفاء ، والمروعة ، والذكاء والعفة والترفع عن الدنيا ، ذلك الى
القوة الجسدية التي ميزتهم واختص بها كثير من رجالاتهم ، وأبرزهم امامنا
على وأبناؤه ، وخص الى جانب تلك الصفات بنفح الهى ، والهام قدسى ،
فتعجرت من قلبه عيون العلم والحكمة فى بلاغة رائعة ، وبيان محكم ،
ويمده العارفون امامهم الذى يأخذون عنه حتى قال سيد الصوفية فى القرن
الثالث الامام أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه فى شأنه : لو لم تشغله
الحروب لأفادنا فى علمنا هذا معانى جليلة ذلك امرؤ أعطى علم اللدنى .

وكان امامنا على كرم الله وجهه أصغر اخوته ، وأكبر منه جعفر وعقيل
وطالب ، وبين كل منهم وأخيه عشر سنين ، ولما أصاب القحط قريشا ، أهاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعميه حمزة والعباس أن يخففوا عن أبى
طالب عبأه ، فأخذ صلى الله عليه وسلم عليا ، وأخذ العباس طالبا ، وأخذ
حمزة جعفرا .

ومن شعر امامنا على الذى يتحدث فيه بنعمة الله عليه قوله :

| | |
|-----------------------|--------------------------|
| محمد النبى أخى وصهرى | وحمزة سيد الشهداء عمى |
| وجعفر الذى يمسى ويضحى | يطير مع الملائكة ابن أمى |
| وبنت محمد سكنى وعرسى | مشوب لحمها بدمى ولحمى |

وسبطا أحمد ابنائى منها فمن منكم له سهم كسهمى
سبقتمو الى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت فردا فمن منكم له يوم كيسومى
وقد ظل كرم الله وجهه حافظا لبنياه المكين الذى كان له فى شبابه
حتى ناهز الستين ، حتى انه كان يمسك بذراع الرجل فكأله أمسك بنفسه
فلا يستطيع أن يتنفس ، واشتهر عنه أنه لم يصارع أحدا الا صرعه ، ولم
يبارز أحدا الا قتله ، وقد يزحزح الحجر الضخم لا يزحزحه الا رجال ،
ويحمل الباب الكبير فيعبي بقلبه الأشداء ، وقد عجب الصحابة من أنه رفع
باب الحصن فى خير بيد واحدة فشق على عشرات منهم أن يرفعوه جماعة ،
فكلموه فى ذلك فابتسم وقال : انما هو عون الله ومدده ، وكذلك كان يصيح
الصيحة فتتخلع لها قلوب الشجعان .

ولقد قتل فى موقعة الخندق ، عمرو بن ود ، فارس شبه الجزيرة
العربية ، الذى قدره أصحابه وأعداؤه بالف رجل ، فكانت أخت عمرو وتواسى
نفسها وتقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت فى الأبد .
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد .
وكان امامنا على فى واقعة الخندق فتى ناشئا ، فكانت شجاعته من
أندر الشجاعات التى عرفها التاريخ ، وفى فتح مكة استجار رجلان بأخته
أم هانئ فأجارتهما ، ودخل دارها أخوها على ليقتلها ، فقالت له انى قد
أجرتهما ، فهم يقتلها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أهدر دمهما ،
فأمسكت بيده وهو قابض سيفه فلم يستطع أن يفك يده منها الا بعد أن
أفلت منه الرجلان هارين ، فذهبت تشكو أخاها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وسمع شكواها امامنا على وهو يضحك ، فقال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ، يا رسول الله لقد قبضت على يدي فلم أستطع منها فكأكا
حتى أفلت الرجلان فقال صلى الله عليه وسلم مطيبا خاطرها ، قد أجرنا من
أجرت يا أم هانئ ، ثم قال لامامنا على : لا سبيل لك عليهما ، وعقب صلى
الله عليه وسلم قائلا : لو ولد الناس كلهم أبو طالب لكانوا شجعانا .

السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها :

كانت السيدة فاطمة رضوان الله عليها أثيرة عند أبيها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فكانت أحب بناته إليه ، ولقبت بالزهراء ، وولدت والكعبة تبني ، والنبي صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين . وقد توفيت بعد أيها ستة أشهر وقيل بثلاثة أشهر وكانت في الثلاثين من عمرها ، وذلك ليلة الثلاثاء ثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة .

وجاء في الصحاح عن المسور بن مخرمة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول : « فاطمة بضعة مني ، يريني ماراها ويؤذيني ما آذاها » .

وعن علي كرم الله وجهه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة ، « ان الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك » .

وحدثت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : أقبلت فاطمة تمنى كان مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه فأسر إليها حديثا فبكت ، ثم أسر إليها حديثا فضحكت ، فقلت ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض سألتها ، فأخبرتني أنه أسر إلى فقال ان جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة ، وانه عارضني العام مرتين ، وما أراه الا وقد حضر أجلى ، وانك أول أهلي لحوقا بي ، ونعم السلف أنا لك فبكيت ، فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين فضحكت .

أقول : و لا يتعارض ذلك مع قول الملائكة لمريم عليها السلام (ان الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين) ، فان مريم عليها السلام كانت مصطفاة على نساء العالمين في زمانها ، واما سيدتنا الزهراء فمصطفاة على نساء العالمين جميعهن ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وكان صلى الله عليه وسلم ، اذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يأتي إلى باب فاطمة بعد زواجها من الامام علي ، فيأخذ

بعضادتي الباب ، ويقول السلام عليكم أهل البيت ، الصلاة ، الصلاة ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا .

وكان صلى الله عليه وسلم ، اذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم ثنى بييت فاطمة رضى الله عنها ، ثم يأتى بيوت نسائه .

وقد تزوج بها الامام على في أول محرم سنة سنتين ، وكان قد خطبها أبو بكر وعمر فلم يجبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : أنت لها يا على ، قتال مالى من شىء الا درعى أرهنها فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ، فلما بلغ ذلك فاطمة بكت ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك تبكين يا فاطمة ، فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علما ، وأفضلهم حلما ، وأولهم سلما ، وفي رواية أخرى قال لها زوجك الله ورسوله قطاب خاطرها لأن زواجها كان بوحي الله تعالى .

والى زواجها بوحي من الله ، يشير العارف بالله سيدى الشيخ أحمد الحلوانى (والد شيخى العارف بالله سيدى عبد السلام الحلوانى) رضى الله عنهما ، من قصيدة طويلة وطريفة في مدح آل البيت رضى الله عنهم فيقول :

أتى الوحي أن تجلى عروسالحيدر فيا شرفا أضحى به الكون مفترا
ليهن بنيه المجد نظم هكذا نبي الهدى فاطرب وحيدر والزهرا
أقول ، وقد كانت أم امامنا على — وهى السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف التى كنفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قميصه رضى الله عنها ، سمته حين وضعته حيدرة والحيدرة هو الأسد ليسكون اسمه مشابها لاسم أبيها ، فسماه أبوه « عليا » وبه اشتهر .

وقد حدثت أم رافع عن وفاة السيدة فاطمة الزهراء فقالت ، مرضت فاطمة ، فلما كان اليوم الذى توفيت فيه قالت لى يا أمه ، اسكبى لى غسلا ، فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ، ثم لبست ثيابا لها جددا ، ثم قالت اجعلى فراشى وسط البيت ، فاضطجعت عليه ، واستقبلت القبلة ، وقالت يا أمه انى مقبوضة الساعة ، وقد اغتسلت فلا يكشفن لى أحد كنفنا فماتت ، فجاء على فأخبرته فاحتملها ودفنها بغسلها ذلك .

وقد حزن كرم الله وجهه لفقدنا حزنا شديدا ، وقال فيما عزي به نفسه .

وان افتقادي فاطما بعد أحمد دليل على ألا يدوم خليل ولا غرابة ، فيما أكرمت به عند وفاتها ، فهي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي أم الأئمة في هذه الأمة ، وهي بنت أم المؤمنين السيدة خديجة التي أقرأها الله السلام ، والاسعاد اعطاء ، كما قال العارفون من العلماء .

وقد سئلت السيدة عائشة رضی الله عنها ، أي الناس أحب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة ، فقيل من الرجال ، قالت زوجها ، ان كان ما علمت صواما قواما .

وعن أبي بكر الصديق رضی الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خيم خيمة ، وهو متكئ على قوس عربية ، وفي الخيمة على وفاطمة والحسن والحسين فقال : « معشر المسلمين ، انا سلم لمن سالم أهل الخيمة ، حرب لمن حاربهم ، ولي لمن والاهم ، لا يحبهم الا سعيد الجد طيب المولد ، ولا يبغضهم الا شقى الجد ردىء الولادة » .

وفي هذه المناسبة ، نهدي السادة القراء القصيدة التي جادت بها قريحة الشاعر المسلم العبقري السيد محمد اقبال شاعر الباكستان العظيم : في السيدة الزهراء وآلها وقد ترجمها من الفارسية الى العربية سديقي العلامة الشيخ الصاوي «شعلان» :

| | |
|---|--|
| نسب المسيح بنى لمريم سيرة والمجد يشرق من ثلاث مطالع هي بنت من ، هي زوج من ، هي أم من هي ومضة من نور عين المصطفى هو رحمة للعالمين وكعبة ال من أيقظ الفطر النيام بروحه وأعاد تاريخ الحياة جديدة ولزوج فاطمة بسورة هل أتى | بقيت على طول المدى ذكرها في مهد فاطمة فما أعلاها منذا يداني في الفخار أبها هادى الشعوب اذا تروم هداها آمال في الدنيا وفي آخرها وكأنه بعد البلى أحيهاها مثل المرائس في جديد حلاها تاج يفوق الشمس عند ضحاها |
|---|--|

ت بصيقل يحو سطور دجاها.
 سيف غدا يمينه تياها
 ينجهما في النيرات سواها
 نرة الوثام والاتحاد ابناها.
 أمسى تفرقها يحل عراها
 و امام أفتها وحسن علاها
 أزكى شمائله وما أنداها
 اذا الحوادث أظلمت بدجاها
 صبر الحسين وقد أجاب نداها
 وللجواهر حبنا وصفها
 ت فهم اذا بلغوا الرقى صذاها

أسد بحسن الله يرمى المشكلا
 ايوانه كوخ وكنز ثرائه
 في روض فاطمة نما غصنان لم
 فأمير قافلة الجهاد وقطب دا
 حسن الذي صان الجماعة بعدما
 ترك الامامة ثم أصبح في الدنيا
 وحسين في الأبرار والأحرار ما
 فتعلموا رى اليقين من الحسين
 وتعلموا حرية الايمان من
 الأمهات يلدن للشمس الضياء
 ما سيرة الأبناء الا الامها

يترسم القمر المنير خطها
 رقت لتلك النفس في شكواها
 يا سحب أين نذاك من جدواها
 ومنى الكواكب ان تنال ضياها
 ورات رضا الزوج الكريم رضاها

هي أسوة للأمهات وقدوة
 لما شكوا المحتاج خلف رجاها
 جادت لتتقنه برهن خملها
 نور تهاب النار قدس جلاله
 جعلت من الصبر الجميل غذاءها

يدها تدير على الشعير رحاها
 من طول خشيتها ومن تقواها
 كالطل يروى في الجنان رباها
 وحدود شرعته ونحن فداها
 وغمرت بالقبلات طيب ثراها

فمها يردد آى ربك بينما
 بلت وسادتها لآلى دمها
 جبريل نحو العرش يرفع دمها
 لولا وقوفى عند أمر المصطفى
 لمضيت للتطواف حول ضريحها

مولد الامام الحسن رضى الله عنه :

روى ابن ابي حديد بسنده في شرح نهج البلاغة ، ان الامام الحسن
 عليه السلام ولد للنصف الأول من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ،
 وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسنا » .

وروى الامام أحمد بسنده عن علي كرم الله وجهه ، قال لما ولد الحسن سميته « حربا » فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتوه ، قال : قلت « حربا » قال بل هو « حسن » فلما ولد الحسين سميته حربا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتوه قلت « حربا » قال : بل هو (حسين) فلما ولد الثالث سميته « حربا » فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتوه ، قلت « حربا » قال بل هو (محسن) ثم قال سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر . وروى ذلك الحديث ابن الاثير في أسد الغابة في ترجمة الحسين ، كما رواه الامام أحمد الا أسماء ولد هارون ، ثم قال . وعن عمران بن سليمان قال الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة ، لم يكونا في الجاهلية . وقد جاء في الحديث الشريف : « ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب علي » .

يوم سابعه رضى الله عنه :

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام ، والعقيقة ذبيحة تذبح ليطعم منها الفقراء شكرا لله تعالى الذى وهب المولود .

وروى جعفر بن محمد عليه السلام ، ان فاطمة عليها السلام حلقت حسنا وحسينا يوم سابعهما ، ووزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضه .

وكالت السيدة الزهراء ترقص الحسن وتقول فى طرب :

أشبهه أباك يا حسن واخلى عن الحق الرمن
واعبد الها ذا منن ولا توال ذا الاهن

شكله رضى الله عنه :

روى البخارى عن عقبة بن الحارث قال : صلى بنا أبو بكر العصر ، ثم خرج ، فرأى الحسن بن علي يلعب ، فأخذه فحمله على عنقه وهو يقول بأبى شبيه بالنبي ، ليس شبيها بعلى ، وعلى يضحك .

وفي الترمذى عن طريق الزهري عن أنس قال : لم يكن أشبه برسول
الله صلى الله عليه وسلم من الحسن .

اللقاب رضى الله عنه :

يلقب رضى الله عنه باللقاب كثيرة وهى : التقى والطيب والزكى والولى
والسبط والسيد ، وأمير المؤمنين ، وأشهرها السبط ، وأعلاها السيد ،
فقد روى البخارى عن أبى بكره رضى الله عنه رأيت النبى صلى الله عليه
وسلم على المنبر والحسن بن على معه وهو يقبل على الناس مرة ، وعليه
مرة ، ويقول : « ان ابنى هذا سيد . ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين » ، وكذلك السبط ، والسبط فى اللغة ولد الولد ، والأسباط
فى بنى اسرائيل تقابل القبائل عند العرب ، فكأنه رضى الله عنه أمة وحده
فى خصال الخير .

وقال صلى الله عليه وسلم فيه وفى أخيه الامام الحسين رضى الله عنهما
وعن ذويهما : « انهما سيديا شباب أهل الجنة » .

كنيته رضى الله عنه :

يكنى رضى الله عنه بأبى محمد ، كناه بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، كما جاء فى تهذيب الاسماء .

مكانته رضى الله عنه عند جده صلى الله عليه وآله :

روى البخارى عن أسامة ، كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلسنى
والحسن بن على فيقول : « اللهم انى أحبهما فأحبهما » وقد مر عليك ما
رواه البخارى عندما لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيد .

وجاء فى كتاب الاصابة عن عبد الله بن الزبير ، أنا أحدثكم بأشبه
أهله به وأحبهم اليه ، الحسن بن على ، رأيت يجرى وهو ساجد فيركب
رقبته أو قال ظهره ، فما ينزل حتى يكون هو الذى ينزل ، ولقد رأيت
يجرى وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر .

وروى البخارى ومسلم بسندهما عن البراء أنه قال رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم والحسن بن على على عاتقه يقول « اللهم انى أحبه
فأحبه » .

وروى الترمذى بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا الحسن بن على على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ونعم الراكب هو » .

والبنوة التي شرفه بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد وقوله انما هما ابناى وابنا ابنتى اللهم انى احبهما فأحبهما وأحب من يحبهما ، أيدها القرآن الكريم في آية المباهلة وهي (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

فقد جاء صلى الله عليه وسلم بالحسن والحسين وفاطمة ثمثى خلفه وعلى خلفها وهو يقول لهم ان انا دعوت فأمنوا ، وقد أبى أهل نجران المباهلة خشية أن يصيبهم عذاب الله ورضوا بدفع الجزية « تفسير الامام القرطبي » .

وعند أحمد من طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه ، وهذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى الينا ، فقال : « من أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى » .

وروى الطبرانى عن جعفر بن محمد عن أبيه ، ان النبي صلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صفار لم يبلغوا ، قال ولم يبايع صغيرا الا منا .

مكانة الامام الحسن عند أبيه رضى الله عنهما :

كان امامنا على كرم الله وجهه يعز الحسن والحسين معزة خاصة ، لكانهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أنه كان يضمن بهما في الحرب خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض ، فكان يؤخرهما ويقول لاصحابه : املكوا عنى هذين لئلا يهدانى

لأنى أخشى أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله فى الأرض ، بينما كان يدفع
الراية لأخيها من أبيهما محمد بن الحنفية ويقول له تقدم ، وأراد
الدياسون أن يستغلوا ذلك استغلالا سيئا فقالوا لمحمد لم يفرر بك أبوك
فى الحرب. ويؤخر الحسن والحسين فقال فى نفس زكية طاهرة : وعفل
راشد راجح : انما هما عيناها وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه يمينه .

وكان الامام على كرم الله وجهه ، يفطر فى رمضان عند ابنه الامام
الحسن يوما وعند ابنه الامام الحسين يوما ، وعند ابن أخيه عبد الله بن
جعفر يوما .

وكان أصحاب الامام على كرم الله وجهه يعلمون مكانة السبطين
الكريمين عند أبيهما ، فأهدى أحد أصحابه مرة لكل منهما هدية ، ولم
يهد شيئا لأخيها محمد بن الحنفية ، فغشى أبوه أن يتأثر فى نفسه ، فوضع
يده على عاتقه وقال مخاطبا له ومطيبا خاطره :

وما شر الثلاثة أم غرو بصاحبك الذى لم تصبحينا
ففهم الرجل الاشارة ، وقدم هدية أخرى لأخيها محمد بن الحنفية
رضى الله عنهم أجمعين ، وقد كان محمد شديد القوى ، حتى انه كان يلوى
الحديد فلا يقيمه غيره ، ومن شابه أباه فما ظلم .

مكانته رضى الله عنه عند إجلاله الصحابة :

كان للسبطين الكريمين مكانتهما الخاصة عند إجلاله الصحابة لأنهم
رضوان الله عليهم ، كانوا يحبون بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويبغضون يبغضه .

وقد مر على القارىء العزيز ان امامنا الصديق رضى الله عنه كان
يحمل الحسن على عاتقه ويقول بابى شبيه بالنبي ليس شبيها بعلى .

وقد فرض أمير المؤمنين عمر للحسن والحسين عليهما السلام مثل
فريضة أهل بدر ، فقد روى ابن الجوزى : أدخل عمر فى أهل بدر ممن
لم يحضروا بدرًا أربعة : الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان ففرض لكل
واحد خمسة آلاف .

وقال أمير المؤمنين عمر لقومه من بنى عدى : والله ما أدركنا الفضل في الدنيا الا بمحمد ولا نرجو ما نرجو من الآخرة وثوابها الا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فهو شرفنا ، وقومه أشرف العرب ، ثم الأقرب فالأقرب .

مقام الامام الحسن رضى الله عنه في أهل البيت

كان الامام الحسن رضى الله عنه عميد أهل البيت بعد أبيه ، وقد اختلف العلماء في تعريف أهل البيت اختلافا كبيرا كما يستدل من المراجع الواسعة ، وللإمام الجلال السيوطى بحث مستفيض في أهل البيت أورده فضيلة صديقى الصالح العلامة الشيخ أحمد فهمى في رسالته المباركة عن السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما .
وانى أقل منه في ايجاز ما يأتى :

١ — اخرج مسلم والنسائى عن زيد بن أرقم قال : قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال اذكركم الله في أهل بيتى ثلاثا ، فقيل لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته ؟ قال : أهل بيته ، من حرم عليهم الصدقة بعده ، قيل ومن هم ، قال آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس .

٢ — ان أولاد بنات الانسان لا ينسبون اليه ، وان كانوا معدودين في ذريته ، حتى لو أوصى لأولاد أولاد فلان يدخل فيه ولد البنت .

٣ — ان أولاد البنات لا يشاركون أولاد الحسن والحسين عليهم السلام في انهم ينسبون الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد فرق الفقهاء بين من يسمى ولدا للرجل وبين من ينسب اليه ، ولهذا قالوا لو قال : وقفت على أولادى دخل ولد البنت ، ولو قال ، وقفت على من ينسب الى من أولادى لم يدخل ولد البنت .

وقد ذكر الفقهاء من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ينسب اليه أولاد بناته ، ولم يذكروا ذلك في أولاد بنات بناته ، فالخصوصية للطبقة العليا فقط ، فأولاد فاطمة عليها السلام الأربعة ينسبون اليه صلى الله عليه وسلم .

وأولاد الحسن والحسين ينسبون إليهما — فينسبون إليه صلى الله عليه وسلم — أما أولاد زينب وأم كلثوم فينسبون إلى أبيهم عبد الله بن جعفر وعمر بن الخطاب ، لا إلى الأم ولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته ، وإنما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التي ورد الحديث بها ، وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين .

فقد أخرج الحاكم في المنتدرك عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل بني أم عصابة إلا ابني فاطمة أنا وليهما وعصبتهما » فانظر إلى لفظ الحديث ، كيف خص الاتساب والتعصيب بالحسن والحسين دون اختيما ، لأن أولاد اختيما إنما ينسبون إلى آبائهم .

ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفا ، ولو كانت الخصوصية عامة في أولاد بناته وإن نزلن ، لكان ابن كل شريفة شريفا تحرم عليه الصدقة وإن لم يكن أبوه كذلك كما هو معلوم .

ولهذا حكم صلى الله عليه وسلم لابني فاطمة دون غيرها من بناته ، لأن اختها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تعقب ذكرا ، حتى يكون كالحسن والحسين في ذلك ، وإنما اعقبت بنتا هي أمامة بنت أبي العاصي بن الربيع ، فلم يحكم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم مع وجودها في زمنه ، فدل على أن أولادها لا ينسبون إليه لأنها بنت بنته ، وأما هي فكانت تنسب إليه بناء على أن أولاد بناته ينسبون إليه ، ولو كان لزينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن والحسين في أن ولده ينسبون إليه صلى الله عليه وسلم .

٤ — وشرف ذرية السبطين عام ، لا فرق فيه بين أولاد ذكورهما ، وأولاد إناثهما ، لأبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، كتابا وسنة واجمعا ، واليك ما وقع بين الحجاج والشعبي :

في مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، لمحمد بن طلحة ، قال ، قد ثقل إن الشعبي كان يميل إلى آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان

لا يذكرهم الا وهو يقول : هم أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذريته .

فنقل عنه ذلك الى الحجاج بن يوسف ، وتكرر ذلك عنه ، وكثرقله
عنه ، فأغضبه ذلك من الشعبي ، وقم عليه ، فاستدعاه الحجاج يوما ، وقد
اجتمع لديه أعيان المصريين ، الكوفة والبصرة ، وعلماؤهما وقراؤهما ، فلما
دخل الشعبي لم يهش له ، ولا وفاه حقه من الرد عليه ، فلما جلس قال له
يا شعبي ، ما أمر بلغنى عنك ، فيشهد عليك بجهلك ، قال ما هو يا أمير ؟

قال ألم تعلم ، أن أبناء الرجل ، هل ينسبون الا اليه ، والأنسب
لا تكون الا بالأباء ، فما بالك تقول عن أبناء علي أنهم أبناء رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذريته ، وهل لهم اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم
الا بأمهم فاطمة ، والنسب لا يكون بالبنيات ، وإنما يكون بالأبناء .
فأطرق الشعبي ساعة ، حتى بالغ الحجاج فى الإنكار عليه ، ووقع
إنكاره فى مسامعه ، والشعبي ساكت .

فقال ، يا أمير ، ما أراك تكلمنا الا بكلام من يجهل كلام الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو يعرض عنهما .

فازداد الحجاج غضبا ، وقال أئلى تقول هذا ، ياويلك ، قال نعم ،
هؤلاء هم قراء المصريين ، حملة الكتاب العزيز .

أليس قد قال الله تعالى « يابنى آدم ، يابنى اسرائيل ، وعن ابراهيم ،
ومن ذريته عيسى .

وهل كان اتصال عيسى بالثلاثة الا بأمه ، وقد صح النقل عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، هذا ابنى سيد شباب أهل الجنة .

فخجل الحجاج ، وعاد يئلف الشعبي .

هذا وقد تعرض ابن أبى حديد ، عند شرحه لقول امامنا على كرم
الله وجهه فى آل البيت « وكيف يتاه بكم ، وكيف تعمهون ، وفيكم عشرة
نبيكم ، وهم أئمة الحق ، وأعلام الدين والسنة الصديق ، فأزلوهم بأحسن
منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم المطاش » .

الى أن قال كرم الله وجهه مشيرا الى فضله على رعيته :

« قد ركزت فيكم راية الايمان ، ووقتكم على حدود الحلال والحرام ، وأبستكم العافية من عدلى ، وفرشتكم المعروف من قولى . وفعلى ، وأريتمكم كرائم الاخلاق فى نفسى » .

قال ابن أبى حديد فى شرحه : وعتره رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله الأذنون ونسله ، وليس بصحيح من قال أنهم رهطه وان يمدوا ، وإنما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده نحن عتره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضته التى فقئت عنه ، على طريق المجاز ، لأنهم بالنسبة الى الأمصار عتره لا فى الحقيقة ، فأراد أبو بكر أنهم عتره أجداده على طريق حذف المضاف .

ثم استطرد ابن أبى حديد قائلا : وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عترته من هى لما قال : انى تارك فيكم الثقلين ، فقال عترتى أهل بيتى ، وبين فى مقام آخر من أهل بيته حيث طرح عليهم كساء ، وقال حين نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) ، اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب الرجس عنهم .

فإن قلت فمن هى العتره التى عنها أمير المؤمنين بكلامه ، قلت نفسه وولده ، والأصل فى الحقيقة نفسه لأن ولديه تابعان له ، ونسبتهما اليه مع وجوده ، كنسبه الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة ، وقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم وآله على ذلك بقوله : وأبوكم خير منكم .

وهذا الذى يقوله ابن أبى حديد ، يذكرنا ما قاله الأعمور الشنى فى صفين للامام على وكان من أنصاره الصادقين ، فقد جاء فى شرح نهج البلاغة أنه قال : زاد الله يا أمير المؤمنين فى سرورك وهداك ، نظرت بنور الله فقدمت رجالا وأخرت رجالا ، عليك أن تقول ، وعلينا أن نفعل ، أنت الامام ، فإن هلكت فهذان من بعدك — يعنى حسنا وحسينا عليهما السلام — وقد قلت فى ذلك شعرا :

أبا حسن أنت شمس النهار وهذان في الحادثات القمر
وأنت وهذان حتى المسات بمنزلة السمع بعد البصر
وأتم أناس لكم سورة تقصر عنها آكف البشر
يخبرنا الناس عن فضلكم وفضلكم اليوم فوق الخير

فضل اهل البيت ووجوب محبتهم :

أخرج البخارى في تاريخه عن الحسن بن على عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل شيء أساس ، وأساس الاسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحب أهل بيته » .

وأخرج البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه : ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته .

وأخرج الترمذى وحسنه والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يذكركم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى .

وأخرج الترمذى وحسنه ، والحاكم عن زيد بن أرقم ، رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، كتاب الله ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يثرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

وأخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى والحاكم عن المطلب بن ربيعة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لا يدخل قلب امرئ مسلم ايمان حتى يحبكم الله وتقرابتى » .

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم ، والطبرانى في المعجم الكبير ، عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية : (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) ، قالوا يا رسول الله : من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم « على وفاطمة وولداهما » .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا بنى هاشم انى قد سألت الله لكم أن يجعلكم نجباء رحماء ، وسألته أن يهدى ضالكم ، ويؤمن خائفكم ، ويشبع جائعكم ، والذي نفسى بيده ، لا يؤمن أحد حتى يحبكم بحبى ، أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاغتى ، ولا يرجونها بنو عبد المطلب » .

وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل أهل البيت مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تركها غرق » .

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال من رضى محمد الا يدخل أحد من أهل بيته النار .

وأخرج الديلمى عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة ، المكرم لذريتى ، والقاضى لهم الحوائج ، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولسانه » .

وأخرج الديلمى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضب الله على من آذانى فى شترتى » .

وأخرج أبو نعيم فى الحثية عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أولى رجلا من بنى عبد المطلب معروفا فى الدنيا ، فلم يقدر المطلبى على مكافأته فأنا أكافئه عنه يوم القيامة » .

وأخرج الترمذى والحاكم والبيهقى فى شعب الايمان عن عائشة رضى الله عنها ، مرفوعا : « ستة لعنهم الله ، وكل نبى مجاب ، الزائد فى كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت فيعز بذلك من أذل الله ، ويذل من أعز الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك لسنتى » .

وأخرج الديلمي عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خير الناس العرب ، وخير العرب قريش ، وخير قريش بنو هاشم ، ونكتفى بما تقدم من الأحاديث مراعاة للإيجاز ، أما القرآن الكريم فقد قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) ويشير لتلك الآية الكريمة سيدى محيى الدين بن عربى فى قوله :

أرى حب أهل البيت عندى فريضة على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه على هديه الا المودة فى القربى

مناقب الامام الحسن رضى الله عنه

زهده رضى الله عنه :

جاء فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر أن الامام الحسن رضى الله عنه كان حليما ورعا فاضلا ، دعاه ورعه وفضله الى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله ، وقال والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى ويضرنى أن ألى أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، على أن يهراق فى ذلك محجمة دم .

أقول ، وهذا الذى وقع من امامنا الحسن رضى الله عنه فى تنازله عن الخلافة ، وهو يملك الجيوش الجرارة التى يحارب بها ان شاء ، كان ايثارا لله تعالى ، وحقنا لدماء المسلمين ، وهو الزهد بعينه ، وقد قال الصوفية المارفون بحق ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك ، بل الزهد أن تتركها من قلبك وهى فى يدك .

خوفه من الله تعالى :

واذا علمت كيف كان يخاف مقام ربه ، لم تعجب لتركه الخلافة ، مع أبهتها وسلطانها ، فقد روى عنه أن رجلا سمعه يناجى ربه ويبكى ، فقال له : اتخاف عذاب الله وعندك أسباب النجاة ، ابن رسول الله ، وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، ورحمة الله التى وسعت كل شىء .

فقال الامام الحسن أما انى ابن رسول الله ، فالله يقول : (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم) ، وأما الشفاعة فهو سبحانه يقول : (منذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وأما الرحمة التى وسعت كل شىء فالله يقول : (فسأكتبها للذين يتقون) فكيف الامان يا أخا العرب .

عبادته رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه يجاهد نفسه فى العبادة جهادا كبيرا ، فقد حج خمس عشرة مرة وقيل عشرين مرة ماشيا على قدميه ونجائبه تقاد بين يديه ، وكان يقول انى أستجيبى من ربي عز وجل ان ألقاه ولم أمش الى بيته .

جوده رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه جوادا ، لا يرد سائلا ، ولا يقول لاحد لا ، قط ، وقد خرج عن ماله لله مرتين ، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات ، حتى انه كان يعطى نعلا ويسك نعلا .

وقد قيل للامام الحسن رضى الله عنه ، لآى شىء نراك لا ترد سائلا ، وان كنت على فاقة ، فقال ، انى لله سائل ، وفيه رغب ، وأنا استجى أن أكون سائلا ، وأرد سائلا ، وان الله تعالى عودنى عادة ، عودنى أن يفيض نعمة على ، وعودته أن أفيض على الناس ، فأخشى ان قطعت العادة أن يمنمى العادة ، وأنشد يقول :

إذا ما اتانى سائل قلت مرحبا بمن فضله فرض على معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل وأفضل أيام الفتى حين يسأل

وقد وصفه أبوه بالكرم والمسألة ، فقد روى أبو جعفر محمد بن حبيب عن المسيب الفزارى ، قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أنا أحدثكم عنى وعن أهل بيتى ، أما عبد الله ابن أخى (أى ابن جعفر زوج السيدة زينب) فضاحب لهو وسماح ، وأما الحسن فصاحب جفنة وخوان فتى من فتيان نريش ، ولو التقت حلقتا البطلان (مثل يضرب للأمر اذا

اشتد وجاوز الحد) لم يعن عنكم شيئاً في الحرب ، وأما أنا وحسين فنحن منكم وأتم منا .

هيئته رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه ذا هيبة ووقار ، حتى لقد كان معاوية وهو في سلطانه يهابه ويخشاه وصرح لجلسائه بذلك .

ولا تعجب من ذلك ، فقد حدثت زينب بنت أبى رافع فقالت ، أتت فاطمة عليها السلام بابنيها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شكوة (مرضه) الذى توفى فيه ، فقالت يا رسول الله هذان ابناك ، فورثهما شيئاً فقال : أما حسن فإن له هيئتي وسؤددى ، وأما حسين فإن له جبراءتى وجودى .

وهذا يفسر لك ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما حين مات الامام الحسن : أول ذل دخل على العرب موت الحسن عليه السلام ، وأنت تدرك من كلمة ابن عباس هذه أى مكافأة كانت للامام الحسن فى المجتمع وأى فراغ كان يملؤه فى الناس .

نقش خاتمه رضى الله عنه :

كان نقش خاتمه رضى الله عنه : « العزة لله » .

جراته فى مواقف البجد :

ولا تظن أن حبه للمسألة كان عن ضعف منه ، أو جبن فيه ، إنما سالم ابتغاء رضوان الله ، ودفعاً للضرر عن الأمة ، ويقول الأصوليون ، دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة .

لذلك كان مع مسألته ، يصون كرامته ، ببجد لا يعرف الهزل ، وبحمية هاشمية ، لا تعرف التردد ، وتلك عزة المؤمن التى يحبها الله ورسوله ، وقد أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنشده النابغة الجعدي من قصيدة طويلة :

ولا خير في حلم اذا لم يكن له يواد تحمى صفوه أن يكدرها
ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا يفضض الله فاك ،
فعر طويلا ولم تقع له سن ، واليك مثلا من جرأة الامام الحسن .

روى ابن أبي حديد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دخل
الحسن بن علي ، علي معاوية ، بعد عام الجماعة ، وهو جالس في مجلس
ضيق ، فجلس عند رجليه ، فتحدث معاوية ما شاء أن يتحدث ، ثم قال عجبا
لمائتة ، تزعم أنى في غير ما أنا أهله ، وأن الذى أصبحت فيه ليس لى
بحق ، ومالها ولهذا ، يغفر الله لها ، انما كان ينازعى في هذا الأمر أبو
هذا الجالس وقد استأثر الله به .

فقال الحسن : أو عجب ذلك يا معاوية ، قال أى والله ، قال أفلا أخبرك
بما هو أعجب من هذا ، قال ما هو ، قال جلوسك في صدر المجلس وأنا
عند رجليك .

فضحك معاوية وقال يا ابن أخى ، بلغنى أن عليك دينا ، قال ان لعلى
دينا ، قال كم هو ، قال مائة ألف ، قال قد أمرنا لك بثلاثمائة ألف ، مائة منها
لديك ، ومائة تقسمها في أهل بيتك ، ومائة لخاصة نفسك ، فقم مكرما
واقبض صلتك .

فلما خرج الحسن عليه السلام ، قال يزيد بن معاوية ، تالله ما رأيت
رجلا استقبلك بما استقبلك به ، ثم أمرت له بثلاثمائة ألف ، قال يا بنى
ان الحق حقهم ، فمن أتاك منهم فاحث له .

أقول ، وانما كانت ديون الامام الحسن تأتيه من كثرة بذله للمحتاجين ،
وقد بلغ من سماحته ومروءته أنه كان يشتري البستان من أصحابه ويدفع
لهم الثمن ، فاذا علم أنهم في حاجة اليه رده اليهم ثانية بلا مقابل ، ولا يسترده
الثمن الذى كان دفعه .

وكذلك جابه معاوية بأشد مما تقدم ، حين قام معاوية خطيبا على
المنبر فتهكم على أمير المؤمنين على وقال : ومن على ؟ فقال الامام الحسن

فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان الله لم يبعث نبيا الا جعل له عدوا من المسلمين قال تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين » وأنا ابن علي واثنت ابن صخر ، وأمك هند وأمى فاطمة ، وجدتك قتيلة وجدتي خديجة ، وجدى رسول الله وجدك عقبه بن ربيعة ، فلمن الله الأمانة حسبا وأخملنا ذكرا ، وأقدمنا كعرا ، وأشدنا تفاقا ، فصاح أهل المسجد آمين ، قال الفضل ، قال يحيى بن معين ، وأنا أقول آمين .

فقطع معاوية كلامه وفر الى منزله .

مكارم أخلاقه رضى الله عنه :

يقول عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » كان الامام الحسن رضى الله عنه عذب الروح ، حلو الحديث ، كريم المعاشرة ، حسن الألفه ، محببا الى الناس ، ويحبه أتراه من شباب قریش والأندلس لهذه الخصال ، ولمكانه من النبى صلى الله عليه وسلم ، ويحبه عامة الناس لكل هذا ولسخائه وجوده ، واعطائه المال حين يسأل وحين لا يسأل .

وروى ابن أبى حديد بسنده انه كان مشهورا بالحلم ، حتى انه لما مات عليه السلام وأخرجوا جنازته حمل مروان بن الحكم سريره فقال له الامام الحسين عليه السلام ، تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجسره الغيظ ، قال نعم ، كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

وعرف رضى الله عنه بحسن عشرته لأزواجه ، فكان يمسكهن بمعروف ويسرحهن باحسان ، وعلى كثرة زواجه وطلاقه ، كان الناس يرغبون فى مصاهرته ، حتى لقد روى أن أباه كرم الله وجهه أمر مناديا ينادى فى أهل الكوفة ، لا تزوجوا الحسن فانه مطلق ، قالوا ، فما مر المنادى بأحد الا قال : بل تزوجه ، فما رضى أمسك وما كره طلق .

ويغيب بعض قصار الادراك ، كثرة زواجه وطلاقه ، رضى الله عنه ، مع أن زمانهم غير زماننا ، وقد كان الزواج فى زمانهم يربط العصبية ويزيد فى قوة القبائل ، وكان تعدد الزواج أمرا مألوقا بل ومستحبا ، وهو

في بيت النبوة أكثر استحبابا ، وليس مع الحلال تهمة ، وما أخرج المجتمع
لأئمة الهدى ، الذين يمشون بين الناس بنور الايمان ، الذي يرثونه من
عرقهم الطاهر المطهر ، وينموه في بيئتهم التقية الصالحة ، وصدق امامنا
على كرم الله وجهه حينما قال في السادة آل البيت الأطهار : أين الذين زعموا
أنهم الراسخون في العلم دوننا ، كذبا وبغيا علينا ، ان رفعنا الله ووضعهم ،
وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطي الهدى ، ويستجلى
العسى .

وصدق الفرزدق الشاعر رحمه الله حين قال فيهم :

ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم أوقيل من خير أهل الأرض قيل همو

علمه وفي الله عنه :

جاء في كتاب الاصابة لابن حجر أن الامام الحسن عليه السلام روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث حفظها عنه ، وروى الحسن أيضا عن
أبيه وأخيه الحسن وخاله هند بن أبي هالة (أخو السيدة فاطمة لأمها) ،
وروى عنه ابنه الحسن وعائشة أم المؤمنين وابن أخيه علي بن الحسين
« زين العابدين » وابناه عبد الله والباقر ، وعكرمة وابن سيرين وجبير بن
نفيير وغيرهم .

أقول ، ولئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه صغيرا (دون
الثامنة) فإنه كان من الذكاء بحيث وعى وحادث ، وقد قام على تربيته
وتقافته العلمية بعد جده أبوه الامام علي كرم الله وجهه ، وكان في العلم
بحرا زائرا ، حتى قال ابن عباس الذي أخذ العلم عنه ، لقد أعطى علي بن
أبي طالب تسعة أعشار العلم ، وإيم الله لقد شارككم في العشر العاشر .

وقد مر عليك أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام نشأ في الاسلام منذ
طفولته ، وتربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، وغرف علمه من بحر
النبوة الأصفى حتى امتلا ، وصار كما قال الامام الحسن البصرى ، رباني
هذه الأمة ، وكان يتحدث بنعمة ربه في ثقة به تعالى فيقول : أيها الناس ،

سلونى قبل أن تفقدونى ، فوالله ما من آية فى كتاب الله عز وجل ، الا وأنا أعلم أبليلى نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل ، وقد مر عليك أن أمير المؤمنين عمر كان لا يطمئن الا لفتواه وكان يقول : لولا على لهلك عمر .

لذلك كان علم الامام الحسن موروثا ومغروفا من المنبع الأصفى ، فكان علما خالصا ، حرص عليه وتمع به ، وقدره قدره ، حتى روى عنه أنه كان يقول لبنيه وبنى أخيه الامام الحسين : تعلموا العلم ، فان لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه ، وضعوه فى بيوتكم ، وستدلك أقواله وخطبه على رسوخ علمه وقوة منطقته وعمق فصاحته .

ونذكر للقارىء الكريم بعض الأمثلة التى تدل على صفاء ذهنه ، وحضور بديهته ، وعلو فكره ، ورسوخ علمه ، رضى الله عنه :

١ - فى معرفة الله :

سئل رضى الله عنه ، بم عرفت ربك ، فقال : بفسخ العزيمة ، وقصر المشيئة ، وضعف الأركان ، وتحويل الحالات والأزمان .

٢ - فى القضاء والقدر :

كتب الحسن البصرى الى الامام الحسن بن على رضى الله عنهما يسأله عن القضاء والقدر ، فكتب الامام الحسن بن على يقول :

من لم يؤمن بقضاء الله وقدره ، خيره وشره ، فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر ، وان الله تعالى لا يطاع استكراها ، ولا يعصى بغلبة ، لأنه تعالى مالك لما ملكهم ، وقادر على ما أقدرهم ، فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا ، فان لم يفعلوا فليس هو الذى أجبرهم على ذلك ، ولو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم فان ذلك عجزا فى القدرة ، ولكن الله له فيهم المشيئة التى غيبتها عنهم ، فان عملوا بالطاعة فله المنة عليهم ، وان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم .

واتماما للفائدة في القدر نذكر أن رجلا سأل أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه عن القدر ، فقال طريق دقيق لا تمش فيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال بحر عميق لا تخض فيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، فقال إن الله تعالى خلقك كما يشاء أو كما شئت ، فقال كما شاء : قال ألك مشيئة مع الله ، أو فوق مشيئة الله ، أو دون مشيئة الله ، أما إن قلت مع مشيئته فقد ادعت الشركة معه ، وإن قلت دون مشيئته ، استغنييت عن مشيئته ، وإن قلت فوق مشيئته ، كانت مشيئتك غالبية على مشيئته .

٣ - بينه وبين سائل :

جاء رجل يسأله صدقة ، ولم يكن عنده ما يعطيه ، فاستحيا أن يرده فقال للرجل ، ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر ، فقال الرجل ماذا ، قال إن ابنة الخليفة ماتت فاذهب اليه وقل له : الحمد لله الذي سترها بوقوفك على قبرها ، ولم يهتكها بوقوفها على قبرك .

فذهب الرجل وعزى الخليفة بهذه التعزية ، فلما سمعها ذهب عنه الحزن ، وأمر للرجل بجائزة ، وقال له ، بالله عليك ، أكلامك هذا ، فقال بل كلام الحسن بن علي ، فقال صدقت ، أنهم معدن الفصاحة ، وأمر له بجائزة أخرى .

٤ - تحية المغتسل :

ومن لطائفه أنه كان يوما خارجا من الحمام ، فقال له رجل طاب استحمامك ، فقال يا لكع وما تصنع الأست هنا ، قال الرجل ، طابحمامك ، فقال إذا طاب الحمام اذن فما راحة البدن ، قال ، طاب حميمك ، قال ويحك ، أما تعلم أن الحميم هو العرق ، قال فكيف أقول ، قال : قل طاب ما طهر منك ، وطهر ما طاب . ودخل مرة غديرا يستحم ، وعليه يرد متوشحا به ، فلما خرج سألوه ، فقال إنما تسترت من يراني ولا أراه ، يعني من ربي والملائكة .

٥ - بينه وبين يهودى :

ورآه مرة رجل يهودى فى أبهى بزة وأجمل زى ، وكان اليهودى فى حالة سيئة ، وثياب رثة ، فقال للحسن رضى الله عنه ، اليس قد قال ليكم الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، هذا حالى ، وهذا حالك ، فقال رضى الله عنه ، لو رأيت ما وعدنى الله من الثواب ، وما أعد لك من العقاب ، لعلمت أنك فى الجنة ، وأنا فى السجن .

ايشاره الله تعالى :

كان الامام الحسن رضى الله عنه رجل السلام بحق ، وهو حين سالم ، انما سالم ابتغاء مرضاة الله ، لا خوف الناس ، ولا خوف الحرب .

وقد شرح وجهة نظره فى المسألة حين أشار عليه المسيب الفزارى أن ينقض صحيفة الصلح الذى أبرمه مع معاوية ، وسيأتيك نبأه فيما بعد ، فقال رضى الله عنه : يا مسيب ، انى لو أردت بما فعلت الدنيا ، لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء ولا أثبت عند الحرب منى ، ولكنى أردت صلاحكم وكف بعضكم عن بعض ، فارضوا بقدر الله وقضائه ، حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر .

نباته فى الراى رضى الله عنه :

عندما رأى ، رضى الله عنه ، بنور الله ، أن يسلم الأمر لمعاوية بعد أن بقى فى الخلافة سبعة أشهر استشار أهله وخاصته ، فمنهم من رضى رأيه ومنهم من خالفه ، وقد رضى رأيه عبد الله بن جعفر ودعا له .

وحين عرض رأيه على أخيه الامام الحسين ، رأى أن يبين له أسباب رأيه ، وكأنما كان يحس بمعارضة الامام الحسين مقدما .

فقال الامام الحسن لأخيه الامام الحسين : أى أخى انى رأيت رأيا ، وأحب أن تتابعنى عليه فقال ما هو ؟ قال ، رأيت أن أعمد الى المدينة فأنزلهما ،

وأخلى بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة ، وسفكت فيها
الدماء ، وقطعت الأرحام ، وعطلت السبل ، وعطلت الثغور .

فقال الامام الحسين : أعيذك بالله أن تكذب عليا في قبره ، وتصديق
معاوية ، فقال الحسن عليه السلام : والله ما أردت أمرا الا خالفته الى غيره ،
والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فاطمينة عليك حتى أفضى أمرى .

فلما رأى الامام الحسين غضبه ، قال في أدب رفيع ، أنت أكبر ولد
على ، وأنت خليفتي ، وأمرنا لأمرك تبع ، فافعل ما بدا لك ، وهكذا ثبت
الامام الحسن عند رأيه ، وتحققت على يده معجزة رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين قال :

« ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من
المسلمين » .

بجلال الامام الحسين للامام الحسن رضى الله عنهما :

ولا تظن أن الامام الحسين رضى الله عنه ، حين عارض رأى الامام
الحسن في الصلح ، انه كان يستهين برأيه ، انما هي وجهات نظر ، في مسائل
كبيرة ، تتصل بالصالح العام ، وتختلف فيها الآراء ، وكل منهما مجتهد
فيما رآه وله أجره ، لأن رأى كل منهما ليس مشوبا بهوى النفس الذى
يضل صاحبه عن سبيل الله ، بل هو رأى خالص لوجه الله ، وقد اختلف
السادة الصحابة حين استشارهم صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر ، فمنهم
من رأى أخذ الفدية ، ومنهم من رأى قتل الأسرى ، وأقر الله اجتهادهم
حيث لم ينزل وحى فقال تعالى : « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » وكانوا
قد تخرجوا من الأكل من الفدية حين نزل قوله تعالى (ما كان لنبى أن
يكون له أسرى حتى يشن فى الأرض ، تريدون عرش الدنيا والله يريد
الآخرة) .

ويشهد باجلال الامام الحسين لأخيه الامام الحسن كلمة التأيين الرائعة التي قالها امامنا الحسين رضى الله عنه على قبره ، مع انه كان في موقف الحزن الذي يشتت الفكر ويعقد اللسان ، وقد أوردناها في المقدمة .

نظام أوقاته رضى الله عنه :

قال الدكتور طه حسين في كتابه « على وبنوه » ان الامام الحسن رضى الله عنه كان يصبح فيصلي الصبح ويجلس في مكانه حتى اذا ارتفعت الشمس ، طاف بأهات المؤمنين ، زائرا لهم ، متحدثا اليهم ، يبرهن ويبررته ويهدى اليهم ويهدي اليه ، ثم يفرغ لبعض شأنه .

فاذا صليت الظهر ، جلس للناس في المسجد ، فأطال الجلوس ، يسمع منهم ، ويقول لهم ، يعلم من احتاج منهم للعلم ، ويؤدب من احتاج منهم للادب ، ويسمع من شيوخ الصحابة ما يفيده علما وأدبا ، وكان في أثناء ذلك كله اذا ذكر السلطان ، أو ذكر السلطان عنده ، يعرف الخير ، وينكر الشر ، في أرق لفظ واعذبه .

ولكنه كان يشتد حتى يبلغ القسوة ، ان ذكر أبوه بغير ما يجب ، أو لقي من بنى أباه الغوائل ، أو سعى اليه بمكروه ، وكان بمد هذا كله يحسن كما أحسن الله اليه ، ولا ينس نصيبه من الدنيا .

وفاؤه بأهله وصحبه رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه وفيا لأهله وأصحابه أحسن الوفاء ، حتى انه شرط على معاوية الا يؤذى أحدا منهم ، ولما أراد معاوية أن يستثنى أحدا منهم (مثل قيس بن سعد) هدده الامام الحسن بالمدول عن الصلح ، فاضطر معاوية أن ينزل عند رغبته .

ولما أراد زياد أن يسئ الى بعض أصحاب الامام الحسن كاتب الامام الحسن معاوية فأمر زيادا أن يكف عنهم .

جهاده رضى الله عنه في سبيل الله

١ - جهاده في فتح شمال افريقيا :

كان رضى الله عنه هو وأخوه الامام الحسين في المدد الذي أرسله أمير المؤمنين عثمان بن عفان في سنة ٢٦ هـ لنجدة عبد الله بن أبي السرح وهو يغزو شمال أفريقيا .

٢ - جهاده في فتح طبرستان :

كما كانا رضوان الله عليهما في الجند المقاتلين عندما غزا سعيد بن العاص طبرستان بأمر أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه سنة ٣٠ هـ .

٣ - الدفاع عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه :

وكان هو وأخوه الامام الحسين أول المدافعين عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين هاجمه الثوار ، فقد أمرهما أبوهما أن يحمياه بسيفيهما فعلا ، ولم يستطع الثوار أن يدخلوا عليه من الباب فتسوروا عليه الدار وقتلوه ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

٤ - جهاده مع أبيه في معارك الجمل وصفين والخوارج :

وحضر هو وأخوه الامام الحسين وأخوهما لأبيهما محمد بن الحنفية معارك الجمل ، وصفين ، والخوارج ، مع أبيهم ، وعلى الرغم من أن أمير المؤمنين عليا كان ينهى الحسن والحسين على القتال ، خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض فانهما شاركا في الحروب مشاركة فعلية ، كما يستدل من تاريخ تلك المعارك .

مشاركته لأبيه الراى في المسائل العامة :

لما توجه طلحة والزبير ومعهما السيدة عائشة رضى الله عنهم الى البصرة ، كما سترى من التفاصيل فيما بعد ، جاء الامام الحسن لأبيه أمير المؤمنين على رضى الله عنهما ، بعد صلاة الصبح فقال له :

قد أشرت عليك فمعصيتي ، تقتل غدا بمعصية لاناصر لك فيها ، فسأله
وما الذى أشرت به فمعصيتك .

قال الامام الحسن : أشرت حين أحيط بعثمان رضى الله عنه ، أن تخرج
من المدينة فيقتل ولست بها .

ثم أشرت يوم قتل الا تبايع حتى تأتيك وفود العرب ، وبيعة أهل كل
مصر ، فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت .

ثم أشرت حين فعل هذان الرجلان (أى طلحة والزبير) ما فعلا ، ان
تجلس فى بيتك حتى يصطلحا فان كان الفساد كان على يد غيرك ، فمعصيتي
فى ذلك كله .

فلم يأتف أمير المؤمنين أن يساجل ابنه الامام الحسن الرأى ليقنعه
ويريح صدره فقال له :

أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوالله لقد أحيط
بنا كما أحيط به .

وأما قولك لا تبايع حتى تأتى بيعة الأمصار ، فان الأمر أمر أهل
المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر .

وأما قولك حين خرج طلحة والزبير فان ذلك كان وهنا على أهل
الاسلام .

وأما قولك اجلس فى بيتك فكيف لى بما قد لزمنى ، ومن تريدنى ،
أتريد أن أكون مثل الضبع التى يحاط بها ، ويقال لها دباب ، دباب .. ليست
هنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج ، واذا لم أنظر فيما لزمنى من الأمر
ويعنينى ، فمن ينظر فيه ، فكف عنى أى بنى .

وهذا المثل يريك حسن استماع أياه لرأيه وحسن معاملته واقناعه
بالحجة دون استصغار رأيه ، ولولا أنه رأى وزنا لأرائه ، لما قارعها بحجته
الملوية القوية ، وفوق كل ذى علم عليم .

أزواجه وأولاده رضي الله عنه :

نقل ابن أبي حديد عن المدائني قال : كان الحسن كثير التزوج ، تزوج خولة بنت منظور الفزارية ، فولدت له الحسن بن الحسن ، وتزوج أم اسحق بنت طلحة بن عبيد الله فولدت له ابنا سماه طلحة ، وتزوج أم بشر بنت أبي مسعود الأنصاري فولدت له زين بن الحسن ، وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس وهي التي سقته السم ، وتزوج هند ابنة سهيل بن عمر ، وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وتزوج امرأة من كلب ، وتزوج امرأة من بنات عمرو بن أهتم ، وامرأة من ثقيف فولدت له عمرا ، وتزوج امرأة من بنات علقمة بن زرارة ، وامرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة ، فقيل لها تری رأی الخوارج فطلقها ، وقال انی اكره أن أضم الی نحرى جمره من جمر جهنم .

وجاء في كتاب الحسن والحسين للأستاذ محمد رضا أن أولاد الامام الحسن هم السادة :

- ١ — زيد
- ٢ — الحسن
- ٣ — القاسم
- ٤ — أبو بكر
- ٥ — عبد الله
- ٦ — عمرو
- ٧ — عبد الرحمن
- ٨ — الحسين الملقب بالأشرم
- ٩ — محمد
- ١٠ — يعقوب
- ١١ — اسماعيل

وقال أصحاب السير أن العقب الصحيح الموجود الآن من الحسن السبط لزيد والحسن بن الحسن (المثنى) لا غير .

وروى أبو الفرج في الأغاني بسنده عن عوف بن خارجة قال ، والله اني
ثمند عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته ، اذ أقبل رجل يتخطى رقاب
الناس ، حتى قام بين يدي عمر ، فحياه بتحية الخلافة فقال له عمر من أنت ،
قال أنا امرؤ نصراني ، أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبي ، قال فما تريد ،
قال أريد الإسلام فمرضه عليه عليه عمر رضى الله عنه فقبله ، ثم دعا له
برمح ، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاة فآدبر الشيخ واللواء
يهتز على رأسه ، قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركمة قط أمر
على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض على بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابنائه
الحسن والحسين عليهم السلام ، حتى أدركه فاخذ بشيابه ، فقال له يا عم ،
أنا على بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ، وهذان
ابنای الحسن والحسين من ابنته ، وقد رغبتنا في صهرك فأنكحنا .

فقال قد أنكحتك يا على المحيأة بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسن
سلمى بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس
(أم السيدة سكينه) وقال هشام الكلبي كانت الرباب من خيار النساء
وأفضلهن ، فخطبت بعد قتل الامام الحسين فقالت : ما كنت لأتخذ حما
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء في تاريخ الامام على زين العابدين تفضيلة العلامة الشيخ أحمد
فهمي : انه رضى الله عنه تزوج من السيدة فاطمة بنت الحسن بن على رضى
الله عنه ، وهي التي خلفها من زوجته أم اسحق بنت طاحه .

ولما حضرت الامام الحسن الوفاة ، دعا أخاه الامام الحسين وأوصاه
بها ، وقال له يا أخي ، اني أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم ،
فاذا اقتضت عدتها فتزوجها ، وقد نفذ الامام الحسين الوصية وتزوجها
فأعقب منها فاطمة بنت الحسين التي تزوجها ابن أخيه الحسن بن الحسن .

ويحدث الامام جعفر الصادق عن السيدة فاطمة بنت الحسن التي
تزوجها الامام على زين العابدين فيقول كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن
امرأة سواها .

وفي الكافي بسنده عن أبي الصباح عن أبي جعفر محمد الباقر قال كانت أمي قاعدة عند جدار فتصدع الجدار وسمعنا هدة شديدة فقالت بيدها ، لا وحق المصطفى صلى الله عليه وسلم ما أذن لك في السقوط ، فبقي معلقا في الجو حتى جازته ، فتصدق أبي عنها بمائة دينار .
وجاء في كتاب الأغاني ان أول أزواج السيدة سكينة بنت الحسين كان عبد الله بن الحسين بن علي .

مشاهد مباركة بالقاهرة من سلالة الامام الحسن رضى الله عنه :

ومن المشاهد المباركة التي يرتادها الزوار بالقاهرة مشهد سيدى حسن الأنور ، ومشهد السيدة نفيسة ابنته رضى الله عنهما وعن سائر الأشراف .

مناقب سيدى حسن الأنور رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه شيخ بنى هاشم في زمانه ، وجاء في تاريخه أنه روى عن أبيه زيد الأبلج بن الحسن بن علي ، وابن عمه عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وعن عكرمة وغيرهم .

وقد ولاه أبو جعفر المنصور امارة المدينة المنورة ، ثم عزله وجبسه ، لو شاية كاذبة اتهموه فيها أنه يسعى للخلافة ، واستمر في حبسه الى أن ولي المهدي الخلافة العباسية ، فأمر بإخراجه ورد اليه ماله .

وكان رضى الله عنه ، متواضعا لله مع علو قدره ومنصبه ، وقد دخل عليه أحد الشعراء فأثمدته : الله فرد وابن زيد فرد ، فكره منه ذلك وقال له : بفيك الأثلب ألا قلت : الله فرد وابن زيد عبد ، ونزل عن سرير الامارة وألصق خده بالأرض ، يسبح لله تعالى .

وكان رضى الله عنه سخيا بماله ، حتى قال فيه أحد الشعراء :

إذا أمسى ابن زيد لى صديقا فحسبى من مودته نصيبى
ومن وفائه بأبيه ، أن أباه مات والامام حسن الأنور صغير ، وترك أبوه ديننا قدره أربعة آلاف دينار فحلف سيدى حسن الأنور ألا يظلم رأسه

سقف الا سقف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بيت رجل يكلمه
في حاجة ، حتى يقضى دين أبيه فوفى بنذره ، وأدى الدين أداء لحق الأبوة .

وقد خلف سيدي حسن الأنور رضى الله عنه ، من الذكور تسعة ،
ومن البنات اثنتين أم كلثوم ، وقد تزوج بها أبو العباس السفاح ، الخليفة
العباسي ، والسيدة نفيسة وقد تزوجت من ابن عمها سيدي اسحق المؤمن
ابن سيدي جعفر الصادق .

وغلبت شهرة السيدة نفيسة على سائر اخوتها وذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء .

مناقب السيدة نفيسة رضى الله عنها :

أمها أم ولد ، أما اخوتها فأهمهم السيدة زينب بنت الحسن بن الحسن
ابن علي رضى الله عن الجميع .

وجاء في تحفة الأشراف ، أن الامام زيد بن الحسن رضى الله عنه ،
كان يأخذ بيد ولده حسن الأنور ، والد السيدة نفيسة ، ويدخل الى قبر
جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقول يا سيدي يا رسول الله هذا ولدي
الحسن ، أنا عنه راض ، ثم يرجع وينصرف .

فلما كان في بعض الليالي ، أخذته سنة من النوم ، فرأى في نومه
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : يا زيد اتنى راض عن ولدك
الحسن برضاك عنه ، والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاى عنه .

فلما ولى الحسن المدينة كان يذهب الى قبر جده رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ويأخذ بيد ابنته السيدة نفيسة ، وهما بداخل المقام الشريف ،
يقول يا سيدي يا رسول الله ، اتنى راض عن بنتى نفيسة ، ويرجع آيبا
الى داره ، فما زال يكرر ذلك ويقول حتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم
في المنام يقول له : يا حسن اتنى راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها،والحق
سبحانه وتعالى راض عنها برضاى عنها .

وقد مكن الله السيدة قيسة ، فحفظت القرآن الكريم ، وألمت بتفسيره وتأويله ، وشغفت بحديث جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فألمت بالسنة ، وروت من الحديث والآثار الكثير عن أبيها ، وآل بيتها ، وعلماء وقتها ، وبخاصة الامام مالك بن أنس بالمدينة ، ومسلم بن خالد الزنجي بمكة .

وأخذت كذلك بحظ وافر من الفقه والعلم ، حتى لقبته بنفيسة العلم ، وسمع منها الحديث الامام الشافعي حين جاء الى مصر كما سمعه منها جمهرة من علماء وقتها ، مثل ذى النون المصري وعبد الله بن الحكم وولداه محمد وعبد الرحمن ، وعبد الرحمن البويطي ، والريبعان المرادي والجيزي وحرملة ، من أصحاب الامام الشافعي رضى الله عنها وعنهم .

وكانت رضى الله عنها ، عابدة ، ناسكة ، تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وكانت وهى بالمدينة المنورة لا تفارق حرم جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد حجت الى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ، أكثرها ماشية ، وكانت تتعلق بأستار الكعبة وتقول : الهى وسيدى ومولاي ، متعنى وفرحنى برضاك عنى ، فلا تسبب لى سببا يحجيك عنى .

وقالت بنت أخيها زينب بنت يحيى رضى الله عنهما : خدمت عمتى قيسة أربعين سنة ، فما رأيتها نامت الليل ، ولا أفطرت بنهار .

فقلت لها : أما ترفقين بنفسك ، فقالت كيف أرفق بنفسى ، وقدامى عقبات لا يقطعهن الا الفائزون .

وحين اشتكى اليها الناس ظلم أحمد بن طولون فى أول عهده ، قالت لهم متى يركب ، فقالوا فى غد ، فكتبت رقعة ووقعت فى طريقه وقالت له :

يا أحمد بن طولون ، فلما رآها عرفها ، وترجل عن فرسه ، وأخذ
حنا الرقعة ، فاذا فيها مكتوب :

ملكتم فأسرتم ، وقدرتم قهرتم ، وخولتم فمسفتم ، ودرت عليكم
الأرزاق فقطعتم ، وقد علمتم أن سهام الأسفار نافذة وسيما من قلوب
أجتموها ، وأجسام أعرتموها ، اعملوا ما شئتم فانا صابرون ، وجوروا
فانا بالله مستجيرون ، واطلموا فانا منكم متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا
أى منقلب ينقلبون .

فرجع أحمد بن طولون عن ظلمه ، وعدل من ذلك اليوم في حكمه ،
ومن أراد المزيد من تاريخها الحافل ، فليراجع رسالة العلامة الشيخ أحمد
فهمي وعنوانها كريمة الدارين ، وجزى الله المؤلف على مجهوده خيرا كثيرا .

٢ - القاسم بن الحسن بن علي :

وهو أخو أبي بكر المقتول قبله لأبيه وأمه

وروى أبو التمرج بسنده عن حميد بن مسلم قال : خرج الينا غلام ،
كان وجهه شقة قمر ، في يده السيف ، وعليه قميص وأزار ونعلان ، قد
انقطع شسع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى فقال عمرو بن سعيد بن نعيم
الأزدى : والله لأشدن عليه ، فقلت له سبحان الله ، وما تريد من ذلك ،
يكفيك قتله هؤلاء ، الذين تراهم قد احتوشوه من كل جانب ، قال والله
لأشدن عليه ، فما ولى وجهه حتى ضرب رأس الغلام بالسيف ، فوقع الغلام
لوجهه ، وصاح يا عماء ، قال فوالله لتجلى الحسين كما يتجلى الصقر ، ثم
شد شدة الليث اذا غضب ، ف ضرب عمرا بالسيف فاتقاه بساعده فأطنها (أى
قطعها) من لدن المرفق ، ثم تنحى عنه ، وحملت خيل عمر بن سعد فاستنقذوه

من الحسين ، ولما حملت الخيل استقبلته بصدورها ، وجالت فتوطأته ، فلم يرم حتى مات — لعنه الله وأخزاه — فلما تجلت الغيرة ، اذا بالحسين على رأس الغلام وهو يفحص برجليه ، وحسين يقول بعدما تقوم قتلوك ، خصمهم فيك يوم القيامة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : عز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا تنفك اجابته يوم كثر واثره ، وقل ناصره ، ثم احتمله على صدره ، وكأني أنظر الى رجلى الغلام تخطان في الأرض ، حتى ألقاه مع ابنه على بن الحسين ، فسألت عن الغلام فقالوا هو القاسم بن الحسن بن علي صلوات الله عليهم أجمعين .

٣ - عبد الله بن الحسن بن علي :

وأمه بنت السليل بن عبد الله ، أخى جرير بن عبد الله الجلى ، وقيل ان أمه أم ولد ، وروى أبو الفرج عن أبي جعفر بن محمد أن حرمة بن كاهل الأسدى قتله .

فصاحة العلويين وشجاعتهم :

وقد ورث امامنا على ذريته الفصاحة ، كما ورثهم الشجاعة ، فلم تقف فصاحتهم أو شجاعتهم عند الشباب والشيوخ بل كانت في الناشئين منهم ، ونكتفى في التدليل على ذلك بالمثلين الآتين :

المثل الأول : لما أدخل الامام على زين العابدين ، ولم يكن قد بلغ الحلم ، على يزيد في دمشق قال له يزيد :

يا على ، أبوك الذى قطع رحمى ، وجهل حقى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيت .

فقال سيدي زين العابدين ردا عليه : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) .

فقال يزيد لابنه خالد أردد عليه فما درى خالد ما يرد عليه .

المثل الثاني : دعا يزيد عمرو بن الحسن وهو غلام صغير فقال لعمرو
أقتتل هذا الفتى (يعنى خالد ابنه) قال لا ولكن أعطني سكيناً وأعطه
سكيناً ، ثم أقاتله ، فقال له يزيد وأخذه وضه اليه : شنشنة أعرفها من أخزم ،
هل تلد الحية الا حية . أقول وكذب والله يزيد ، ولو أنصف لقال ان ذلك
الشبل من ذلك الأسد ، وما عاشت الحيات ولا توالت الا في بنى أمية
حتى أبادها الله بعدله فاستراح الناس منها .

ولقد قال معاوية يوماً لابن عباس : لماذا تصابون يا بنى هاشم و
أبصاركم فقال وما أبدع ما قال : كما تصابون أتم يا بنى أمية في بصائركم .

فضلاء بنى أمية :

ومن آيات الله الدالة على أنه يختص برحمته من يشاء أن ثلاثة من بنى
أمية امتازوا بالفضل في الاسلام عن قومهم وهم : سيدنا عثمان بن عفان
رضى الله عنه ، وسيدتنا أم المؤمنين ، أم حبيبة بنت أبي سفيان ، زوج النبي
صلى الله عليه وسلم ، وهما من السابقين الأولين ومن أصحاب الهجرة ،
وسيدنا عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الزاهد العادل الذي قلده في
ورعه جده لأمه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين ، فهؤلاء
نستثيهم من بنى أمية ، ونشيد بفضل الله عليهم ، لأننا انما نريد الحق
والانصاف ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

لذلك لا تعجب أن يرثى السيد الشريف الرضى أبو الحسن ، عمر بن
عبد العزيز فيقول :

يا بن عبد العزيز لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك
غير أنى أقول انك قد طبيت وان لم يطب ولم يزك بيتك
أنت نزهتنا عن السب والقذف فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولو أتى ملكك دفعا لما نالك من طارق الردى لهديتك

فهذا الشريف من سادات بنى هاشم ينصف الحق وأهله ، على الرغم
من أنه متور من بنى أمية ، والحق يملو ولا يملى عليه .

وسياتيك نياً بدعة السب التي بدأها معاوية وأمر ولاته بها ، وأبطلها عمر بن عبد العزيز ، لأنها كانت من المنكرات التي سائر فيها معاوية هوى نفسه ، وما مثل الامام على بالذي يسب علانية على أسماع المسلمين المدينين له بالفضل في حماية الدين .

اهل الشام وسب الامام علي :

ولقد قال المسعودي : ارتهى بأهل الشام الأمر في طاعة معاوية الى أن جعلوا لعن على سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير .
وقد حدث بعضهم أنه قال لرجل من زعماء أهل الشام وأهل الرأي فيهم : من أبو تراب هذا الذي يلعنه الامام فوق المنبر ، قال آراه لصا من لصوص العرب ، فانظر الى أي حد بلغ بهم السفه وبلغت بهم الغفلة .

العباسيون واضطهاد بني الحسن :

وليت البلاء الذي أصاب العترة الطاهرة النبوية ، وقف عند ما أصابهم على أيدي بني أمية ، لكنهم ذاقوا من مرارة الاضطهاد والحبس والقتل أيام العباسيين ما يفقت الأكباد ، مع أن الناس حاربوا مع العباسيين على أنهم يعملون على اقامة خلافة علوية ، حتى اذا تمت لهم الغلبة ، آثروا بها أنفسهم ، وجعلوها ملكا عضودا وارثا موروثا .

ولا يتسع مثل هذا الكتيب للتفصيلات ، فليرجع اليها من شاء في المراجع الكبيرة ، واكتفى بالاشارة الى قليل مما وقع في صدر الدولة العباسية .

ابو العباس يحسن معاملة عبد الله بن الحسن واخيه الحسن بن الحسن :

ويؤخذ مما رواه أبو الفرج في مقاتل الطالبين أن أبا العباس لما تولى الخلافة وفد اليه عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وأخوه الحسن بن الحسن فوصلهما ، الا أنه ذكر لعبد الله ابنه محمدا و ابراهيم ، وقال ما خلفهما ومنعهما أن يفدا الى أمير المؤمنين ، وكرر له ذلك مرات .

فقال الحسن بن الحسن لأخيه : اذا سألك عنهما فقل عنهما أعلم الناس بهما ، ففعل ذلك ، فأرسل أبو العباس الى الحسن بن الحسن فقص عليه أمرهما ، فقال : يا أمير المؤمنين أكلمك على هيئة الخلافة أو كما يكلم الرجل ابن عمه .

قال أبو العباس : بل كما يكلم الرجل ابن عمه ، فانك وأخاك عندي بكل منزلة .

قال الحسن بن الحسن : انى أعلم أن الذى حاج لك ذكرهما بعض ما قد بلغك عنهما ، فأشددك الله : هل تظن أن الله ان كان قد كتب فى سابق علمه أن محمدا و ابراهيم وال من هذا الأمر شيئا ، ثم أجلب أهل السموات والأرض بأجمعهم على أن يردوا شيئا مما كتب الله لمحمد و ابراهيم آكانوا راديه ، وان لم يكن كتب لمحمد ذلك الهم حائزون اليه شيئا منه .

فقال لا والله ، ما هو كائن الا ما كتب الله

فقال : يا أمير المؤمنين ، فقيم تفصيكا على هذا الشيخ نعمتك التى أوليته و ايانا معه .

قال فلست بمرض لذكرهما بعد مجلسى هذا ما بقيت ، الا أن يهيجنى شيء فأذكره ، فقطع ذكرهما وانصرف عبدالله الى المدينة . أقول ولعل مصاهرة أبى العباس لبني الحسن كان لها أثرها فى حسن معاملتهم فقد كان متزوجا — كما مر عليك — من السيدة أم كلثوم بنت سيدى حسن الأنور ابن زيد بن الحسن السبط (أخت السيدة ثبيبة) رضى الله عنهم أجمعين .

اضطهاد بنى الحسن أيام المنصور :

قال أبو الفرج فى مقاتل الطالبين ، كان أبو جعفر المنصور قد طلب محمدا و ابراهيم « ولدى عبدالله بن الحسن بن الحسن » فلم يقدر عليهما ، فحبس عبد الله بن الحسن وأخوته ، وجماعة من أهل بيته بالمدينة ، ثم أحضرهم الى الكوفة ، فحبسهم بها ، فلما ظهر محمد قتل عنة منهم فى الحبس .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ بنى هاشم والمقدم فيهم ، وكان مصعب بن الزبير يقول انتهى كل حنن الى عبد الله بن الحسن . كان يقال من أحسن الناس فيقال عبد الله بن الحسن ، ويقال من أفضل الناس فيقال عبد الله بن الحسن ويقال من أقول الناس فيقال عبد الله بن الحسن .

حب عمر بن عبد العزيز لآل البيت :

وروى أبو الفرج كذلك بسنده عن سعيد بن أبان القرشي ، قال كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه عبد الله بن الحسن ، وهو يومئذ شاب في أزار ورداء فرحب به ، وأدناه وحياه ، وأجلسه الى جنبه وضاحكه ، ثم غمز عكته من عكن بطنه ، وليس في البيت يومئذ الا أموى ، فلما قام قالوا له : ما حملك على غمز بطن هذا الفتى قال : انى أرجو بها شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قسوة النصور فى معاملة آل البيت :

قارن بين هذا الذى يقوله الرجل الورع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو أموى ، وبين الذى فعله أبو جعفر وهو هاشمى ، فقد قيدهم فى الأغلال وحبسهم وحين حملوا من المدينة الى الكوفة حملوا على الأقتاب وهم فى القيود الثقال حتى كانت زينب بنت عبد الله بن الحسن تقول متحسرة على ما ترى من تعذيبهم واعتباتهم من الحديد والعباء والمحامل المرأة .

على بن الحسن وورعه :

وكان من بينهم على بن الحسن بن الحسن بن الحسن ، وكانوا فى ظلام السجن لا يدرون الليل من النهار ولا يعرفون أوقات الصلوات الا بأجزاء من القرآن يقرؤها رضى الله عنه ، وقد توفى وهو ساجد فى حبس أبى جعفر ، فقال عمه عبد الله أيقظوا ابن أخى ، فانى أراه قد نام فى سجوده قال فحركوه فاذا هو قد فارق الدنيا .

وحدث عنه من كان معه من أهله الحسين فقالوا : كانت حلق أقيادنا قد اتسعت فكنا اذا أردنا صلاة أو نوما جملناها عنا ، فاذا خفنا دخول الحراس أعديناها ، وكان علي بن الحسن لا يفعل فقال له عمه : يا بني ما يمنعك أن تفعل قال لا والله ، لا أخلعه أبدا حتى اجتمع أنا وأبو جعفر عند الله ، فيسأله لم قيدني به .

قالوا وكان عدد المحبوسين ثمانية - فلما أدخلوا السجن قال علي بن الحسن : اللهم ان كان هذا من سخط منك علينا فاشدد حتى ترضى .
فقال عبد الله بن الحسن : ما هذا يرحمك الله .

سبعة يموتون من آل البيت في السجن :

وحدث عبد الله عن فاطمة الصغرى (بنت الامام الحسين وهي أم عبد الله) عن أبيها عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « يدفن من ولدى سبعة بشاطيء الفرات لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون » ، فقلت نحن ثمانية قال هكذا سمعت فقال فلما فتحوا الباب وجدوهم موتى الا واحدا ، قال الذي نجا منهم أصابوني وبى رمق وسقونى ماء وأخرجونى فعشت .

قالوا واستمر حبسهم ستين ليلة ، وقد ضجر مرة عبد الله بن الحسن ضجرة قتال لعلى بن الحسن : يا على الا ترى مانحن فيه من البلاء ، ألا تطلب الى ربك عز وجل أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء .
قال فسكت عنه طويلا ثم قال :

يا عم ، ان لنا فى الجنة درجة لم تكن نبلغها الا بهذه البلية ، أو بما هو أعظم منها ، وان لأبى جعفر فى النار موضعا لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها ، فان تشأ أن تصبر فما أوشك فيما أصبنا أن نموت فنستريح من هذا الغم كأن لم يكن منه شيء ، وان تشأ أن ندعو ربنا عز وجل أن يخرجك من هذا الغم ، ويقصر بأبى جعفر غايته التى له فى النار فعلنا .

قال : لا ، بل أصبر .

فما مكثوا الا ثلاثا حتى قبضهم الله اليه ، قال أبو الفرج وتوفي على ابن الحسن وهو ابن خمس وأربعين سنة ، لسبع بقين من المحرم سنة ست وأربعين ومائة .

ويؤخذ مما قاله أبو الفرج في مقاتل الطالبين أنه كان في الحبس مع عبد الله بن الحسن بن الحسن أولاد اخوته السادة : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن (آخر السيد على المتقدم ذكره) ، والعباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن ، واسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن ويقال له طباطبا ، ومحمد ابراهيم بن الحسن بن الحسن ، وعلى بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وكان مع هؤلاء كذلك أخوهم لأبهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، رضى الله عنهم أجمعين .

وقال أبو الفرج كان العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن أحد فتيان بنى هاشم وفيه يقول ابن هرمة :

لما تعرضت للحاجات واعتلجت عندي وعاد ضمير القلب وسواسا
سعيت أبني لحاجات ومصدرها برا كريما ثوب المجد لباسا
هداني الله للحسنى ووقفتنى فاعتمت خير شباب الناس عباسا
قدح النبي وقدح من أبى حسن وعن حسين جرى لم يجر أحناسا

وحين أخذوا العباس الى السجن قالت أمه وهي عائشة بنت طلحة دعولنى أشمه شمة وأضمه ضمة فقالوا لا والله ما كنت فى الدنيا حية .

وقال أبو الفرج بسنده عن عبد الرحمن بن أبى الموالى وكان فى السجن مع بنى الحسن : كيف كان صبرهم على ما هم فيه ؟

قال : كانوا صبراء وكان فيهم رجل مثل سبيكة الذهب كلما أوقد عليها النار ازدادت خلاصا ، وهو اسماعيل بن ابراهيم ، كأنه كلما اشتد عليه البلاء ازداد صبرا .

قال أبو الفرج وكان السبب فى حبس عبد الله بن الحسن وأهله ، ان العوام لهجت بمحمد بن عبد الله تسميه المهندى حتى كان يقال محمد بن عبد الله المهدي .

المنصور وموقفه من محمد بن عبد الله :

وقف أبو جعفر المنصور من محمد بن عبد الله على التقيضين ، فقد كان يجله قبل أن يتطلع أبو جعفر للخلافة ، لا بل انه بايعه بالخلافة مرتين ، كانت احدهما بمكة في المسجد الحرام ولما خرج محمد بن عبد الله من المسجد الحرام أمسك له أبو جعفر بالركاب وقال أما انه ان أفضى اليك الأمر نسيت لي هذا الموقف .

وقد روى أبو الترج بسنده أن جماعة من بنى هاشم اجتمعوا بالأبواء ، وفيهم ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وأبو جعفر المنصور ، وصالح بن علي ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن ، وابناء محمد و ابراهيم ، ومحمد بن عبد الله بن بن عمرو بن عثمان .

فقال صالح بن علي : قد علمتم أنكم الذين تمد الناس أعينهم اليهم ، وقد جمعكم الله في هذا الموضع ، فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه اياها من أنفسكم وتواتقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين .

فقال أبو جعفر : لأي شيء تخدعون أنفسكم ، ووالله لقد علمتم ما الناس الى أحد أطول أعناقاً ولا أسرع اجابة منهم الى هذا الفتى - يريد محمد بن عبد الله .

قالوا قد والله صدقت ، ان هذا هو الذي نعلم ، فبايعوا جميعاً محمداً ومسحوا على يده .

قلق المنصور من محمد بن عبد الله :

لذلك كان أبو جعفر قلقاً من تخلف محمد بن عبد الله عن مجلسه ، لأن له بيعة في عنق أبي جعفر ، وانهى به الأمر الى أن يشدد على عبد الله بن الحسن ويقول له : أين ابنك ؟ قال لا أدري ، قال لتأينني به ، فقال عبد الله : لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه ، قال يا ربيع ، قم به الى الحبس ، فحبس وحبس مع أهله كما تقدم .

وقد حدث سيدى الحسن بن زيد قال : دخلنا على عبد الله بن الحسن ابن الحسن ، بمثنا اليه رباج « والى المدينة » بكلمة فى أمر ابنيه ، فاذا به على حقيبة فى بيت فيه تبن ، فتكلم القوم حتى اذا فرغوا من كلامهم أقبل على فقال : يا ابن أخى والله ليليتى أعظم من بلية ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، لن الله عز وجل أمر ابراهيم أن يذبح ابنه ، وهو لله طاعة ، قال ابراهيم (ان هذا هو البلاء المبين) وانكم جئتمونى تكلمونى فى أن آتى بابنى هذا الرجل فيقتلها ، وهو لله جل وعز معصية ، فوالله يا ابن أخى لقد كنت على فراشى فما يأتينى النوم ، وانى على ما ترى أطيب نوما .

قال أبو الفرج ، وكان محمد و ابراهيم يأتیان أباهما معتمين فى هيئة الأعراب ، فيستأذنانه فى الخروج فيقول لا تعجلا حتى تملكا ، ويقول : ان منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ، فلا يمنكما ان تموتا كريمين .

فضائل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن :

قال أبو الفرج كان يقال له صريح قریش ، لأنه لم تقم عنه أم ولد فى جميع آبائه وأمهاته وجداته وكان أهل بيته يسمونه المهدي ، ويقدرُونَ أنه الذى جاء فى الرواية ، وكان علماء آل أبى طالب يرون فيه أنه النفس الزكية وأنه المقتول بأحجار الزيت ، (وجاء فى مروج الذهب أنه كان يدعى النفس الزكية لزهده ونسكه) . وكان من أفضل أهل بيته ، وأكبر أهل زمانه فى علمه بكتاب الله ، وحفظه له ، وفقهه فى الدين ، وشجاعته ، وجوده ، وبأسه ، وكل أمر يجمل بمثله ، حتى لم يشك أحد أنه المهدي ، وشاع ذلك له فى العامة ، وبإيعه رجال من بنى هاشم جميعا من آل أبى طالب ، وآل العباس ، وسائر بنى هاشم .

قالوا ثم ظهر من جعفر بن محمد (أى الصادق) قول فى أنه لا يملك ، وأن الملك يكون فى بنى العباس ، فاتبهوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه .

أقول : وقد علمت مما طالعت ، أن كلام سيدى جعفر بن محمد كان ينظر فيه بنور البصيرة ، وكان رضى الله عنه على نور من ربه ، بل لقد أحس

أن محمدا وإبراهيم سيقتلان ولا يليان الخلافة ، وقد قال لأبيهما ان هذا الأمر والله ليس اليك ولا الى ابيك وانما هو لهذا - يعنى السفاح ثم لهذا يعنى المنصور ثم لولده من بعده - لا يزال فيهم حتى يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء ، وكان أبوهما يستبعد قوله ، فكان الأمر كما صرح ، فتولى أبو العباس السفاح الخلافة ومن بعده أبو جعفر المنصور ، لذلك قالوا ان أبا جعفر المنصور هو الذى سماه (الصادق) فاشتهر بجعفر الصادق ، حيث تحقق للمنصور من كشفه ما كان بعيدا عن تصديقه وكان المنصور اذا حدث عنه قال : قال لى الصادق جعفر بن محمد كذا وكذا .

هذا وقد قال أبو الفرج أنه عند مقتل الوليد بن يزيد ، واختلاف كلمة بنى مروان خرجت دعاة بنى هاشم الى النواحي ، فكان أول ما يظهره فضل على بن أبى طالب وولده ، وما لحقهم من القتل والخوف والتشريد ، فاذا استتب لهم الأمر ادعى كل منهم الوصية لمن يدعو اليه .

ثم قال : فلما ظهرت الدعوة لبني العباس وملكوا ، حرص السفاح والمنصور على الظفر بمحمد وإبراهيم لما فى أعناقهم من البيعة لمحمد، فتواريا، فلم يزالا ينتقلان فى الاستتار ، والطلب يزعجهما من ناحية الى أخرى ، حتى ظهرا فقتلا ، صلوات الله عليهما ورضوانه .

ويقول ابن هرمة فى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن :

لا والذى أنت منه نعمة سلفت نرجو عواقبها فى آخر الزمن
ما غيرت وجهه أم مهجنة اذ القتام ينشى أوجه الهجن

وكان سيدى جعفر الصادق رضى الله عنه ، اذا رأى محمد بن عبد الله تفرغت عيناه ثم يقول : بنفسى هو ، ان الناس يقولون فيه انه المهدي وأنه المقتول . وكان سيدى جعفر الصادق مشهورا فى زمانه بكشف كثير من الأمور الغيبية ، والله يختص برحمته من يشاء (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) .

ولكنفى بهذا القدر مما جرى للسلادة بنى الحسن فى صدر الدولة العباسية حتى لا يخرج بنا الأمر عن الايجاز الذى تتوخاه فى الكتيب ومن

أراد المزيد فليرجع الى مقاتل الطالبين وتاريخ الطبرى وغيرهما من المراجع
الواسعة . ويرحم الله دعبلا الخزاعى حين كان يقول :

أرى أمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبنى العباس من عذر
وهو لا يقصد أن يعذر بنى أمية عذرا شرعيا ، انما يريد أن يعذرهم في
هوى نفوسهم ، وقد غلبهم على الحق فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ،
ولم يكن لبنى العباس وهم من بنى هاشم أن يقلدوهم في مسلكهم الضال
المضل .

وأكاد أجزم أنه لو قام عبد الله بن عباس ما تقدم ، على فضله وعلمه ،
أحدا من الحسينيين أو الحسينيين ، فقد دخل مرة على معاوية بعد موت
سيدنا الحسن عليه السلام فقال له معاوية أنت شيخ بنى هاشم ، ، فقال : أما
وأبو عبد الله حى فلا (يقصد سيدنا الحسين عليه السلام) ، وأين السفاح
وأبو جعفر المنصور من جدهم عبد الله بن العباس في العلم والفضل - وكان
أمر الله قدرا مقدورا .

وفى مناسبة ذكرى دعبل - رحمه الله - تقتطف بعض أبيات من قصيدة
له طويلة (١٢٠ بيتا) أنشدها في خراسان بين يدي سيدى الامام على الرضا
ابن سيدى موسى الكاظم وتحصر فيها على ما أصاب آل البيت من الاضطهاد
والاغتراب والقتل ونوه بفضلهم وتمسك بحبهم :

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| ذكرت محل الربع من عرفات | فأجريت دمع العين بالعبرات |
| وقل عرى صبرى وهاجت صبايتى | رسوم ديار أقمرت وعمرات |
| مدارس آيات خلت من تلاوة | ومنزل وحى مقفر العرصات |
| لآل رسول الله بالخيف من منى | وبالييت والتعريف والجمرات |
| قفا نسأل الدار التى خف أهلها | متى عهدنا بالصوم والصلوات |
| وأين الألى شطت بهم غربة النوى | فأمسين فى الأقطار مغتربات |
| أحب فضاء الدار من أجل حبهم | وأهجر فيهم أسرتى وتقائى |
| وهم أهل ميراث النبى اذا اتموا | وهم خير سادات وخير حماة |
| أمة عدل يقتدى بفعالهم | وتؤمن منهم زلة العثرات |

فيا رب زد قلبي هدى وبصيرة .
لقد أمنت نفسي بهم في حياتها
الم تر أنى من ثلاثين حجة
أرى فيتهم في غيرهم متقسما
سأبكيهم ما ذر في الأفق شارق
وما طلعت شمس وحان غروبها
فلولا الذى أرجوه في اليوم أو غد
فيا نفس طيبي ثم يا نفس فاصبرى
ملامك في أهل النبي فانهم
تخيرتهم رشدا لأمرى فانهم
فيا رب زدنى من يقينى بصيرة

وقد قالوا أنه عندما بلغ فيها قوله :

إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم أكفا عن الأوتار منقبضات
بكى سيدي على الرضا حتى أغمى عليه ، واستعاد ذلك البيت ثلاثا ، وفي
كل مرة يغمى عليه فلما أفاق ، قال له أحسنت ثلاث مرات ، وأعطاه عشرة
آلاف درهم مضروبة باسمه في خراسان ، كما أعطاه ثوبا من ثيابه فعرض
عليه ثلاثون ألفا ثمنا له فأبى وحلف ألا يبيعه أو يعطوه بعض الثوب
ليكون في كفه فأعطوه ، وقالوا كذلك أنه حين قدم دعبل العراق باع كل
درهم بعشرة دراهم ، اشتراها منه الشيعة .

وقد طلب منه المأمون انشاد تلك القصيدة وقال له لك الأمان فلا تخف ،
فصار ينشدها والمأمون يبكى حتى أخضلت (تبللت) لعينه .

وفاة الامام الحسن بن على رضى الله عنه :

قال أبو الفرج ، كانت وفاته عليه السلام بعد عشر سنين خلت من اماره
معاوية ، وذلك في سنة ٥٠ من الهجرة ، وقال أبو القدا وابن الأثير الصحيح
أنه توفي في سنة ٤٩ هـ .

الامام الحسن عليه السلام يموت مسموما :

قال أبو الفرج : دس معاوية السم للامام الحسن حين أراد أن يمهّد الى يزيد بعده ، وكذلك دس معاوية السم لسعد بن أبي وقاص ، فماتا منه في أيام متقاربة .

قال أبو الفرج : وكان الذي تولى ذلك من الحسن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية فقد أرسل اليها انى مزوجك يزيد ابني ، على أن تسمى الحسن بن على وبعث اليها بمائة ألف درهم ، فقبلت وسمت الحسن ، فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد ، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها ، فكان اذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم ، وقالوا يا بنى مسمة الأزواج .

وروى أبو الفرج بسنده عن عمير بن اسحق ، قال : كنت مع الحسن والحسين في الدار ، فدخل الحسن المخرج ، ثم خرج فقال : سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة ، ولقد لفظت قطعة من كبدي ، فجعلت ألقبها بعود ممي ، فقال له الحسين : من سقاك ، فقال وما تريد منه ، أتريد أن تقتله ، ان يكن هو فاقه أشد قمة منك ، وان لم يكن هو فما أحب أن يؤخذ بي برى .

رأى الدكتور طه حسين في قصة السم :

ويقول عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين تعليقا على قصة السم :

« ولست أقطع بأن معاوية قد دس الى الحسن من سمه ، ولكنى لا أقطع كذلك بأنه لم يفعل ، فقد عرف الموت بالسم في أيام معاوية على نحو غريب مريب فقد مات الأشتر — فيما يقول المؤرخون مسموما في طريقه الى ولاية مصر ، فخلصت مصر لمعاوية ، وقال معاوية وعمرو « ان لله لجندا من عسل » ومات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مسموما بخصص في خبر طويل ، ومات الحسن بين هذين الرجلين مسموما كذلك في أكبر الظن ، وخلصت الخلافة لمعاوية وابنه يزيد » .

أقول وعلى الرغم من أن جميع المصادر العربية تقول أن الحسن مات مسموماً فإن دائرة المعارف الإسلامية وهي من صنع المستشرقين ، زعمت كاذبة أنه مات بمرض السل لا فراطه في الشهوة ، وهذا دأب المستشرقين فيما يكتبون ، فإنهم يحاولون دائماً أن يضعفوا الثقة في أئمة المسلمين وسلفهم الصالح ، وهيهات أن يحجبوا نور الشمس بأكفهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

معاوية يشمت بموت الامام الحسن :

وفد عبد الله بن عباس على معاوية ، قال فوالله انى لقي المسجد اذ كبر معاوية في الخضراء ، فكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء ، فخرجت فاخته بنت قرظة بن عمرو بن نوفل من خوذة لها فقالت : سر ك الله يا أمير المؤمنين ، ما هذا الذى بلغك فسرت به ، قال موت الحسن بن على ، فقالت انا لله وانا اليه راجعون ، ثم بكى وقالت مات سيد المرسلين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية : نعم والله ما فعلت انه كان كذلك أهلاً لأن يبكى عليه .

ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فدخل على معاوية ، فقال معاوية : علمت يا ابن العباس أن الحسن قد توفى ، قال أذلك كبرت ، قال نعم ، قال ابن عباس :

والله ما موته بالذى يؤخر أجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ، ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد الأوصياء ، فحجر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة ، فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معداً .

وقد قال أحد الشعراء في شماتة معاوية :

أصبح اليوم ابن هند شامتا ظاهر النخوة اذ مات الحسن
يا ابن هند ان تذق كأس الردى تك في الدهر كشيء لم يكن
لست بالباقي فلا تشمت به كل حى للنبايا مرتهن

ولم تكن شماتة معاوية بموت الامام الحسن مستغربة ، فقد شمت من قبله بموت أبيه الامام على كما سترى فيما بعد .

وقد نسب بعض الرواة دس السم الى يزيد ، ولعلمهم راعوا في ذلك صحبة معاوية فأرادوا أن يجنبوه قتل النفس التي حرم الله الا بالحق، ولكنك ستعلم بعد حين أنه قتل حجر بن عدى وهو صحابي جليل ، وقتل معه أصحاب حجر لا لذنوب الا أنهم كانوا من محبي الامام على وبنيه ، وقد قال تعالى لرسوله داود عليه السلام « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » ، ودع عنك الدماء التي سألت من عشرات الالوف في الجمل وصفين والمعارك التي ترتبت على يعبة يزيد ، وقد ترتبت كلها على موقف معاوية من الامام على وابنيه ، ولم يكن له عذر شرعى فيه .

الامام الحسن يوصى ان يدفن الى جنب جده صلى الله عليه وسلم :

روى أبو الفرج بسنده أن الامام الحسن عليه السلام أرسل الى السيدة عائشة رضى الله عنها أن تأذن له أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ما كان بقى الا موضع قبر واحد ، فلما سمعت بذلك بنو أمية ، اشتملوا بالسلاح هم وبنو هاشم للقتال ، وقالت بنو أمية : والله لا يدفن مع النبي صلى الله عليه وآله أبدا .

فبلغ ذلك الحسن فارسل الى أهله ، أما اذا كان هذا فلا حاجة لي فيه ، ادفنوني الى جانب امي فاطمة ، فدفن الى جنب أمه فاطمة عليها السلام بالبقيع ، وصلى عليه سعيد بن العاص وكان أميرا بالمدينة ، قدمه الامام الحسين للصلاة على أخيه وقال لولا أنها سنة ما قدمتك .

وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين :

لما حضرت الامام الحسن الوفاة قال لأخيه الامام الحسين رضى الله عنهما :

يا أخى ، ان أبانا رحمه الله تعالى ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه ، فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة ، تشوف اليها أيضا فصرفت عنه الى

عمر ، فلما احتضر عمر ، جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصرفت عنه الى عثمان ، فلما هلك عثمان ، بويح ، ثم نوزع حتى جرد السيف ، وطلبها فما صفا له شيء منها .

وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفك استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك ، وقد كنت طلبت الى عائشة اذا مت أن تأذن لى فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت نعم ، وانى لا أدرى لعل ذلك كان منها حياء ، فاذا أنا مت فاطلب ذلك اليها ، فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها ، وما أظن الا القوم سيمنعونك اذا أردت ذلك ، فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد .

قالوا ، ولما بلغ أبا هريرة أن مروان منع أن يدفن الامام الحسن مع جده صلى الله عليه وسلم ، قال والله ما هو الا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه لابن رسول الله ، ثم انطلق الى الامام الحسين وناشده الله وقال له : أليس قد قال أخوك ان خفت أن يكون قتال فردونى الى مقبرة المسلمين .

قال ثعلبة بن أبى مالك : شهدت الحسن يوم مات ودفن فى البقيع ، فلقد رأيت البقيع لو طرحت فيه ابرة ما وقعت الا على رأس انسان (لشدة الزحام) .

ولم يشهد جنازته أحد من بنى أمية الا سعيد بن العاص ، وكان يومئذ أميراً على المدينة فتركوه فشهد دفنه فى المقبرة وقال هى السنة ، وخالد بن الوليد بن عقبة ، ناشد بنى أمية أن يتركوه يشاهد الجنازة ، فتركوه فشهد دفنه .

وأنتك لتعجب كيف لا يشيع بنو أمية جنازة الامام الحسن ، وهو الذى سالمهم وحقق دماءهم ودماء المسلمين ولعلمهم خافوا سطوة معاوية وها قد رأيت أن أهل المدينة خرجوا لتشييمه حتى لو طرحت فى البقيع ابرة ما وقعت الا على رأس انسان ، وهكذا يفضح الصبح فحمة الدجى .

رثاء أخيه محمد بن الحنفية :

مر على القارىء العزيز ما رثاه به الامام الحسين رضى الله عنه ، وهالك
ما رثاه به أخوه لأبيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهم أجمعين :

لئن عزت حياتك ، لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تفسمه
كفنتك ، ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك ، وكيف لا تكون هكذا ، وأنت عقب
الهدى ، وخلف أهل التقوى ، وخامس أصحاب الكساء ، غذتك بالتقوى
أكف الحق ، وأرضعتك ثدى الايمان ، وريبت فى حجر الاسلام ، فطبت
حيا وميتا ، وإن كانت أنفسنا غير سخية بفراقك ، رحمتك الله أبا محمد .

ثم أنشد يقول :

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| أأدهن رأسى أم تطيب مجالسى | وخدك معفور وأنت سليب |
| أأشرب ماء الزن من غير مائه | وقد ضمن الأحشاء منك لهيب |
| سأبكيك ما ناحت حمامة أيكه | وما اخضر فى أرض الحجاز قضيب |
| غريب وأكناف الحجاز تحوطه | أأاكل من تحت التراب غرب |

رثاء رجال من ولد أبى سفيان بن الحارث :

وقام رجل من ولد أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :
ان أقدامكم قد قلت ، وان أعناقكم قد حملت الى هذا القبر ، وليا
من أولياء الله ، ليبشر نبى الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبتهج
الحدور العين بقلائه ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل الحجبى
والدين فقده ، رحمة الله عليه ، وعنده تحسب المصيبة به .

رثاء الشاعر النجاشى :

ومما قاله الشاعر النجاشى فى رثاء الامام الحسن عليه السلام :

| | |
|------------------------|--------------------------|
| جعدة بكيه ولا تسامى | بمد بكاء المعول الثاكل |
| لم يسبل الستر على مثله | فى الأرض من حاف ومن ناعل |
| أعنى الذى أسلمنا هلكه | للزمن المستخرج الساحل |

ورثاء شاعر آخر فقال :

تأس فكم لك من سلوة تخرج عنك غليل العزن
بموت النبي وقتل الوصي وقتل الحسين وسم الحسن

رثاء سليمان بن قتة :

روى أبو العرج بسنده عن محمد بن علي بن حمزة أن سليمان بن
قتة قال في رثاء الامام الحسن :

يا كذب الله من نعى حسنا ليس لتكذيب نعيه ثمن
كنت خليلي وكنت خالصتي لكل حي من أهله سكن
أجول في الدار لا أراك وفي الدار أناس جوارهم غيبن
بدلتهم منك ليت أنهمو أضحوا ويني وبينهم عندن

أقول وصدق صلى الله عليه وسلم حين قال « الخلافة بعدى ثلاثون ثم
تصير ملكا عضودا » ، وقد كملت الثلاثون سنة بخلافة الامام الحسن عليه
السلام ، ثم صارت ملكا عضودا ، لم تتسن فيه خلافة الراشدين ، وصدق
امامنا علي بن أبي طالب حين رأى الناس يجنحون الى الدنيا فقال : أردتكم
له ، وتريدونني لأنفسكم .

من حكم الامام الحسن عليه السلام :

ونسرى قليلا عن القارىء العزيز ببعض من الحكم التي فاض بها
قلب الامام الحسن عليه السلام ، ولا تمجّب من علو مستواها فانه شبل
الامام على كرم الله وجهه ، وسترى وصيته له ، وتصرف منها كيف كانت
عناية أيه بتربيته .

قال الامام الحسن رضى الله عنه : حسن السؤال نصف العلم .

وقال : من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه .

وسئل عن الصمت فقال ، هو سر العى ، وزين العرض ، وفاعله في

راحة ، وجليسه في أمن .

وقيل له : ان أبا ذر يقول : الفقر أحب الى من الغنى ، والسقم أحب الى من الصحة ، فقال رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله ، لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختارها الله له .

وكان رضى الله عنه يقول :

يا ابن آدم ، عف عن محارم الله تكن عابدا ، وارض بما قسم الله لك تكن غنيا ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلا .

وقد سأله أبوه يوما فقال له : يا بني ما السداد ، فقال : دفع المنكر بالمعروف .

قال فما الشرف ، قال : اصطناع العشيعة واحتمال الجريرة .

قال فما السماح ، قال : البذل في العسر واليسر .

قال فما اللؤم ، قال : احراز المرء ماله وبذل عرضه .

قال فما الجبن ، قال : الجراءة على الصديق والتكول عن العدو .

قال فما الغنى ، قال : رضى النفس بما قسم الله لها وان قلى .

قال فما الحلم ، قال : كظم الغيظ وملك النفس .

قال فما المنعة ، قال : شدة البأس ومنازعة أعز الناس .

قال فما الذل ، قال : الفرع عند الصدمة .

قال فما الكلفة ، قال : كلامك فسا لا يعينك .

قال فما المجد ، قال : ان تمطى في الغرم وتمفو في الجرم .

قال فما السؤدد ، قال : اتيان الجميل وترك القبيح .

قال فما السفه ، قال : اتباع الدناءة ومحبة الغواية .

قال فما الغفلة ، قال : ترك المسجد وطاعة المفسد .

وكان رضى الله عنه يقول : لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشره الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعا .

وكان يقول : هلاك الناس في ثلاث : في الكبر والحرص والحسد ،
فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس ، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم
من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هايل .

وكان رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق
وقال رضى الله عنه : لا تأت رجلا الا أن ترجو نواله ، أو تخاف يده ،
أو تستفيد من علمه ، أو ترجو بركته ودعااه ، أو تصل رحما بينك وبينه .
وقال أيضا عليه السلام : علم الناس علمك ، وتعلم علم غيرك ، فتكون
وقد اتفقت علمك علمت .

وقال عليه السلام : دخلت على أمير المؤمنين وهو يجود بنفسه لما
ضربه ابن ملجم ، فجذعت لذلك فقال أتجزع ، ققلت وكيف لا أجزع وأنا
أراك في حالك هذه ، فقال ألا أعلمك خصالا أربعا ان أنت حفظتهن نلت
النجاة ، وان انت ضيعتهن فانتك الداران .

يا بنى لا غنى أكبر من العقل ، ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشة
أشد من العجب ، ولا عيش الذ من حسن الخلق .

الباب الثاني

تاريخه السياسي

* كيف بويع الامام علي * فتنة الخوارج

* الخلافة والملك * لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة

لا يستطيع القارىء أن يتفهم تاريخ الامام الحسن السياسى من غير أن يقف على موجز لتاريخ أبيه الامام على كرم الله وجهه ، لأن الامامين الحسن والحسين عليهما السلام ، شاركا أباهما فى سلمه وحربه ، وعاصرا خطوبه التى تابعت عليه خطبا بعد خطب ، تلك الخطوب التى تهد الجبال من هولها ، كما انها عاشرنا معه أصحابه وأنصاره ، وقاتلا معه أعداءه وخصومه ، وانما كان الذى وقع لهما بعد قتل أبيهما حلقات فى سلسلة واحدة يتصل أولها بآخرها .

ونوجز تاريخ أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه فنقول :

اتتهت الثورة على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بمقتله ، وكان الثوار قد وفدوا الى المدينة المنورة من مصر والكوفة والبصرة ، وقد قتلوه بعد أن حاصروه فى داره أربعين يوما ، ولم يذكروا له أياديه البيضاء على الاسلام والمسلمين ، ولم يذكروا له أن جيوشه صانت مية الدولة الاسلامية بعد مقتل أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وغزت برا وبحرا وأمنت سلامة الدولة ، وضمت بلادا كثيرة فى الشرق والغرب اليها ، كما لم يذكروا له انه جمع المصحف الشريف على ترتيبه الحالى ، وعلى القراءة الغالبة فى زمانه ، حتى لا يختلف المسلمون فيقول هؤلاء قرآنا ويقول أولئك قرآنا ، وهذا من أمجد الأعمال وأجرئها بشهادة الباحثين المدققين .

لكن الفتنة كانت صماء عمياء ، وقام بها الدهماء وحركها اليهودى المنافق عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وكان من رأى امامنا على أن يقاتل دفاعا عن الخليفة المحصور ، واستأذن أمير المؤمنين عثمان فى القتال لكنه لم يقبل كما سترى ، وخشى أن يقوم بين المسلمين حرب أهلية تراق فيها الدماء ، فأثر أن يضحي بنفسه ولا يكون سببا فى حرب شعواء .

ولم يتخل الامام على عن نصرة أمير المؤمنين عثمان ، بكل ما ملكت يده ، فكان يمدده بالرأى الناصح الأمين ، وأرسل ولديه الامامين الحسن والحسين فقاما بسيفيهما على بابيه ليدفعا الثوار من اقتحامه ، وحين منع

الثوار الماء عن أمير المؤمنين عثمان أرسل اليه امامنا على قرب الماء على
عجل .

وكان موقف امامنا على من هذه الفتنة في غاية الدقة ، فالثوار كانوا
يلجأون اليه ويلوذون به ، وأمير المؤمنين عثمان كان يراجعه ويشاوره المرة
بعد المرة ، وكلما هم أمير المؤمنين عثمان أن يعمل برأى امامنا على ، كان
مروان يشككه ويخوفه ، حتى وقع ما قدر الله أن يكون من استشهاد أمير
المؤمنين عثمان ، حيث تسور الثوار عليه الدار من الخلف من بيت مجاور
لأحد الأنصار وقتلوه ، وقد حزن لقتله سيدنا على ، ولطم ابنه الحسن على
وجهه ظنا منه أنهم دخلوا عليه من الباب .

وبقيت المدينة خمسة أيام بعد الاستشهاد يحكمها الغافقي بن حرب
زعيم الثوار ، وهم يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالخلافة .

وكان هوى أهل مصر مع الامام على ، وهوى أهل البصرة مع طلحة
ابن عبيد الله ، وهوى أهل الكوفة مع الزبير بن العوام .

وكان المصريون يلحون على الامام على ، وهو يهرب منهم الى الحيطان
(البساتين) ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون
طلحة فلا يجيبهم .

فقالوا فيما بينهم ، لا نولى أحدا من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا الى
سعد بن أبي وقاص ، فقالوا انك من أهل الشورى ، فلم يقبل منهم ، ثم
راحوا الى ابن عمر فابى عليهم ، فحاروا في أمرهم .

ثم قالوا : ان نحن رجعنا الى أمصارنا بقتل عثمان من غير امرة ،
اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا الى الامام على والحووا عليه ،
فأخذ الأشر بيده فبايعه وبايعه الناس ، وكلهم يقول لا يصلح لها الا على
وقد أرادوا أن يبايعوه في داره ، فأبى الا أن تكون البيعة علانية في
المسجد ، وقال لو تخلف عنى بدرى واحد من أهل بدر لا أقبل الخلافة ،
فبايعه المهاجرون والأنصار وأهل بدر ولم يتخلف عنه بدرى واحد .

فلما كان يوم الجمعة ، وصعد المنبر ، بايعه من لم يبايعه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة ، ثم الزبير .

وأنت ترى من ذلك أن الخلافة جاءت منقاداً راجمة ، ولم يكن غيرهم يصلح لها على الشروط التي شرطها الثوار ، لذلك كان ، كرم الله وجهه ، صادقاً حين قال : إن العامة لم تبايعني لسultan غالب ، ولا لعرض حاضر .

وبراءة الامام على من دم أمير المؤمنين عثمان أوضح من الواضح وأظهر من الظاهر ، ولو كان أمير المؤمنين عثمان يشك فيه ولو قليلاً ما فزع إليه كلما تحرجت عليه الأمور ، وقد ساعده في تفريج الأمور ، قصر الناس عن الالتفاف حول طلحة ، وأعطاهم الأموال من بيت المال ، حتى اضطر حين لم يجد المفتاح أن يكسر الباب ليمجل لهم المطء فتسكن نائرتهم ، وقد سر عمله هذا أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ، وقد كان على يقين من إخلاص امامنا على ووفائه ، يدلك على ذلك أنه اتصل به فى أخريات أيامه فقال له : إن أمر الناس ارتفع فى شأنى فوق قدره وزعموا أنهم لا يرجعون دون دمي ، وطمع فى من لا يدفع عن نفسه :

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل .. والا فأدركنى ولما أمزق .

وقد حاول امامنا على ، كرم الله وجهه ، أن يدفع الشر عن الخليفة بكل ما ملكت يده ، حتى غلب قضاء الله ، فقد روى شداد بن أوس أن الامام علياً خرج من داره حين أحاط الثوار ببيت عثمان عليه السلام معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلداً سيفه ، أمامه الحسن وعبدالله بن عمر فى نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم .

ثم دخلوا على الخليفة ، فسلم عليه الامام على ، وقال بعد تمهيد وجيز ، لا أرى القوم الا قاتليك فمرنا فلنقاتل ، فقال الخليفة : أنشد الله رجلاً رأى لله حقاً وأقر أن لى عليه حقاً ، أن يهريق فى سبيلى ملء محجمة من دم ، أو يهريق دمه فى ، فأعاد على القول ، فأعاد الخليفة عليه هذا الجواب .

ثم خرج الامام على من عنده الى المسجد ، وحضرت الصلاة فنادوه : يا أبا الحسن تقدم فصل بالناس ، فقال : لا أصلى بكم والامام محصور

ولكنى أصلى وحدي ، ثم صلى وحده وانصرف الى منزله ، وترك ابنيه الحسن والحسين مع أبناء زمرة الصحابة في حراسة دار الخليفة ، الا أن الثوار تسوروا الدار من دار مجاورة وقتلوا الخليفة كما مر القول ، فمات شهيدا ، ولو شاء لسفك دماء الثوار قبل أن يمسه بسوء ، بما له من ولاية وسلطان عليهم ، ولكن الله غالب على أمره .

أقول ومن عجب أن يتهم معاوية وأعوامه الامام على بقتل عثمان رضى الله عنه ، وقد بذل كل جهد مستطاع في نصرته وحمايته حتى انه عهد الى ولديه الحسن والحسين أن يقفا مدافعين عنه بسيفيهما مع أنه كان يظن بهما خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض ، ولم يحرك معاوية ساكنا في نصرة عثمان عليه السلام ، وكان معاوية متمكنا في ولايته بالمال والرجال ، وكان حاضرا المؤتمر الذي عقده أمير المؤمنين عثمان من مستشاريه للتفكر في طلبات الثوار ، كما كان عمرو بن العاص حاضرا ذلك المؤتمر ورأوا رأي العين خطر الثورة على الخليفة ، لكن معاوية كان يتطلع في نفسه الى الخلافة اذا أقصى عثمان عنها ، وكان عمرو موقورا من عثمان حيث عزله عن ولاية مصر فكان يحرض عليه ، لا بل انه أول من أشار عليه باعتزال الخلافة فابى عثمان اعتزالها وقال لا أنزع قميصا ألبسنيه الله ، كما أبى أن يخرج من المدينة وقال ، لا أترك جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موقعة الجمل :

ولكن ما الحيلة في مغالطة المغالطين من خصوم الامام على ، فقد رموه بدم عثمان زورا وبهتانا وطالبوه بتسليم قتلته أو القود (القصاص) منهم تعجيزا له في بداية خلافته .

أما القتل فلم يكونوا معروفين على وجه التحديد ، وأما القود فلولى الأمر ، وهم لم يعترفوا بولايته ومن كان منهم بايعة عدل عن بيعته . ذلك بأن طلحة والزبير ، تعلا بمقتل عثمان ، بعد أن كان بايما أمير المؤمنين عليا ، على ملا من المهاجرين والانصار ، كما تعلل بمقتل عثمان

معاوية حين أبى أن يبايع ، مع أن أهل المدينة من المهاجرين والأنصار عقدوا
لأمير المؤمنين على البيعة ، والناس تبع لهم في سائر الأقطار والأمصار
وجرى الأمر على ذلك في خلافة سادتنا أبي بكر وعمر وعثمان رضى
الله عنهم .

وكان الإمام على رضى الله عنه ، من الذكاء بحيث لا تنطلى عليه حيلة
خصومه ، لكنه كان يعامل الله في عباده ، فيخشاه سبحانه ولا يخشى
الناس ، فوسع خصومه بالحلم والمهادنة ، والاقناع قبل أن يجرد فيهم
سيفه ، ليعذره الله في قتالهم بماله من ولاية وسلطان عليهم .

وكان لمعاوية أكبر ضلع في تلك الفتنة المشؤومة ، فانه كتب من الشام
طلحة ولقبه بأمير المؤمنين ولم يكن ذلك جائزا منه ، فان بيعة أهل المدينة،
وقد بايعوا الإمام عليا ، قد لزم معاوية ، وهو بالشام ، كما لزمته بيعة
الخلفاء قبله ، كما أن معاوية حرض طلحة على مناوأة أمير المؤمنين على .

وقد طلب طلحة والزيبر أن يشركهما أمير المؤمنين على معه أو أن
يوليها البصرة والكوفة ، أما اشراكهما في الخلافة فليس بالأمر الطبيعي ،
فالخلافة له وحده ، وأما الولاية ، فانها كانت تمكنهما من مناوأته ، وكانت
العراق موطن المال والرجال ، كما أنها قريبة الجوار من بلاد الشام التي
أمت منها مناوأة معاوية .

وقد استأذن طلحة والزيبر أمير المؤمنين عليا في الخروج الى مكة ،
وقالا له ، اتنا نريد العمرة ، فقال لهما انكما لا تريدان العمرة بل تريدان
الغدرة .

وقد أفلح طلحة والزيبر في اقناع السيدة عائشة رضى الله عنها في
الخروج معها الى العراق ، وتأيدهما ، وكان طلحة تيميا من أبناء عمومتها،
وكان الزيبر زوجا لأختها السيدة أسماء بنت أبي بكر ، وكذلك رجاها ابن
أختها عبدالله بن الزيبر ، وكان ربيبا لها من طفولته ، بل انها كانت تكنى به
ويقال لها « أم عبد الله » ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى
اختار لها هذه الكنية .

خرج طلحة والزبير بجيشهما الى البصرة ، وخرجت مع الجيش السيدة عائشة ، وحين اختلفا في الطريق أيهما يكون اماما قدمت ابن اختها عبد الله ابن الزبير فصلى بالناس .

وقد تحققت في الطريق معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فانه قال مرة لسيداتنا أمهات المؤمنين : أيتكن صاحبة الجمل الأحذب ، تنبعضها كلاب الحوآب ، ثم نظر الى السيدة عائشة وقال لها أخشى أن تكونيها ياحميراء .

فقد نبحت كلاب الحوآب ، وكانت سيدتنا عائشة تركب الجمل الأحذب ، ولما علمت بذلك همت بالرجوع ، فأتى لها عبد الله بن الزبير بجماعة من البدو شهدوا زورا بأن هذه الجهة ليست الحوآب ، وكانت هذه بكل أسف ، أول شهادة زور وقعت لله الاسلام .

فسارت مع الجيش مكذوبة ومخدوعة ، رضى الله عنها ، وكان ما قدر الله من التحام جيش طلحة والزبير بقوات أمير المؤمنين على في البصرة في الواقعة التي عرفت بواقعة الجمل نسبة الى الجمل الذي كانت تركبه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

وكان من عادة أمير المؤمنين على ، أن يبدأ باقتاع خصومه قبل أن يبدأهم بالقتال كما قدمنا .

فنادى الزبير من بين صفوفهم ، وقال له : أتذكر أنك يوما صافحتنى وعاققتنى بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لك أتجبه ، فقلت كيف لا أحبه وهو أخى وابن خالى ، فقال لك : أما أنك ستقاتله وأنت ظالم له ، فقال الزبير : لقد أذكرتني ما أنساياه الدهر ، لو ذكرت ذلك ما خرجت والله لا أقاتلك أبدا ، وانسحب من المعركة ، فعيه ابنه عبد الله بن الزبير ، وقال له تعيرنا نساء قريش ، فقال يا بنى لقد أذكرنى ما أنساياه الدهر ، العار ولا النار .

هذه نفس الزبير ، نفس كريمة ، رجاعة للحق ، والرجوع الى الحق أولى من التماهى في الباطل .

وقدر الله ، أن يقتل الزبير رضى الله عنه خارج المعركة في وادى
الجرموز ، فلما من قاتله أن ذلك يرضى الامام عليا ، فذهب برأس الزبير
الى الامام على ، يطلب منه أجره ، فقال له أما انى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول بشر قاتل الزبير بالنار .

والتحمت القوات بعضها ببعض ، وكان القتال عنيفا حول الجمل ، فأمر
امامنا على بمقر الجمل فعقر ، وتم النصر لأمير المؤمنين على خصومه ، وأكرم
معاملة أم المؤمنين فقالت رضى الله عنها له : يا ابن أبى طالب ملكت فأسجج ،
فقال غفر الله لك ، فقالت رضى الله عنها له : وغفر لك .

وقد ندمت السيدة عائشة أشد الندم لخروجها وقالت ، لو لم أسر
مسيرى ذلك لكان أحب الى من أن يكون لى ستة عشر ذكرا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (فقيه المدينة)
كما قالت ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين عاما ، وكانت كثيرا ما تبكى
وتقول (وقرن فى بيوتكن) .

والسيدة عائشة أم ربيعة بأبنائها ، ولا شك أنها تألمت حين رأت قريبا
من عشرين ألف نفس من أبنائها المؤمنين يموتون فى تلك المعركة ، والفتتان
من المؤمنين وعندما تركت رضى الله عنها البصرة الى المدينة ، ودعاها الناس ،
فقال لهم انه لم يكن قط بينها وبين الامام على الا ما يكون بين المرأة
وأحمائها (أهل الزوج) .

وتلك نفس السيدة عائشة ، وهى نفس كريمة أوبة .

أما طلحة ، فقد ضربه مروان بن الحكم فقتله ، واعجب أيها القارىء
الكريم من حليف يقتل حليفه ، فان طلحة كان مروان تحت رايته ، ولكنه
رأى أن يثار منه لعثمان حيث كان الثوار يلتفتون حول طلحة بالمدينة ورأى
مروان أنه ربما لا يملك فرصة خيرا من هذه فى الثأر منه .

وكانت نفس طلحة نفسا كريمة كذلك ، فانه رأى رجلا قريبا منه وهو
يجود بنفسه ، فسأله من أى الفريقين أنت ، قال من فريق أمير المؤمنين على ،
فقال أبلغه انى مبايعه ، فلما بلغ الرجل أمير المؤمنين ذلك ، قال أبى الله أن
يدخل طلحة الجنة الا ويبعثى فى عنقه .

وقد تأثر أمير المؤمنين على حين رأى طلحة قتيلا ، ونفض التراب عن وجهه وقال : أعزز على بأن أراك مجدلا تحت السماء أبا محمد .

وكانت واقعة الجمل أولى المآسي التي قامت في وجه أمير المؤمنين على في بداية خلافته ، وقد جاءت من الحجاز ، لكنك رأيت أن خصومه فيها كانوا ذوى نفوس كريمة رجاعة الى الحق غير متمادية في الباطل ، ولا عجب فطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ، وأم المؤمنين نزلت براءتها في القرآن الكريم (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) . وعلى الرغم من أن الامام عليا تمت له القلبية ، فانه كان شديد التألم لما وقع ، حتى انه كان يقول : وودت لو أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين عاما ، كما كان يقول لو عرفت أن الأمر يبلغ بنا ما بلغ ما دخلت فيه .

الامام الحسن كان يرى بقاء ابيه بالمدينة :

لم يكن من رأى الامام الحسن أن يترك أبوه المدينة ، ويرحل الى العراق للقاء طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم ، وكان يفضل أن يبقى أبوه مجاورا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكره له أن يذهب الى دار غربة ويتعرض للموت بمضيعة ، حتى لقد بكى الامام الحسن حين رأى ركاب ابيه يؤم العراق ، فقال له أبوه : انك لتحن حنين الجارية .

أما أبوه فكان يرى أن العراق موطن المال والرجال ، وكان أبوه من أشد الناس ميلا الى السلم مع المسلمين ، كما يتبين من تصرفاته مع خصومه ، حتى مع الخوارج ، الا أن المقدر غلب على تقديره ، فكانت الحروب ، ذلك الى أن الامام عليا كان يتوقع وثبة على العراق من معاوية فكان يرى أن يكون قريبا من الشام لمقابلة تلك الوثبة .

امير المؤمنين على كان يظن بالحسن والحسين عن القتال :

وكان امامنا على يظن بالحسن والحسين عن القتال في واقعة الجمل ، وقال لأصحابه : املكوا عنى هذين ، لتلا يهدانى ، لاني أخشى أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض ، ودفع الراية لابنه

محمد بن الحنفية وهو أخوهما لأبيهما ، وأبلى محمد في المعركة بلاء عظيما حتى قال قائلهم مادحا له :

أبوك الذي لم يركب الخيل مثله على وسماك النبي محمدا

حروب صفين :

أما المأساة الثانية ، فجاءته من بلاد الشام ، وكانت أشد هولاً ، وراح ضحيتها عشرات الألوف من الفريقين ، وكنت ترى الرجل في صف معاوية وابنه في صف أمير المؤمنين ، أو ترى الأخوين ، كل منهما في صف غير صف أخيه .

وقد حاول أمير المؤمنين على كعادته أن يعالج الأمر بالاقناع والمراسلة ، ولكن أبي معاوية الا عنادا ، وشد أزره في موقف العناد عمرو بن العاص .

الخلافة والملك :

وقد تعلق معاوية ظاهرا بمقتل عثمان ، الا أنه في الحقيقة كان يصبو الى الملك ، الذي تهيأ له المجتمع ، حيث فتحت خيرات الدنيا على الناس ، ففتنوا بها ، وجنحوا الى زخرفها ، وصدق الله تعالى اذ يقول : (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) .

ان الورع أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء الثلاثة من بعده ، حجز الناس عن الافتتان بمادة الدنيا ، وان كانوا قد استشرفوا لها في أخريات أيام عثمان رضى الله عنه ، نتيجة لاتساع الفتوحات واختلاط العرب بغيرهم في البلاد التي فتحوها واتساع تجارتهم التي درت عليهم أموالا وافرة لم يكن لهم بها عهد .

وكان الامام على يريد أن يعيد الناس الى سيرتهم الأولى في الورع والزهد ، وضرب بنفسه المثل الأعلى لهم ، وكان معاوية يدفع بهم الى ما تصبو اليه نفوسهم من المال والجاه .

وهذا يفسر لك ما كان يحذره الخليفة الأول سيدنا أبو بكر الصديق
رضي الله عنه حين أوصى أمير المؤمنين عمر بعد أن استخلفه على الناس ،
وقال له في وصيته :

« احذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذين اتفخت أجوافهم وطمحت أبصارهم ، وأحب كل امرئ نفسه وان
منهم الحيرة عند زلة واحد منهم ، فإياك أن تكونه ، واعلم أنهم لن يزالوا
منك خائفين ما خفت الله » .

بين سياستي عمر وعثمان :

وقد التزم أمير المؤمنين عمر هذه الوصية ، فحجّر على أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبرحوا المدينة ، حتى لقد كانوا يستأذنون
في الخروج للقتال ، فكان يقول لهم : كماكم شرف الجهاد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

أما أمير المؤمنين عثمان ، فقد غير تلك السياسة ، وسمح لأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضربوا في الأرض ، فأتسعت تجارتهم ،
وكرت أموالهم ، ولعله كان مدفوعاً في ذلك التغيير بما رآه من ملهم من
شدة أمير المؤمنين عمر ، وكان أمير المؤمنين عمر يلحظ في أخريات أيامه مل
قريش منه ويتمنى لو ترك الخلافة ، بل انه تمنى الموت وطلبه من الله في
رجوعه من الحج الأخير فاستجاب له .

رسائل متبادلة بين الامام علي ومعاوية :

وعلى ضوء ما تقدم ، انظر في الرسالتين التاليتين المتبادلتين بين أمير
المؤمنين علي كرم الله وجهه ومعاوية ، لترى المشادة واضحة بين الصديق
والمخالطة ، أو بين الدين والدنيا ، أو بين الخلافة التي يمثلها أمير المؤمنين
علي ، والملك الذي ينشده معاوية ، الذي الف حضارة الشام ، ورخاء
العيش ، ورأى ملوك الرومان المجاورين في أبهة ملكهم ، وسعة مظاهرهم .

كتب أمير المؤمنين علي إلى معاوية بعد واقعة الجمل (وقد سبقته كتب كثيرة من المدينة المنورة) :

سلام عليك ، أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمته وأنت بالشام ، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان علي ما بايعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل وسموه أماما ، كان ذلك لله رضا ، وإن خرج عن أمرهم ردوه إلى ما خرج عنه ، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاء الله ما تولى ، واصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وإن طلحة والزبير ، بايعاني ، ثم تقضا بيعتهما ، وكان تقضهما كردهما ، فجاهدتهما ، بعد ما أعذرت إليهما ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون .

فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلى قبلك العافية ، وقد أكثرت في قتلة عثمان ، فإن رجعت عن رأيك وخلافك ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم إلى ، حملتك وإياهم على كتاب الله .

وأما تلك التي تريدها — يعني الخلافة — فهي خدعة الصبي عن اللبن ، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدتني أبرأ قريش من دم عثمان ، واعلم أنك من الطلقاء (يشير إلى أن معاوية وأباه أطلقا من الأسر يوم فتح مكة ، حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش ما تظنون أني فاعل بكم ، قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال في سماحة النبوة اذهبوا فأنتم الطلقاء) ، الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون في الشورى . وقد بعثت إليك وإلى من قبلك ، جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايعه ولا قوة إلا بالله .

وقد رد معاوية قائلا :

سلام عليك ، أما بعد فلمعري لو بايعك الذين ذكرت ، وأنت يرى من دم عثمان ، لكنك كأبي بكر وعمر وعثمان ، ولكنك أغريت بدم عثمان ، وخذلت الأنصار ، فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف .

وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ، فان فعلت
كانت شورى بين المسلمين ، وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس
والحق فيهم ، فلما قارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام ، ولعمري
ما حجتك على أهل الشام كحجتك على طلحة والزبير ، ان كانا بايعاك فلم
أبايعك أنا .

فأما فضلك في الاسلام ، وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلست أدفعه .

تعقيب على رسالة معاوية :

وها أنت ترى معي من رد معاوية كل مغالطة ، وانى لأعجب كيف
تصدر مثل هذه الرسالة من رجل صحابي ، وقد ضمنها مبادئ خطيرة ،
لا يقوم أى منها على حجة صحيحة ، وقد أهدر فيها حقوقا كثيرة ، واليك
ما أراه فيها من الأباطيل :

أولا : انه اتهم أمير المؤمنين بدم عثمان والتحريض عليه ، وهو عكس
ما وقع ، وقد مر عليك أنه دفع عنه بكل الوسائل حتى غلب عليه قضاء الله .

ثانيا : انه أسقط العدالة عن المهاجرين والأنصار ، مدعيا عليهم أن
الحق قارقهم الى أهل الشام ، وهذا محض اقتراء على أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وعلى أهل بدر الذين لم يتخلف واحد منهم عن بيعة
أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، ورضاء الله على أهل بدر ثابت ، والامام
على من أبرزهم .

ثالثا : ان معاوية يعترف بفضل الامام على في الاسلام بقوله ، ولا
يعترف به في فعله ، فلو أنه كان صادقا فيما يقول ، لوقف منه موقف المقر
بفضله ، لكنه خاصمه ، وفجر في خصومته ، ولم يقف في الخلاف معه عند
دم عثمان الذى يدعيه ، بل فتح للباطل أبوابا أخرى ، فتسليم قتلة عثمان
لا يكتفى ، وشورى الحجازيين والعراقيين لا تكفى ، لأنهم ليسوا على حق ،
وانما أهل الشام هم أهل الحق وحدهم .

وهكذا يصارع باطل المبطلين حق المحققين في غير تحرج أو تأثم ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

الحرب بعد المسألة :

ولما لم يجد الاقناع الصادق شيئا ، زحف أمير المؤمنين على بجيشه من الكوفة الى صفين ووجد جيش معاوية على الماء ، فنجاه عنه بقتال يسد أن أبي معاوية أن يخلى السبيل الى الماء ، وهو موقف غير انساني من معاوية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا أن نحسن في الطعام والشراب للحيوان فكيف بالانسان .

وأين موقف معاوية الذي ينافي الانسانية من موقف أمير المؤمنين على فانه حين غلب معاوية على الماء لم يعامله بالمثل بل سمح لجيش معاوية بالماء ، ولم يقابل السيئة بالسيئة ، ولو فعل ما كان ملوما في لغة الحرب ، والبادي أظلم .

ثم وقع قتال شديد بين جيش العراق وعلى رأسه أمير المؤمنين على ، وبين جيش الشام ، وعلى رأسه معاوية ، ولاحت كفة النصر لأمير المؤمنين في ليلة الهرير التي بلغ القتال فيها أشده ، وهم معاوية بالفرار مهزوما ، لولا أن عمرو بن العاص أشار عليه بخدعة رفع المصاحف على أسنة الرماح كإشارة الى طلب التحكيم بين الفريقين .

خدعة التحكيم :

وعلى الرغم من أن أمير المؤمنين بين لجيشه أنها خدعة وبين لهم أن خصومهم ليسوا أهل دين مأمون ، الا أنهم ركبوا رهوسهم ، واستحوذ عليهم الشيطان فعاندوا أميرهم ، وطلبوا أن يرسل أمره للأشتر ليتراجع ويوقف القتال ، وكان الأشتر قد دخل عسكر معاوية متقدما متبصرًا ، ولما رجا الأشتر أن يمهل ساعة واحدة يكسب فيها النصر على أئمه ، تمرد جيش أمير المؤمنين وزادوا عتوا وعقوقا في ساعة الجحد التي تجب فيها الطاعة ، كما يجب فيها اتحاد الكلمة ، ووصل بهم العقوق أنهم هددوه بتسليمه لمعاوية أو قتله كما قتل عثمان ، وجديز بالذكر أن فكرة رفع

المصاحف ، لم تكن من ابتكار عمرو بن العاص بل انها أصلا من ابتكار أمير المؤمنين على فهو الذي رفعها من قبل فى معركة الجمل ، وعنه أخذ الفكرة عمرو فى معارك صفين .

الاشعث بن قيس وموقفه المشين :

وعندئذ أكره أمير المؤمنين على قبول التحكيم الذى لم يكن فى محله ، وكان على رأس العاقين المشاقين ، الاشعث بن قيس الذى خطب فى قومه من كندة قائلا :

قد رأيتم يا معشر المسلمين ما كان فى يومكم هذا الماضى ، وما قد فنى فيه من العرب ، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ ، فما رأيت مثل هذا اليوم قط ، الا فليلغ الشاهد الغائب ، انا ان لم تتواقف غدا لفنيت العرب ، وضيعت الحرمات ، أما والله لا أقول هذه المقالة خوفا من الحرب ، ولكنى رجل مسن أخاف على النساء والذرارى غدا اذا فنيانا .

ويحق للقارىء أن يعجب لمثل هذا الموقف المشين من الاشعث ، وقد كان الأشتر متقدما بجنده داخل عسكر معاوية ، وكانت روح عسكر الشام قد ضعفت حين قتلوا عمار بن ياسر الصحابى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : تقتلك الفئة الباغية ، وكان عمار رضى الله عنه يقاتل بهمة لا تعرف الكلل (رغم شيخوخته) فى صف أمير المؤمنين على ، بل كان يده اليمنى يومئذ وقد جاء فى الحديث الشريف : (ان الجنة تشتاق الى أربع ، عمار وعلى وسلمان وبلال) .

تاريخ الاشعث :

ويزول عن القارىء العجب ، اذا وقف على تاريخ الاشعث بن قيس ، فقد كان ذلك الرجل على رأس كندة وكان يطمع فى الملك ، ثم ارتد بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، فحاربه سيدنا أبو بكر وحصره فى الحصن ، حتى استسلم على أن يسلم بدمه ودم عشرة من أصحابه ، وجاء تائبا الى سيدنا أبى بكر ، فقبل توبته وزوجه أخته أم فروة .

اكراه امير المؤمنين على اختيار ابي موسى الأشعري في التحكيم :

وليت الأشعث ترك لأمير المؤمنين أن يختار الحكم الذي يطمئن الى وعيه وصحة رأيه ، حين اختار معاوية عمرو بن العاص من جانبه للتحكيم ، فأراد أمير المؤمنين على أن يقابله بعبد الله بن عباس من جانبه ، الا أن الأشعث عارض وقال : انا رضينا بأبي موسى الأشعري ، فقال أمير المؤمنين انه ليس لي بثقة ، قد فارقتي وخذل الناس عني « كان ذلك في واقعة الجمل » ثم هرب حتى أمته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك ، قالوا لا نريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، ليس الى واحد منكما بأدنى من الآخر .

قال فاني أجعل الأشر فقال الأشعث — وهو يحصد الأشر على مكاتته وبلائه — وهل سعر الارض غير الأشر أو قال وهل نحن الا في حكم الأشر .

فلما رأى الامام اصرارهم وقلة أنصاره ، قال قد أيتيم الا ابا موسى . قالوا نعم ، قال فاصنعوا ما بدالكم .

تعقيب للعلامة العقاد :

واليك ما يعقب به العلامة المرحوم عباس العقاد على موقف ذلك الأشعث في كتابه « عبقرية الامام على » :

« فهذا رجل من الزعماء ، المطاعين في جيش على ، لم يدع من وسعه شيئا لتغليب حزب معاوية على حزبه ، واستكثر عليه أن يكون الحكم الذي يختاره نصيرا له ، مؤمنا بحقه وصحة رأيه .

ولا طائل في البحث عن هذا الخذلان الصريح ، آكان هو الطمع في الملك بعد فشل على ، أم النعمة على الأشر النخعي في مكاتته وبلائه ، أم التواطؤ بينه وبين معاوية على منفعة مؤجلة ومكافأة موعودة » .

رأى للمؤلف :

واني أقول تعقيبا على كلام العلامة العقاد ، اني أرجح الاحتمال الثالث وهو الأخير ، وأستند في ترجيحي هذا الى ما يأتي :

أ) ان الامام الحسن ، كما علمت مات مسموما ، وقد دست له السم زوجته جمدة بنت الأشعث بن قيس ، فكما خذل أبوها أمير المؤمنين عليا ، قتلت هي زوجها لمال أعطى لها ، ووعد بزواجها من يزيد ، فوفى لها المال ولم يأمنوها على حياة يزيد .

ب) ان معاوية كما ستري فيما بعد ، اشترى بماله ذمة عبيد الله بن عباس ، وكان صاحب لواء في جيش أمير المؤمنين الحسن بن علي ، ودفع له معاوية نصف المال الذي وعده به فورا ، ووعدته بدفع النصف الثاني عندما يدخل معاوية الكوفة .

وقد ترك عبيد الله بن عباس لواءه وانحاز الى صف معاوية ، مما اضطر قيس بن سعد بن عبادة أن يصلى بالناس بدله ، واذا كان معاوية قد اشترى ذمة عبيد الله بن عباس وهو من صميم بنى هاشم فشاء غيره أيسر وأرخص .

وقد ذهب المال وذهب الرجال وسجل التاريخ موقفا مخزيا لكل من معاوية وعبيد الله بن عباس .

ج) ان معاوية أغرى عمرو بن العاص بخراج مصر كلها ان تم له الأمر ، فوقف الى جنبه عمرو الى نهاية الشوط ، وستري موقفا غير مشرف لعمرو في أمر التحكيم ، خان فيه أمانة الله ، وصالح المسلمين العام ، أقول ذلك على أسف بالسخ منى ، ولا أستطيع أن أدارى ماتواترت الأخبار الصحيحة به .

أمير المؤمنين يصف فساد جيشه :

هذا وفرج لما كنا فيه فنقول انه لم يخف على امامنا على كرم الله وجهه خبث أنصاره ولا فساد نياتهم فخطابهم قائلا :

أيها الناس ، المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهي الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاماكم .. الى أن قال :

« أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع في نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، ما بالكم ما دواؤكم ، ما طبكم ، القوم رجال أمثالكم ، أقولا بغير علم ، وثقله من غير ورع ، وطمعا في غير حق » .

عمرو يخدع ابا موسى :

ثم ان الحكيمين اجتمعا في دومة الجندل (بين العراق والشام) وتشاورا ، وبعد جدال وأخذ ورد اتفقا على خلع الزعيمين علي ومعاوية ، وقدم عمرو ابا موسى ليعلن القرار الذي اتفقا عليه ، وكان ابن عباس حذره من كيد عمرو وغدره ، وقال له ان اتفقتما على شيء فليعلنه عمرو أولا ، لكنه لم يسمع نصيح ابن عباس ، وتقدم ابو موسى ليعلن القرار فقال بعد تمهيد :

« .. أيها الناس ، انا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فلم نر أصحح لأمرها ولا ألبم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع عليا ومعاوية ، ونستقبل الأمة بهذا الأمر ، فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، واني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا » .

وتلاه عمرو فقال بعد تمهيد :

« .. ان هذا قال ما قد سمعتم وخلق صاحبه ، وأنا أخلق صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية فانه ولي عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، الطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه » .

ابو موسى وعمرو يتبادلان الشتائم :

فغضب أبو موسى وصاح به : ما لك لا وفقك الله ، غدرت وفجرت ، انما مثلك مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

فابتسم عمرو ، وهو يقول ، انما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا . وكما قال العلامة العقاد رحمه الله : انتهت المأساة بهذه المهزلة ، وأتته المهزلة بهذه المأساة .

موقعة النهروان

فتنة الخوارج :

وبعد التحكيم ، زاد الطين بلة ، فقامت بسبب التحكيم فتنة الخوارج ، وانضفت مأساة ثالثة على عاتق أمير المؤمنين علي ، ويرحم الله أمير الشعراء شوقي حين قال له :

يا جبلا تأبى الجبال ما حمل

وصدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة .

وقد قال الخوارج فيما بينهم ، ان هذين الحكيمين قد حكما بغير ما أنزل الله ، وقد كفر اخواتنا حين رضوا بهما ، وحكموا الرجال في دينهم ، ونحن على الحق من بين هذا الخلق .

وحاول أمير المؤمنين علي كعادته أن يسألهم ويقنعهم لعلمهم يرشدون ، لكنهم كانوا متهمسين ، وبلغ بهم الهوس الى أن كفروا بالامام وأصحابه ، ورأوا أن يعاملوهم في الحرب والسلم على أنهم كفار .

وعلى الرغم من موقفهم الشائن هذا ، فقد رفع أمير المؤمنين عليه السلام في الساحة راية ضم اليها النبي رجل ونادي ، من التجأ الى هذه الراية فهو آمن ، وقال لأصحابه لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ، فصاح الخوارج صيحتهم لا حكم الا لله وان كره المشركون ، وهي الصيحة التي عقب عليها أمير المؤمنين عليه السلام بكلمته المشهورة فقال : « كلمة حق أريد بها باطل » .

وعندئذ لم يجد أمير المؤمنين مناصا من قتالهم في موقعة النهروان ، فما هي الا ساعة ، حتى قتل منهم نحو أربعة آلاف وبقي منهم نحو أربعين ألفا .

أصيبوا بجراح وعجزوا عن القتال ، فأمر بهم أمير المؤمنين فحملوا الى
عشائرهم ، لينظروا من فيه رمق فيدركوه بعلاج .

وماذا بعد قتال الخوارج

الاشعث يعوق الحرب مرة اخرى :

وأراد أمير المؤمنين ، كرم الله وجهه ، أن يسير الى الشام ليلقى جيش
معاوية ، فتصدى له الأشعث بن قيس مرة أخرى ، كما تصدى له من قبل
في الفرصة السانحة للغلبة وقال له على مسمع من الناس :

« يا أمير المؤمنين ، نفدت نبائنا ، وكلت سيوفنا ، ونصلت أسنة
رماحنا ، فأرجع بنا الى مقرنا ، لنستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين
يزيد في عدتنا عدة من هلك منا ، فإله أوفى لنا على عدونا » .

وتسلل الجند من معسكرهم ، ولاذ من لاذ بالمدن القريبة منهم ،
وأيقن أمير المؤمنين أن القوم مرقوا من يده ، ولا طاعة له عليهم اذا دعاهم
للقتال .

جيش معاوية في طاعته :

وعلى عكسه كان معاوية ، فان جنده كانوا في طاعته ، وأعانوا الخوارج
غير عامدين ، فحاربوا أمير المؤمنين ولم يحاربوه ، وطلبوا التوبة من أمير
المؤمنين ولم يطلبوها من معاوية .

واستمر معاوية في ارسال بعوثه وسراياه ، فلم تنقض سنتان حتى
كانت معه مصر والمدينة ومكة ، وبقي أمير المؤمنين على في قطاع الكوفة
يأبسا منزلا عن الناس ، ويوجس شرا من أقرب المقرين اليه .

ولست أجد في وصف أهل العراق وموقفهم من أمير المؤمنين أبلغ من
كلامه هو حين خاطبهم قائلا :

أخلاقكم دقاق ، وماؤكم زقاق ، ودينكم تفاق ، وعهدكم شقاق ،
القائم بين أظهركم مرتين بذنبه ، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه .

اغتيال أمير المؤمنين غدرا

الخوارج يقدرون بأمير المؤمنين :

ثم كان ما قدره الله من اغتيال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه غدرا بيد أحد الخوارج فمات شهيدا راضيا مرضيا .

ذلك بأن ثلاثة من الخوارج هم : عبد الرحمن بن ملجم ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمي ، وهم من غلاة الخوارج المسوتورين ، اجتمعوا وتذاكروا القتل من المسلمين عامة ، وألقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة من الكفار أو أئمة الضلال (في رأيهم السفيه) وهم : علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم علي بن أبي طالب ، وقال البرك ، أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان ، وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص .

فأما عمرو بن العاص فقد اشتكى بطنه فلم يخرج من ليلته تلك ، وأمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته أن يصلى بالناس ، فقتله عمرو بن بكر وهو يحسبه عمرو بن العاص ، فقال عمرو بن العاص ، أردتني وأراد الله خارجة ، وأمر بقتله .

وأما معاوية فضربه البرك بن عبد الله ، فوَقعت الضربة على يته فعولج وشفى .

وأما أمير المؤمنين علي فضربه ابن ملجم في جيبه بسيف مسموم ، وهو خارج لصلاة الفجر فمات بعد أيام .

ومن ورعه أوصى كرم الله وجهه ، ألا يمثل أهله بقاتله ، وقال لهم « يا بني عبد المطلب لا ألهيكم تخوضون دماء المسلمين ، تقولون قتل أمين المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، إلا لا يقتلن أحد الا قاتلي .

« انظر يا حسن اذا مات من ضربته هذه ، فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، « اياكم والمثلة ولو بالكلب المقور » .

دور المرأة في اغتيال أمير المؤمنين علي :

ومن عجيب الأمور ، أن تلعب امرأة دورها في اغتيال أمير المؤمنين علي ، وأن تلعب امرأة أخرى دورها في سم ابنه الامام الحسن السبط ، وقد وقف القارىء على قصة سم الامام الحسن ، خيانة من خصومه ، وغدرا بيد زوجته جملة بنت الأعمش .

أما دور المرأة في اغتيال أمير المؤمنين علي فهو أن ابن ملجم لعنه الله والملائكة والناس أجمعون ، كان يحب فتاة من تيم الرباب يقال لها قطام ، قتل أبوها وأخوها وبعض أقربائها في معركة الخوارج ، وكانت توصف بالجمال الفائق ، والشكيمة القوية ، وتدين بمذهب أهلها ، فوق ما في جوانحها من لوعة الحزن على قتل ذويها .

فلما خطبها ابن ملجم لم ترض به زوجها الا أن يشفى لوعتها ، وقال وما يشفيك ، قالت ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب .

وشاء الله أن تنتهي حياة الامام علي الغالية في ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة من رمضان سنة ٤٠ هـ على يد الأثم الفاجر ابن ملجم خطيب قطام ، وفي ذلك يقول ابن ابي مياس المرادي .

ولم أر مهرا ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام السم
فلا مهر أعلى من علي وان غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

آخر كلمات أمير المؤمنين :

وعلى الرغم من ألم الجراح وشدة سكرات الموت ، فإن أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، لم يبرح الدنيا الغاية قبل أن يوصى أبناءه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، فقد دعا اليه الحسن والحسين رضى الله عنهما وقال لهما :

« أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وان بنتكما ، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، واغنيا الضائع ، وامنعنا

للآخرة ، وكوننا للظالم خصما ، وللمظلوم ناصرا ، واعملا بما في كتاب الله ،
ولا تأخذكما في الله لومة لائم .

ثم نظر الى أخيهما لأيهما محمد بن الحنفية رضى الله عنه وقال له :
« هل حفظت ما أوصيت به أخويك ، قال نعم ، قال فاني أوصيك بمثله ،
وأوصيك بتوقيع أخويك ، العظيم حقهما عليك ، وتزين أمرهما ، ولا تقطع
أمرأ دونهما .

ثم قال لهما ، وصيتكما به فانه شقيقكما وابن أبيكما ، وقد علمتما
ان أباكما كان يحبه فأحباها .

ثم قيل له نبأيع الحسن من بعدك ؟ فقال لا آمركم ولا أنهاكم ، أترككم
كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ذلك أنه أراد أن تكون
الخلافة شورى ويختاروا لأنفسهم .

ثم كتب كرم الله وجهه وصيته ، ولم يتكلم الا بلا اله الا الله حتى
فاضت روحه الى روح وريحان وجنة نعيم ، وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد نبأه بما وقع له ، فقد قال له يونا : أتعلم من أشقى الأولين ؟ قال
نعم عاقر الناقة ، فقال ألا تعلم من أشقى الآخرين ؟ قال لا ، قال الذى يضربك
على هذه فيخضب هذه .

بيعة الامام الحسن بالخلافة بعد ابيه :

روى أبو الفرج بسنده فى مقاتل الطالبين ، ويؤيده ما جاء فى الطبرى
وابن الأثير وابن أبى حديد ، أن الامام الحسن خطب بعد وفاة ابيه أمير
المؤمنين على عليهما السلام فقال :

« لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولا يدركه
الآخرون بعمل ، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برايته ، فيكتفه جبريل عن يمينه ، وميكائيل
عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ، وقد توفى فى هذه الليلة التى
عرج فيها بعيسى بن مريم ، ولقد توفى فيها يوشع بن نون وصى موسى ،

وما خلف صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه ، أراد أن يتاع بها خادما لأهله . ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه .

ثم قال : « أيها الناس ، من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعي الى الله عز وجل بأذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، والذين افترض الله مودتهم فى كتابه اذ يقول (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت » .

ثم قام ابن عباس بين يديه ، فدعا الناس الى بيعته ، فاستجابوا له ، وقالوا ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة فبايعوه .

ثم نزل عن المنبر .

جواسيس معاوية :

قال ودس معاوية رجلا من بنى حمير الى الكوفة ورجلا من بنى القين الى البصرة يكتبان اليه بالأخبار ، فكشف أمرهما وقتلا .

رسالتان بين الامام الحسن ومعاوية :

قال وكتب الامام الحسن الى معاوية :

أما بعد فإني دسست الى الرجال ، كأنك تحب اللقاء ، وما أشك فى ذلك ، فتوقمه ان شاء الله ، وقد بلغنى أنك شمت بما لا يشمت به ذوو الحجبى ، وإنما مثلك فى ذلك كما قال الأول :

وقل للذى يبنى خلاف الذى مضى تجهز لأخرى مثلها فكأن قد
وأنا ومن قدمات منا لكالذى يروح ويمسى فى المبيت ليغتدى
وأنت تدرك من تلك الرسالة ذكاء الامام الحسن ، وبلاغة ارشاده
للشامتين بالموت الذى لا مهرب منه لأى مخلوق .

قال فاجابه معاوية :

أما بعد ، فقد وصل كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ولقد علمت بما
حدث فلم أفرح ، ولم أحزن (؟) ولم أشمت ولم آس ، وان عليا أبالك
لكما قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

فأنت الجواد وانت الذي إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بظمنة يوم اللقاء يضرب منها النساء النحورا
وما مزيد من خليج البحار يعلو الأكام ويملأ الجسورا
بأجود منه بما عنده فيعطى الألوف ويمطى البسورا

أقول ولئن كان معاوية يقول انه لم يشمت فقد شمت بالفعل كما
سترى فيما بعد ، وأما قوله انه لم يعزّن ، فقد فاتته الكياسة في قوله هذا،
ولو انه اكتفى بنفى الشماتة ، لكان أكيس ، على أنه برغمه امتدح أمير
المؤمنين عليا بالشعر الذي تمثل به ، ولعله أراد أن يلاين الامام الحسن
مضطرا من باب السياسة .

جانب الدنيا في سياسة معاوية :

ولقد غلب على معاوية في سياسته ، جانب الدنيا ، على جانب الدين ،
وهو ما يفسر لك قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : . والله ما معاوية
بأدهى منى ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى
الناس .

أما جانب الدنيا الذي غلب على معاوية في سياسته فيفسره قول
مستشاره الأول عمرو بن العاص حين قال : انه لا يصلح لهذا الأمر الا
رجل له ضرسان ، يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر ، وذلك الذي يقوله عمرو
اتبه معاوية فأكل بضرس وأطعم بالآخر ، وروأسفاه على دين يرخص، ودينا
تفلو .

الامام الحسن يكتب لمعاوية مرة اخرى :

قال أبو الفرج ، وكتب الامام الحسن عليه السلام الى معاوية مع
جنب بن عبد الله الأزدي :

بسم الله الرحمن الرحيم . من الحسن بن علي أمير المؤمنين الى معاوية بن أبي سفيان سلام الله عليك ، فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، أما بعد :

فان الله جل جلاله ، بعث محمدا رحمة للعالمين ، ومنة للمؤمنين ، وكافة للناس أجمعين (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) فبلغ رسالات الله ، وقام بإمر الله حتى توفاه الله ، غير مقصر ولا وان ، وبمد أن أظهر الله به الحق ، ومحق به الشرك ، وخص به قريشا خاصة ، فقال له (وانه لذكر لك ولقومك) .

فلما توفي تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قريش : نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه ، فرأت العرب أن القول ما قالت قريش ، وأن الحجبة في ذلك لهم ، على من نازعهم أمر محمد ، فأنعمت لهم (أي قالت نعم) وسلمت اليهم .

ثم حاجبنا نحن قريشا بشئ ما حاجبت به العرب ، فلم تصفنا قريش الا صاف العرب لها ، انهم أخذوا هذا الأمر دون العرب ، بالاتصاف والاحتجاج .

فلما صرنا — أهل بيت محمد وأولياؤه الي حاجبتهم ، وطلب النصف (أي الاصل) منهم — باعدونا ، واستولوا بالاجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا ، فالموعد الله ، وهو الولي النصير .

واقدم كنا تعجبنا ، لتوئب التوثيين علينا في حقنا وسلطان نبينا ، وان كانوا ذوى فضيلة وسابقة في الاسلام ، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد الماقتون والأحزاب في ذلك مغبرا يثلموه به ، أو يسكون لهم بذلك سبب الي ما أرادوا من افساده .

فاليوم ، فلبتتعجب المتعجب من توئبك يا معاوية على أمر لست من أهله ، لا بفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الاسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله

ولكتابه ، والله حسبيك ، فسترد فتعلم لمن عقبى الدار ، وبالله لتلقين عن قليل ربك ، ثم ليجزيك بما قدمت يدك ، وما الله بظلام للعبيد .

ان عليا لما مضى لسبيله ، رحمة الله عليه يوم قبض ، ويوم من الله عليه بالاسلام ، ويوم يبعث حيا ، ولاقى المسلمون الأمر من بعده ، فاسأل الله الا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة .

وانما حملنى على الكتاب اليك ، الاعذار فيما بينى وبين الله عز وجل فى أمرى ، ولك فى ذلك ان فعلته الحظ الجسيم ، والصلاح للمسلمين ، فدع التمادى فى الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى ، فانك تعلم انى أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ ومن له قلب منيب .

واتق الله ودع البغى ، واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالك خير فى أن تلقى الله من دماهم بأكثر مما أنت لاقية به ، وادخل فى السام والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منك ، ليطفىء الله النائرة (أى العداوة) بذلك ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات البين .

وان أنت آيت الا التمادى فى غبك ، سرت اليك بالمسلمين فحاكمتك ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

تعقيبى على الكتاب المتقدم :

وأود أن أعقب قليلا على ذلك الكتاب الكريم ، لأيسر للقارىء فهمه اذا لم يكن قد اطلع على تفاصيل التاريخ فى صدر الاسلام ، فأقول وبالله التوفيق :

كان قريش مركزها الاجتماعى بين قبائل العرب فى الجاهلية ، وكسبت مركزها ذلك بمواهب خصوا بها فى أمور الدنيا والدين ، فكانت اهم تجارتهم الواسعة فى رحلتى الشتاء والصيف ، كما كانوا قائمين على شؤون البيت الحرام فى مكة المكرمة ، من سقاية وعمارة وضيافة للوافدين من كل فج ، ثم أراد الله أن يلبسها فوق ذلك كله ، الشرف الخالد ، فاختر من قريش بنى هاشم واختر من بنى هاشم رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل القرآن الكريم بلغة قريش .

واستجاب لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدايتها من
عشيرته الأقربين بنو هاشم ، وكان أولهم اسلاما في صباح الامام على كرم
الله وجهه ، وكان أول المسلمين من الرجال أبو بكر الصديق رضی الله عنه
وهو من بنى تيسم ، وأسلم على يده عثمان بن عفان رضی الله عنه ، فكان
أول من أسلم من بنى أمية ، وكان اسلام عمر بن الخطاب رضی الله عنه على
تمام أربعين انسالاً في أظهر الروايات ، وهو من بنى عدى ، وكلهم قرشيون
وان تنوعت فروعهم ، رضی الله عنهم وعن سائر أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وكان لبني هاشم في الجاهلية الشرف والسيادة على غيرهم
من بيوتات قريش ، وزادوا في الاسلام شرفا بالرسالة المحمدية على صاحبها
أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وعندما أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بقتال الكافرين ، برزت
تضحيات امامنا على في شبابه ، كما برزت تضحيات قومه من بنى هاشم
واستشهد منهم في نصره دين الله ، صناديد على رأسهم حمزة بن عبد المطلب
وجعفر بن أبي طالب .

ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى اشتغل
بتجهيزه الامام على كرم الله وجهه ، وكان الأتصار قد اجتمعوا بسقيفة بنى
ساعة ليختاروا خليفة له ، واتجهوا الى سعد بن عباد الخزرجي .

ولما علم سيدنا عمر بن الخطاب بذلك أسرع الى هنالك ومعه سيدنا
أبو بكر الصديق ، وبعد أخذ ورد قال سيدنا عمر للحاضرين : من منكم
يريد أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد به المرض أمر أن يصلى بالناس
أبو بكر ، فقال م واأبا بكر فليصل بالناس ، ثم قال سيدنا عمر للحاضرين:
لقد رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديتنا ، أفلا نرضاه لنا ، يا
يا أبا بكر يدك أبايعك ، فبايعه سيدنا عمر وبايعه الباكون .

وقد تأخر امامنا على عن بيعة سيدنا أبي بكر ، وقالوا انه بايعه بعد
سنة أشهر ، من موت السيدة فاطمة الزهراء .

واختلفوا في أسباب تأخره ، فمن قائل انه كان يرى نفسه أحق بالخلافة ، وكان عمه العباس قد عرض عليه أن يبايعه هو وأبو سفيان ، فبايعه المهاجرون والأنصار ويقولون غم رسول الله بايع عليا ، وكان للعباس مكانه المرموق فيهم ، وكان معروفا بحصافة الرأي والرشد ، فلم يشأ الامام على أن يترك تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفرغ للبيعة .

ومن قائل انه حرص على شعور زوجته السيدة فاطمة الزهراء ، وكانت طالبت الخليفة أبا بكر الصديق بميراثها في راض فدك التي خلفها أبوها ، فقال لها رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

وقد بلغ من حرص سيدنا أبي بكر على مرضاة السيدة الزهراء ، أنه رضى الله عنه هدد بترك خلافة المسلمين ان لم تكن الزهراء راضية عنه .

ومن قائل ان الامام على ساءه أن تعقد البيعة ، في سقينة بنى مساعدة دون أن يدعى لحضورها .

وكان عذر السلف الصالح واضحا في الاسراع بالبيعة ، قبل أن يشتد الخلاف، بين المهاجرين والأنصار ، حيث كان كل فريق يرى أنه أحق بها من الفريق الآخر ، واحتج المهاجرون بأنهم أول الناس اسلاما وان كانت نصرمة الأنصار لا تنكر ، فقد نصروا دين الله بالنفس والمال .

ولما أسرعوا ببيعة سيدنا أبي بكر اطلقوا نار الفتنة ، ودانت سائر الأمصار ببيعة المهاجرين والأنصار بالمدينة وهم أهل الحل والعقد في المسلمين .

وعندما حان أجل سيدنا أبي بكر رضى الله عنه ، خاف أن يتكرر الخلاف بموته ، فاستخلف على المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وواقفه على بيعته المهاجرون والأنصار .

ولما طعن سيدنا عمر وأحسن بأن ضربته قاتلة ، وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف ، فقال رضى الله عنه ، ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى :

عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ،
وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ، فان أصابت الامارة
سعدا ، فهو أهل لذلك ، والا فليستن به أيكم أمر ، فاني لم أعزله عن
عجز ولا عن خيانة .

ثم قال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعترف لهم
حقهم ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالانصار خيرا ، الذين تسبواوا الدار
والايمان من قبلهم ، أن يقبل من محسنهم ، وأن ينفو عن مسيئتهم ، وأوصيه
بأهل الأمصار خيرا ، فانهم درء الاسلام وجباة الأموال ، وغيط العدو ،
الا يأخذ منهم الا فضلهم ، عن رضاهم ، وأوصيه بالأعراب خيرا ، فانهم
أصل العرب ، ومادة الاسلام ، أن يؤخذ من حواشي أموالهم ، ويرد على
فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى اليهم بمهلهم ، وأن يقاتل
من وراءهم ، والا يكلفوا الا طاقتهم .

فلما فرغ من دفن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه (على ما رواه
البخارى) اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم الى
ثلاثة منكم . فقدم الزبير : جعلت أمرى الى على ، فقال طلحة ، قد جعلت
أمرى الى عثمان ، وقال سعد ، قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف .

فقال عبد الرحمن : أيكما تبرا من هذا فنجمه اليه ، والله عليه
والاسلام لينظرن أفضلهم في نفسه ، فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن ،
افتجعلونه الى ، والله على الا آلو عن أفضلكم ، قالا نعم ، فأخذ بيدهما
فقال لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقدم في الاسلام مادة
علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، وان أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ،
ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك .

فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايعه ، فبايع له على ، وولج
أهل الدار فبايعوه .

وجاء في شرح نهج البلاغة لابن ابي حديد أن أمير المؤمنين عمر كان
يحصرها بتقديره في واحد من اثنين ، اما على واما عثمان ، لذلك نصح عليا

قال له : اذا بويعت فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس ، كما نصح عثمان وقال له : اذا بويعت فلا تحملن بنى معيط على رقاب الناس ، وقال ايضا : لو ولوها الأجلح (كان سيدنا على أصلح الرأس) لحملهم على الجادة ، فقيل له : فما منعك أن تستخلفه ، قال لا أحملها حيا وميتا ، فليختاروا لأنفسهم .

ثم كانت الثورة التي قامت آخر خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه و انتهت بمقتله ، و انتهى رأى الثوار كما مر عليك الى مبايعة الامام على فكان يهرب منهم الى الحيطان (البساتين) ولكنهم الزموا الخلافة ، فأبى الا أن تكون بيعته علانية فى المسجد ، فبايعه الثوار الوافدون من مصر والكوفة والبصرة ، كما بايعه المهاجرون والأنصار وأهل بدر ، وهم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان قبله .

وقد علم القارىء الكريم من موجز تاريخ الامام على الذى قدمناه ، ما كان من أمر حروب الجمل وصفين والنهروان ، وما كان من أمر التحكيم ، وما كان من اغتيال أمير المؤمنين على غدرا بيد الأثر اللعين ابن ملجم الخارجى ، وما كان من أمر البيعة التى تمت لأمير المؤمنين الحسن بن على ، بعد مقتل أبيه كرم الله وجهه ، وكان لا بد من اعطاء فكرة عن الخلافة الاسلامية منذ قامت ، الى أن وليها أمير المؤمنين الحسن بن على ، لارتباط رسالته المتقدمة التى بعث بها الى معاوية ، ولارتباط رد معاوية بها ، وها هو رد معاوية الذى كتب به للامام الحسن .

رد معاوية على الامام الحسن :

من معاوية أمير المؤمنين الى الحسن بن على : سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فقد بلغنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت به محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل كله قديمه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، وقد والله بلغ وأدى ، ونصح وهدى ، حتى اتقذ الله به من الهلكة ، وانار به من العمى ، وهدى به من الجهالة والضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته ، وصلوات الله عليه ، يوم ولد ويوم بعث ، ويوم قبض ، ويوم يبعث حيا .

وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وتنازع المسلمين الأمر بعده ،
وتغلبهم على أبيك ، فصرحت بتهمة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ،
وأبي عبيدة الأمين ، وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلحاء
المهاجرين والأنصار ، فكرهت ذلك لك ، أنت امرؤ عندنا وعند الناس غير
الظنين ولا المسيء ، ولا اللثيم ، وأنا أحب لك القول السديد ، والذكر
الجميل .

ان هذه الأمة ، لما اختلفت بعد نبينا ، لم تجهل فضلكم ولا سابقتمكم ،
ولا مكانكم في الاسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقرش
لمكانها من نبينا ، ورأى صلحاء الناس من قرش والأنصار وغيرهم من
سائر الناس وعوامهم أن يولوا هذا الأمر من قرش أقدمها اسلاما ، وأعلمها
بإله ، وأحبها له ، وأقواها على أمر الله ، فاخاروا أبا بكر ، وكان ذلك رأى
ذوى الدين والفضل ، والناظرين للأمة ، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة ،
ولم يكونوا متهمين ، ولا فيما أتوا بالمخطئين ، ولو رأى المسلمون أن فيكم
من يغنى غناه ، ويقوم مقامه ، وينب عن حريم الاسلام ذبه ، ما عدلوا
بالأمر الى غيره رغبة عنه ، ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحا للاسلام
وأهله والله يجزيهم عن الاسلام وأهله خيرا .

وقد فهمت الذى دعوتنى اليه من الصلح ، والحال فيما بينى وبينك
اليوم ، مثل الحال التى كنتم عليها ، أتم وأبو بكر بعد وفاة النبي صلى
الله عليه وآله .

فلو علمت أنك أضبط منى للرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن
سياسة ، وأقوى على جمع الأموال ، وأكيد للعدو ، لأجيتك الى مادعوتنى
اليه ، ورأيتك لذاك أهلا ، ولكن قد علمت أنى أطول منك ولابة ، وأقدم
منك بهذه الأمة تجرية ، وأكبر منك سنا ، فأنت أحق أن تجيئنى الى هذه
المنزلة التى سألتنى .

فادخل فى طاعتى ولك الأمر من بعدى ، ولك ما فى بيت مال العراق
بالغا ما يبلغ ، تحمله الى حيث أحببت ، ولك خراج أى كور العراق شئت ،
معوثة لك على نفقتك ، يجيئها أمينك ويحملها اليك فى كل سنة ، ولك الا

يستولي عليك بالاساءة ، ولا يقضى دونك الأمور ، ولا نعصى فى أمر اردت
به طاعة الله ، أعاتبنا الله وإياك على طاعته انه سميع مجيب الدعاء والسلام .
وروى أبو الفرج فى مقاتل الطالبين بسنده عن جندب قال . فلما
أثبت الحسن بكتاب معاوية — قلت له أن الرجل سائر اليك ، فأبدأه
بالمسير ، حتى بقاتله فى أرضه وبلاده وعمله — فاما أن تقدر أن ينتاد لك ،
فلا والله حتى يرى منا أعظم من صفين ، فقال أقعل ، ثم قعد عن مشورتى
وتناسى قولى .

رسالة اخرى من معاوية للامام الحسن :

قالوا وكتب معاوية الى الحسن :

أما بعد ، فان الله يفعل فى عباده ما يشاء ، لا معقب لحكمه ، وهو
ضرب الحساب ، فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاك من الناس ،
وأياس من أن تجد فينا غميمة ، وان أنت عرضت عما أنت فيه وبإيعتنى ،
وأفيت لك بما وعدت وأجريت لك ما شرطت ، وأكون فى ذلك ، كما قال
أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وان أحد أسدى اليك أمانة فأوف بها تدعى اذا مت واقيا
ولا تحسد المولى اذا كان ذا غنى ولا تجفنه ان كان فى المال فانيا

رد الامام الحسن على معاوية :

فأجابه الحسن عليه السلام :

أما بعد فقد وصل الى كتابك ، تذكر فيه ما ذكرت ، فتركت جوابك ،
خشية البنى منى عليك ، وبالله أعوذ من ذلك ، فاتبع الحق تعلم أنى من
أهله ، وعلى أثم أن أقول فاكذب والسلام .

معاوية يكتب الى عماله على النواحي :

فلما وصل كتاب الحسن عليه السلام الى معاوية قرأه ، ثم كتب الى
عماله على النواحي بنسخة واحدة :

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين الى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو . أما بعد :

فالحمد لله الذي كفاكم مؤونة عدوكم ، وقتل خليفتم ، ان الله بلطفه ، وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلا من عباده ، فاغتاله فقتله ، فترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم ، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم ، فاقبلوا الى حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم ، وحسن عدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله الصبر ، وبلغتم الأمل ، وأهل الله أهل البغي والعدوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتاب معاوية يشهد بشماتته في موت أمير المؤمنين علي :

أقول : فكيف نفى معاوية شماتته بموت الامام علي في رده علي الامام الحسن الذي مر عليك ، وشماتته في كتابه الى عماله ظاهرة ، وهل من الصدق أن ينسب البغي والعدوان للامام علي ، ولكنهم قديما قالوا رميتي بدائها وانسلت .

الفئة الباغية :

ولقد قتل جند معاوية في صفين الصحابي الجليل عمار بن ياسر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : تقتلك الفئة الباغية ، كما سلف القول ، فلا حجة لمعاوية فيما يدعيه بغير حق ، من أن الامام عليا وأنصاره أهل بغي .

معاوية تغلب السياسة على دينه :

وأين شهادة معاوية هذه في امامنا علي ، من شهادة امامنا علي حين سئل عن معاوية وأصحابه وقيل له : أكفار هم ؟ قال لا من الشرك فروا ، قالوا ، منافقون هم ؟ قال لا ، ان الله قال في المنافقين (ولا يذكرون الله الا قليلا) وليسوا هم كذلك قالوا فما حالهم ، قال اخواتنا بغوا علينا .

ومن هنا تعلم أن السياسة لم تغلب الامام عليا كما تغلبت معاوية ، فحافظ الامام علي كرم الله وجهه على دينه بينما تهاون معاوية فيه .

الامام الحسن يجمع جيشه :

قالوا ، فاجتمعت العساكر الى معاوية ، فسار بهم قاصدا الى العراق ، وبلغ الامام الحسن خبره ومسيره نحوه ، وأنه قد بلغ جسر منبج ، فتحرك عند ذلك ، وبعث حجر بن عدى فأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ، ونادى المنادى الصلاة جامعة ، فأقبل الناس يشوبون ويجمعون ، وقال الحسن : اذا رضيت الجماعة ، فأعلموني .

وجاء سعيد بن قيس الهمداني فقال له اخرج .

فخرج الحسن عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه ، وسماه كرها ، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين : اصبروا ان الله مع الصابرين ، فليستم أيها الناس نائلين ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون .

بأننى أن معاوية بلغه أننا كنا أزمعنا على المسير اليه ، فتحرك لذلك ، اخرجوا رحمكم الله ، الى معسكركم بالنخيلة ، حتى ننظر وتظنروا ، ونرى وتروا .

قالوا : والله فى كلامه ليتخوف خذلان الناس له ، قالوا فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجابه بحرف .

شجاعة عدى بن حاتم ووفاءه :

فلما رأى ذلك عدى بن حاتم قام فقال : أنا ابن حاتم ، سبحان الله ، ما أقبح هذا المقام ، الا تجيبون امامكم ، وابن بنت نبيكم ، ابن خطباء مضر ، ابن المسلمون ، أين الخواضون من أهل المصر ، الذين ألسنتهم كالمنخاريق فى الدعة ، فاذا جد الجدد فرواغون كالشعالب ، أما تخافون مقت الله ، ولاعيها وعارها .

ثم استقبل الامام الحسن بوجهه فقال : أصاب الله بك المرأشدد ، وجنبك المكاره ، ووفقك لما تحمد ورده وصدرة ، قد سمعنا مقاتلك ،

واتهينا الى أمرك ، وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت ، وهذا وجهي
الى معسكرى ، فمن أحب أن يوافيني فليواف .

ثم مضى لوجهه ، فخرج من المسجد ودابته بالبواب ، فركبها ومضى
الى النخيلة ، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه ، وكان عدى بن حاتم أول
الناس عسكرا .

نخبة من الأوفياء :

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ، ومعتل بن قيس الرياحى ،
وزياد بن صعصعة التيمي ، فألبوا الناس ولاموهم وحرصوهم ، وكلموا
الامام الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم فى الاجابة والقبول .

فقال لهم الامام الحسن عليه السلام ، صدقتم رحمكم الله ، ما زلت
أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيرا
ثم نزل .

وخرج الناس وعسكروا ، ولشطوا للخروج ، وخرج الامام الحسن
الى المعسكر ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن
عبد المطلب ، وأمره باستحثاث الناس واشخاصهم اليه ، فجعل يستحثهم
ويستخرجهم حتى يلتئم المعسكر .

ابن عباس يبنى رايه للامام الحسن :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى عن أبى بكر بن الأسود
قال : كتب ابن عباس الى الامام الحسن : أما بعد فإن المسلمين ولوك أمرهم
بعد على عليه السلام ، فشمز للحرب وجاهد عدوك ، وقارب أصحابك ،
واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك ديناً ، ووال أهل البيوتات والشرف ،
تستصلح به عشائرهم ، حتى يكون الناس جماعة ، فإن بعض ما يسكره
الناس — مالم يتعد الحق ، وكانت عواقبه تؤدى الى ظهور العدل وعز
الدين — خير من كثير مما يحبه الناس اذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور
الجبور وذل المؤمنين وعز الفاجرين .

واقند بما جاء عن أئمة العدل ، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب الا
في حرب أو اصلاح بين الناس ، فان الحرب خدعة ، ولك في ذلك مسعة
اذا كنت محاربا مالم تبطل حقا .

واعلم أن عليا اباك ، انما رغب الناس عنه الى معاوية ، انه أساء
اليهم في الفء ، وسوى بينهم في العطاء فتقل عليهم .

واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الاسلام ، حتى
ظهر أمر الله ، فلما وحد الرب ومحق الشرك وعز الدين ، أظهروا الايمان ،
وقرءوا القرآن ، مستهزئين بآياته ، وقاموا الى الصلاة وهم كسالى ، وأدوا
الفرائض وهم لها كارهون .

فلما رأوا أنه لا يعز في الدين الا الاتقياء الأبرار ، توسموا بسيما
الصالحين ، ليظن المسلمون بهم خيرا ، فما زالوا بذلك حتى شركوهم في
أماناتهم ، وقالوا نحسابهم على الله ، فان كانوا صادقين فإخواننا في الدين ،
وان كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخرين .

وقد نويت بأولئك وبأبنائهم وأشباهم ، والله ما زادهم طول العمر إلا
غيا ، ولا زادهم ذلك لأهل الدين الا مقنا ، فجاهدهم ولا ترض دية ولا
تقبل خسفا ، فان عليا لم يجب الى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب ،
وانهم يعلمون أنه أولى بالأمر ان حكموا بالعدل ، فلما حكموا بالهوى ،
رجع الى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله ، ولا تخرجن من حق أنت أولى
به ، حتى يحول الموت دون ذلك والسلام .

قالوا : وسار الامام الحسن عليه السلام في عسكر عظيم وعدة حسنة ،
حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثا حتى اجتمع الناس .

ثم دعا عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب (أخو عبد الله بن عباس)
فقال له : يا ابن عم ، انى باعث اليك اثني عشر الفا من فرسان العرب
وقراء مصر ، الرجل منهم يزن الكتيبة ، فسر بهم وألن لهم جانبك ، وابسط
لهم وجهك ، وافرش لهم جناحك ، وأدنتهم من مجلسك ، فانهم بقية ثقات
أمير المؤمنين ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ، حتى تعبر

مسكن ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فان أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك ، فاني على أترك وشيكا ، وليكن خبرك عندي كل يوم ، وشاور هذين (يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس) واذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك ، فان فعل قاتله ، وان أصبت قيس بن سعد على الناس ، وان أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس .

قالوا ، فسار عبيد الله حتى انتهى الى شينور حتى خرج الى شاهی ثم لزم الثرات والفلوجه حتى أتى مسكن ، وأخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب ، ثم بكر فنزل ساباط دون القنطرة .

فلما أصبح نادى في الناس ، الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصعد المنبر ، وخطبهم فقال :

الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد ألا اله الا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، أرسله بالحق واثمنه على الوحي ، صلى الله عليه وآله أما بعد :

فوالله اني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أوصح خلقه ، وما أصبحت محتملا على مسلم ضعيفة ، ولا مريدا له بسوء ولا غائلة ، ألا وان ما تكرهون في الجماعة ، خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا واني ناظر لكم خيرا من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمرى ، ولا تردوا على رأيى ، غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى وإياكم لما فيه محبته ورضاه ان شاء الله ، ثم نزل .

قالوا ، فنظر الناس بعضهم الى بعض ، وقالوا ما تروونه يريد بما قال ، قالوا نظنه يريد أن يصلح معاوية ، ويكل الأمر اليه ، كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه ، فاتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جمال الأزدي فنزع مطرفه الذي على عاتقه ، فبقى جالسا متقلدا سيفه بغير رداء ، فلما بفرسه فركبه ، وأحسق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أرادته ولأموه وضمفوه لما تكلم به .

فقال ادعوا لى ربيعة وهمدان ، فدعوا له ، فأطافوا به ، ودفعوا
الناس عنه ، ومعهم شؤب (اخلاط) من غيرهم ، فلما مر فى مظلم سابط
(قرب المدائن) قام اليه رجل من بنى أسد ثم من بنى نصر بن قعين يقال له
جراح بن سنان ، ويده معول فأخذ بلجام فرسه ، وقال له : الله أكبر
يا حسن ، أشرك أبوك ، ثم أشركت أنت ، وطعنه بالمعول ، فوقعت فى فخذه
فشقته حتى بلغت أرييته (أصل الفخذ) وسقط الحسن عليه السلام الى
الأرض بعد أن ضرب الذى طعنه بسيف كان بيده واعتنقه ، فخرا جميعا
الى الأرض ، فوثب عبد الله بن الأخطل الطائى ونزع المعول من يد جراح بن
سنان ، فخصخضه به ، وأكب ظييان بن عمارة عليه فقطع أنفه ، ثم أخذ
له الأجر فشذبنا رأسه ووجهه حتى قتلوه .

وحمل الحسن عليه السلام على سرير الى المدائن وبها سعيد بن
مسعود الثقفى واليا عليها من قبله ، وقد كان أمير المؤمنين على عليه السلام
ولاه المدائن فأقره عليها الحسن عليه السلام ، فأقام عنده يعالج نفسه .

هو عجيب وكرامة كبرى :

وأقول فى هذه المناسبة ، انى عجبت فى تاريخ الامام الحسين ، أن يقوم
المختار بن عبيد الله الثقفى ، وهو ابن أخ لسعيد بن مسعود الثقفى ، فيتزعم
الشيعة بعد مقتل سليمان بن صرد الخزاعى ، ويثار للامام الحسين ، ويمكن
له الله من قتلة الامام الحسين ، فيسوقهم بين يديه ويأمر بقتلهم أنواعا من
القتلات تناسب ما فعلوه ، فمنهم من أحرقه بالنار ، ومنهم من قطع أطرافه
وتركه حتى مات ، ومنهم من رمى بالنبال حتى مات ، وكان ممن قتلهم
عبيد الله بن زياد ، وشمر بن ذى الجوشن ، عليهما اللعنة الدائمة ، وكان
من بينهم عمر بن سعد وابنه حفص ، وقد أرسل برأس ابن زياد الى سيدى
على زين العابدين ، وأرسل برأس عمر وحفص الى سيدى محمد بن الحنفية ،
وقال المختار حين قتلا ، والله لو قتلت بالحسين ثلاثة أرباع قريش ما وفوا
بأملة من أنامله ، أقول ان هذا الرجل الذى سلطه الله على أعداء الامام
الحسين ، كان خصما لأمير المؤمنين على ولأمير المؤمنين الحسن ، ويدلك

على ذلك أنه حين طعن الامام الحسن ودخل المدائن ليعالج جرحه قال المختار لعنه سعيد بن مسعود الثقفي والمتقدم ذكره لو سلمت الحسن الى معاوية لاتخذت عنده اليد البيضاء ، فأجابه عمه في وفاء ، بش ما تأمرني به .

ألست ترى معي أيها القارئ الكريم أن هذا أمر عجيب ، فقد تحول المختار من عداوة سافرة ، الى صداقة صادقة ، والله في خلقه آيات ، وتلك والله لآل البيت من كبرى الكرامات .

ونعود الى التاريخ فنقول :

أما معاوية فإنه وافى حتى نزل قرية يقال لها الحلوية بسكن ، وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بازائه ، فلما كان من غد ، وجه معاوية بخيله اليه ، ففرج اليهم عبيد الله فيمن معه ، فضربهم حتى ردهم الى مسكرهم .

عبيد الله بن عباس يخون الامام الحسن :

فلما كان الليل أرسل معاوية الى عبيد الله بن عباس أن الحسن قد راسلني في الصلح ، وهو مسلم الأمر الى ، فان دخلت في طاعتي الآن ، كنت متبوعا ، والا دخلت وأنت تابع ، ولك ان أجيتني الآن ألف درهم ، أعجل لك في هذا الوقت نصفها واذا دخلت الكوفة النصف الآخر .

فانسل عبيد الله اليه ليلا ، فدخل عسكر معاوية ، فوفى له بما وعده وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلي بهم ، فلم يخرج حتى أصبحوا ، فطلبوه فلم يجدوه ، فصلى بهم قيس بن سعد بن عباد ، ثم خطبهم فثبتهم ، وذكر عبيد الله فنال منه ، ثم أمرهم بالصبر والنهوض الى العدو ، فأجابوه بالطاعة وقالوا له : انهض بنا الى عدونا على اسم الله، فنزل فنهض بهم .

وخرج اليه بسر بن أرطاه ، فصاح الى أهل العراق ، ويحكم هذا أميركم عندنا قد بايع وامامكم الحسن قد صالح ، فعلام تقتلون أنفسكم .

فقال لهم قيس بن سعد ، اختاروا احدي اثنتين ، اما القتال مع غير امام ، واما أن تباعوا بيعة ضلال ، فقالوا بل نقاتل بلا امام .

بين قيس بن سعد و معاوية :

فخرجوا ، فضربوا أهل الشام حتى ردهم الى مصافهم ، فكتب معاوية الى قيس بن سعيد ، يدعوهم ويسئله فكتب اليه قيس : لا والله لا تلقاني أبدا الا بيني وبينك الرمح ، فكتب اليه معاوية لما يئس منه .

كتب معاوية الى قيس بن سعد :

أما بعد فانك يهودى بن يهودى ، تشقى نفسك وقتلتها فيما ليس لك ، فان ظهر أحب الفريقين اليك فبذلك وغدرتك ، وان ظهر أبغضهم اليك نكل بك وقتلك ، وكان أبوك أوتر غير قوسه ، ورمى غير غرضه ، فأكثر الحر وأخطأ انفصل ، فخذله قومه ، وأدركه يومه ، فمات بسوران طريدا غريبا والسلام .

رد الشجاع قيس بن سعد على معاوية :

فكتب اليه قيس بن سعد

أما بعد فانما أنت وثن ابن وثن ، دخلت فى الاسلام كرها ، وأقمت فيه فرقا ، وخرجت منه طوعا ، ولم يجعل الله لك فيه نصيبا ، ولم يقدم اسلامك ، ولم يحدث تفاؤك ، ولم تزل حربا لله ولرسوله ، وحزبا من أحزاب المشركين وعدوا لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده .

وذكرت أبى ، فلمعري ما أوتر الاقوسه ، ولا رمى الا غرضه ، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه ، وزعمت أنى يهودى ابن يهودى ، وقد علمت وعلم الناس ، أنى وأبى أعداء الدين الذى خرجت منه ، وأنصار الدين الذى دخلت فيه ، وصرت اليه والسلام .

فلما قرأ معاوية كلامه غاظه ، وأراد اجابته ، فقال له عمرو بن العاص ، مهلا ، فاذك ان كاتبته اجابك بأشد من هذا ، وان تركته دخل فيما دخل فيه الناس ، فمسك عنه .

رسل معاوية الى الامام الحسن :

وبعث معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن مسرة الى الامام الحسن للصلح فدعوا اليه فزهدها في الأمر ، وأعطياه ما شرط له معاوية ، والا يتبع أحد بما مضى ، ولا ينال أحد من شيعة علي بمكروه ، ولا يذكر على الا بخير ، وهي أشياء شرطها الامام الحسن فأجاباه الى ذلك وستعلم تفاصيل الشروط فيما بعد من كتاب الصلح الذي أرسله الامام الحسن الى معاوية .

وانصرف قيس بن سعد فيمن معه الى الكوفة ، واجتمع الى الامام الحسن عليه السلام وجوه الشبهة ، وأكابر أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يلومونه ، ويكون الب ، جزعا مما فعل .

نص كتاب الصلح الذي كتبه الامام الحسن :

جاء نص كتاب الصلح في كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لابن طلحة القرشي كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة الحلفاء الراشدين .

ونيس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدا ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم ، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه ، وعلى أنه لا ينبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرا ولا جهرا ، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق ، شهد عليه بذلك الله وكفى بالله شهيدا وفلان وفلان والسلام .

معاوية في طريقه للكوفة :

ويعود للتاريخ ، قال أبو الفرج : وسار معاوية حتى نزل النخيلة وجمع الناس فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة ، ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة .

كيف بايع قيس بن سعد معاوية :

وقال ، فلما تم الصلح بين الحسن ومعاوية ، أرسل الى قيس بن سعد ، يدعو الى البيعة ، فجاءه ، فلما أرادوا ادخاله اليه ، قال اني حلفت ألا ألقاه الا وبينى وبينه الرمح أو السيف ، فأمر معاوية يرمح وسيف فوضعا بينه وبينه لير يمينه .

قال ، وفي رواية أخرى أن الحسن لما صالح معاوية ، اعتزل قيس بن سعد في أربعة آلاف فارس ، وأبى أن يبايع ، فلما بايع الحسن أدخل قيس ليبايع ، فأقبل على الحسن فقال ، أفي حل أنا من بيعتك ، فقال ، نعم ، فألقى له كرسى ، وجلس معاوية على سرير والحسن معه ، فقال له معاوية أتبايع يا قيس ، قال نعم ، ووضع يده على فخذه ولم يسدها الى معاوية ، فجاء معاوية من سريره وأكب على قيس حتى مسح يده على يده ، وما رفع اليه قيس يده .

الامام الحسن يخطب بعد الصلح :

قال أبو الفرج ، ثم ان معاوية أمر الحسن أن يخطب فظن أنه سيحصر فخطب فقال في خطبته :

انما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه ، وليس الخليفة من سار بالجور ، ذلك رجل ملك ملكا تمتع به قليلا ، ثم تنخمه ، تنقطع لذته ، وتبقى تبعته (وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) .

تعقيب على خطبة الامام الحسن :

أقول والمبدأ الذي أبرزه الامام الحسن في خطبته تلك ، هو ذات المبدأ الذي أبرزه أبوه الامام على قبله ، حين بين أن السادة آل البيت

لا يطلبون الخلافة لسلطان الدنيا وانما يطلبونها ليردوا بها المعالم من دين الله وليظهروا بها الاصلاح فى بلاد الله ، واليك نص ما قاله الامام على كرم الله وجهه كما ورد فى نهج البلاغة :

« اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا ، منافسة فى سلطان ، ولا التماس شئ من فضول الحطام ، ولكن لنسرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح فى بلادك ، فىأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك .

« اللهم انى أول من أناب ، وسمع وأجاب ، لم يسبقنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة ، وقد علمتم أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وامامة المسلمين البخيل ، فتكون أموالهم لهمة ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافى فيقطعهم بجفائه ، ولا الخائف للدول فتتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة . »

فرحة معاوية بالصلح :

كانت فرحة معاوية بالصلح شديدة ، ولا أدل على ذلك من أنه أرسل صحيفة الصلح بيضاء وموقعة منه على يياض ، وقال للامام الحسن اكتب ما شئت من شروط .

وانى أنه بصفة خاصة، بأن معاوية عرض على الامام الحسن أن يكون له الأمر من بعده ، ولكن الامام الحسن رأى أن يكون الأمر شورى بعد معاوية ، حتى لا يخرج بالأمة عن مبدأ الشورى الذى جرى عليه سلف الأمة المقتدى بهم فى أمر الدين .

وقد بذل أخوه الامام الحسين (كما هو معروف) نفسه الغالية ، وبذل أنفسهم معه اخوته ، وأبناؤه ، وأبناء أخيه وأبناء أخته وأبناء عمومته وصحبه ، من أجل الحفاظ على ذلك المبدأ الذى هو حق مقدس من حقوق الأمة وكان معاوية قد خرج بعد موت الامام الحسن عن مبدأ الشورى

وحمل الناس بالسلطان والسيف على بيعة ابنه يزيد الذي لم يكن أهلا للخلافة .

وكذلك أنوه بأن الامام الحسن اشترط الا يساء أحد من أصحابه أو أصحاب آية امساء والا عدل عن الصلح فاضطر معاوية الى القبول .
لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة :

ان الامام الحسن حين تنازل عن الخلافة ، لم يكن خوارا ، يتهب الحرب فقد خاض المعارك الكثيرة مع آية ومع غير آية كما علمت مما تقدم ، لكنه كان ذا فراسة عميقة بأحوال من حوله ، ودلته فراسته أنه وان كان هو الأصلح للخلافة الا أن أهل العراق يزهدون الخلافة ، بينما معاوية يطلب ملكا يسح المال من جوانبه سحا ، فجرى القوم وراء المال ، واشتروا الضلالة ، بالهدى وباعوا الدين بالدنيا ، والخلافة لا تنجح الا في مجتمع ينشدها . ويرضى حكمها ، ومغالبة الناس لأهوائهم الدنيوية أمر عسير ، وان كانوا نجحوا فيه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة ، فان استمرار المغالبة كان مستبعدا لأنه ضد الطباع البشرية .

وإذا كان معاوية قد استطاع أن يشتري ذمة عبيد الله بن عباس ، وهو ابن عم الامام الحسن ، ف شراء الذمة من غيره كان أهون وأرخص .

وقد رأيت أن جند الامام الحسن اعتدوا عليه وطمعوه ، فهل كان يرجو من هؤلاء المتمردين خيرا في ساعة الجد .

ولو قدرنا أنه التحم مع قوات معاوية واتصر عليه ، فان أهل الشام كانوا يخرجون من المعركة حاقدين موبورين ، ولا تنس ما كان للخوارج من بقية ناوأت حتى بنى أمية مناوأة شديدة فاستمأونوا عليهم بالمهلب بن أبي صفرة وبنيه الى أن تمت لهم الغلبة عليهم .

فالامام الحسن كان كآية يطلب خلافة الراشدين ، والمجتمع كان ينحط الى الدنيا انحطاطا سريعا ، فلا تنسنى خلافة الراشدين ، وصدق الله تعالى اذ يقول (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) .

عدوى معاوية لاصحابه :

وقد تأثر أصحاب معاوية بمشربه في الخدعة وشراء الذمم ، ومن أبرز ما قرأته الواقعة الآتية :

بين عبيد الله بن عمر والامام الحسن :

كان عبيد الله بن عمر في صفين ، في صف معاوية ، وأثناء وقائع صفين أرسل عبيد الله الى الامام الحسن عليه السلام : ان لي اليك حاجة فالتفتي ، فلقية الامام الحسن عليه السلام ، فقال له عبيد الله : ان اباك وتر قريشا أولا وآخرا ، وقد شنئه الناس ، فهل لك في خلعه ، وأن تتولى أنت هذا الأمر ، فقال كلا ، والله لا يكون ذلك .

ثم قال الامام الحسن عليه السلام يا ابن الخطاب ، والله لكأني أنظر اليك مقتولا في يومك أو غدك ، أما ان الشيطان قد زين لك وخذعك حتى أخرجك مخلقا بالخلوق ، ترى نساء أهل الشام موقوفك ، وسيضرك الله ، ويبطحك لوجهك قتيلاً .

قالوا ، فوالله ما كان الا يياض ذلك اليوم حتى قتل عبيدالله ، وهو في كتيبة رقطاء ، وكانت تدعى الخضرية ، كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر .

فانظر رعاك الله ، كيف سرت عدوى معاوية ، في عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، ووالله ما كان يسر أباه أن يراه في مثل هذا الموقف القبيح الذي غرته فيه دنياه ، ووطن أن الامام الحسن مثله تفر به الدنيا الدنية ، وحاشاه . . واني لست في حاجة لأن أسترعى نظرك لما تحقق من قتل عبيد الله كما تفرس الامام الحسن بنور الله ، فهو ممن جعل الله له نورا يمشي به في الناس .

هل وفي معاوية للامام الحسن :

روى ابن أبي حديد بسنده عن المدائني قال : طلب زياد رجلا من أصحاب الحسين ممن كانوا في كتاب الأمان فكتب إليه الحسين :

من الحسن بن علي الى زياد :

أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا ، وقد ذكر لي فلان أنك تعرضت له ، فأحب ألا تعرض له الا بخير والسلام .

زياد يفضب إذ ينسبه الامام الحسن لأبي سفيان :

فلما أتاه الكتاب ، غضب إذ لم ينسبه الى أبي سفيان ، وكان معاوية قد ألحقه بأبي سفيان بحجة أن أباه كان قد أتى أم زياد في الجاهلية ، وفي ذلك مخالفة لقوله تعالى (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آبائهم فأخوانهم في الدين ومواليكم) وكان الناس يقولون قبل ذلك زياد ابن أبيه ، ورد زياد على الامام الحسن يقولون :

من زياد بن أبي سفيان ، الى الحسن

أما بعد ، فإنه أتاني كتابك في فاسق ، تؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك ، وإيم الله لأطلبه بين جلدك ولحمك ، وإن أحب الناس الى لحمي أن آكله ، للحم أنت منه والسلام .

الامام الحسن يبعث كتاب زياد لمعاوية :

فلما قرأ الامام الحسن الكتاب بعث به الى معاوية فلما قرأه غضب وكتب الى زياد :

كتاب معاوية الى زياد :

من معاوية بن أبي سفيان الى زياد

أما بعد فإن لك رأيين ، رأيا من أبي سفيان ، ورأيا من سمية (أم زياد) فأما رأيك من أبي سفيان فعظم وحزم ، وأما رأيك من سمية فما يكون من مثلها .

إن الحسن بن علي كتب الي بالآك عرضت لصاحبه ، فلا تعرض له ، فإني لم أجعل لك عليه سبيلا ، وإن الحسن ليس ممن يرمى به الرجوان

(أى لا يستهان به) والعجب من كتابك اليه لا تسبه الى آيه أو الى أمه
فالآن حين اخترت له والسلام .

ومع هذه الشدة التى كتب بها معاوية لزياد ، فإن الوقائع التى جرت
من معاوية ، دلت على أنه لم يف بالشرط التى شرطها الامام الحسن ،
وكان الحسين بن المنذر الرقاشى يقول ، والله ما وفى معاوية للحسن بشيء
مما أعطاه ، قتل حجرا وأصحاب حجر ، وباع لابنه يزيد ، وسم الحسن .

الصالحون ينكرون استلحاق زياد بأبي سفيان :

ويقول الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » ان استلحاق زياد
بأبي سفيان أنكره الصالحون حين أعلنه معاوية وحرص عليه زياد أشد
الحرص ، وغضب له موالى زياد من بنى قتيبة .

ويروى الدكتور طه عن البلاذرى أن يونس بن سعد قطع على معاوية
خطبة الجمعة وقال له :

اتق الله يا معاوية ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بأن الولد
للغراش وللماهر الحجر ، وأنت قد جعلت للماهر الولد وللغراش الحجر ،
وان زيادا عبد عمى وابن عبدها ، فاردد إلينا ولاءنا .

فقال له معاوية : والله يا يونس لتسكنن أو لا تطيرن بك طيرة بطيئا
وقوعها ، قال يونس ، اليس المرجع بعد بك وبى الى الله عز وجل .
وقال يزيد بن مفرغ يعيب معاوية بهذا الاستلحاق .

الا أبلغ معاوية بن حرب مغفلة عن الرجل اليمان
أنغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زانى
ويرى القارىء من ذلك قوة المعارضة التى لقيها معاوية فم استلحاق
زياد بأبي سفيان .

الامام الحسن يرحل الى المدينة بعد الصلح :

يقول الدكتور طه حسين أن الامام الحسن ارتحل بأهل بيته الى
المدينة بعد الصلح وترك معاوية فى الكوفة يدبر أمر دولته الجديدة كما

يشاء ، وما كاد يبعد عن الكوفة حتى أدركه رسول معاوية يريد أن يرده الى الكوفة ليقاتل طائفة من الخوارج خرجت عليه ، فأبى الحسن أن يمود ، وقال لقد صالحته ، وما أريد الا حقن الدماء واجتناب الحرب .

وانتهى الحسن الى المدينة فلقى من أهلها أثر وصوله اليها من لامة في الصلح ، كما لامة فيه أهل الكوفة ، فكان يقول للائمين ، كرهت أن التى الله عز وجل فاذا سبعمون الفا أو أكثر تشخب أوداجهم دما يقول كل منهم ، ياربى فيم قتلت .

معاوية يلاين أهل العراق ثم يشتد عليهم :

يقول الدكتور طه حسين ان معاوية صانع أهل العراق ورفق بهم حتى يتم له الصلح ويستقيم له الأمر ويخرج الحسن عن العراق ، فلما تم له ما أراد اصطنع الحزم وساس أهل العراق سياسة لم يكونوا يعرفونها من قبل .

فأخرجهم من الدعة التى ألفوها ، وعلمهم أن طاعة الأمراء فرض لا ينبغى التردد فيه أو الالتواء به ، وأن من لم يعط الطاعة لا أمان له ، وقد برئت منه ذمة السلطان ، هنالك عرف أهل العراق أن حياتهم قد تغيرت ، وأنهم سيستقبلون من أمرهم أشد وأقسى مما كانوا يظنون .

وقد جعل أهل العراق ، يذكرون حياتهم أيام على ، فيحزنون عليها ، ويندمون على ما كان من تعريطهم فى جنب خليفتهم ، ويندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم وبين أهل الشام ، وجعلوا كلما لقى بعضهم بعضا تلاوموا فيما كان ، وأجالوا الراى فيما يمكن أن يكون ، ولم تكذ تمضى أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تفد الى المدينة للقاء الحسن والقول له والاستماع منه .

اختلاف وجهتى النظر فى شروط الصلح :

يقول الدكتور طه حسين : ان الحسن احتفظ بكتاب معاوية عنده ، وأرسل اليه رجلا من بنى عبد المطلب من جهة ، وبينه وبين معاوية قرابة

قريبة من جهة أخرى ، وهو عبد الله بن الحارث وأمه أخت معاوية ، وقال
أنت خالك ، وقل له : ان أمنت الناس بايعتك .

ويستطرد الدكتور طه قائلًا ، وكان الحسن أراد أن يصطنع شيئًا من
اللباقة ، فاحتفظ بشروط معاوية ، وطلب الى معاوية مزيدًا هو تأمين
الناس ، ولكن معاوية كان أدهى من ذلك وأبرع كثيرًا ، فقد أعطى ابن
أخته طومارا ختم في أسفله وقال اكتب ما شئت .

فكتب فيه الحسن ، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي
سفيان ، صالحه على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيها
بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وعلى أنه ليس لمعاوية أن
يعهد لأحد من بعده ، وان يكون الأمر شورى ، والناس آمنون حيث
كانوا على أنفسهم وأموالهم وذرياتهم وعلى الا يبغى الحسن بن علي غائلة
سراً ولا علانية ، ولا يخيف أحداً من أصحابه ، شهد عبد الله بن الحارث،
وعمر بن سلمة ، ثم رد عبد الله بن الحارث الى معاوية بكتابه هذا
ليشهد عليه من شاء من أصحابه ففعل .

فتم الصلح ، ولكنه لم يتم دون أن يترك بين الرجلين شيئاً من اختلاف
الرأى وسوء التفاهم كما يقال في هذه الأيام .

ثم يقول الدكتور طه ، أكان الكتاب الأول الذي أرسله معاوية الى
الحسن قائماً يكفل للحسن ما أعطاه معاوية من الشروط ، ما عدا ولاية
العهد ، التي لم يرضها الحسن ، أم سقط بهذا الكتاب الذي كتبه للحسن
وأفضاه معاوية .

أما الحسن فقد رأى أن كتاب معاوية الأول ظل قائماً ، وأما معاوية
فقد رأى أن الكتاب الثاني قد ألغى الكتاب الأول الغاء ، فليس للحسن
عنده الا ما طلب من أن يكون الأمر شورى بعد موت معاوية ، ومن تأمين
الناس على أنفسهم ، وعلى أموالهم وذرياتهم ، ومن الا يبغى الحسن غائلة
سراً وجهاً ، ومن أن يعمل في أمر المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة
الخلفاء الصالحين .

ثم يقول الدكتور طه ، ومن أجل اختلاف الرأي هذا ، طلب الحسن الى معاوية بعد أن استقام له الامر ، أن يفي له بالشروط المالية ، فأبى عليه معاوية ، وقال له ، ليس لك عندي الا ما شرطت لنفسك .

وأراد الامام الحسن أن يحكم سعد بن أبي وقاص ، فلم يقبل معاوية تحكيما ، ولكنه أرضى الحسن بما أعطاه وما فرض له من مال .

رأى الدكتور طه حسين في خطبة الامام الحسن بعد الصلح :

تعرض الدكتور طه لخطبة الامام الحسن التي خطبها بعد تنازله عن الخلافة ، وبنى ما تكلفه الرواة والمؤرخون من أن عمرو بن العاص أغرى معاوية بدعوة الحسن الى أن يتكلم ليظهر للناس عجزه .

وقال الدكتور طه في دفاعه عن الامام الحسن : ان الحسن لم يختلس الصلح اختلاسا ، ولم يستخف به من الناس ، والحسن قد خطب الناس غير مرة في حياة أبيه وبعد وفاته ، فلم يعرف منه عى أو حصر ، وهو بعد ذلك أو قبل ذلك ، من أهل بيت لم يعرفوا قط بعى أو حصر ، وانما كانوا معدن الفصاحة واللسن وفصل الخطاب .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : وقد خطب الحسن فقال خير ما كان يمكن أن يقال ، وأصدق ما كان يمكن أن يقال أيضا ، قال (صيغة أخرى غير التي مرت حمليك) .

« أيها الناس ان أكيس الكيس التقى ، وأحمق الحمق الفجور ، ان هذا الأمر الذي سلمته لمعاوية ، اما أن يكون حق رجل كان أحق به منى فأخذ حقه ، واما أن يكون حقي فتركته لصالح أمة محمد وحقن دماءها ، فالحمد لله الذي أكرم بنا أولكم ، وحقن دماء آخركم .

دفاع الدكتور طه حسين عن موقف الامام الحسن بعد الصلح :

يقول الدكتور طه ، ان الصلح أسخط على الحسن جماعة من أصحابه الذين أخلصوا له ولأبيه ، وأخلصوا في بغض معاوية وأهل الشام ، ورأوا

فى هذا الصلح نوعا من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوا أيام على من جهد، ولم يكن يلائم كذلك ما كان فى أيديهم من قوة ، فمنهم من كان يقول للحسن : يا مذل المؤمنين ، ومنهم من كان يقول له : يامذل العرب ، ومنهم من قال له : يا مسود وجوه العرب .

ولكن الحسن لم يحفل بشيء من ذلك ، وإنما رضى عن خطته كل الرضا ، ورأى فيها حقنا للدماء ، ووضعاً لأوزار الحرب ، وجمعاً لكلمة الأمة ، وتمكيناً للمسلمين من أن يستقبلوا أمورهم مؤتلفين لا مختلفين ، ومتفقين لا مفترقين ، ومن أن يفرغ أهل الثغور لشغورهم ، يردون عنها طمع العدو فيها ، وفيما وراءها ، ومن أن يفرغ الجند للفتح ، يستأنفونه من حيث وقفته الفتنة .

ثم يقول ، ولم يكن يعود الحسن عن الحرب جينا أو فرقا ، وإنما كان كراهية لسفك الدماء من جهة ، وشكا فى أصحابه من الجهة الأخرى .

ثم تعرض الدكتور طه لمعارضة الامام الحسين لفكرة الصلح حين استشاره أخوه الامام الحسن ويقول ، أن الامام الحسين كان يرى أن يستمسك أخوه ويمضى فى الحرب ، الا أن الامام الحسن امتنع عليه وأنذره ، وعقب الدكتور طه قائلاً ، وليس فى هذا شيء من الغرابة ، فقد كان على نفسه يتنبأ ببعض ذلك ، ويتحدث بأن الحسن سيخرج من هذا الأمر ، وبأن الحسين هو أشبه الناس به .

ظهور حزب الشيعة بعد التنازل عن الخلافة لمعاوية :

يقول الدكتور طه ان الامام على ، لم تكن له قبل فتنة عثمان شيعة ممتازة من الأمة ، ولم تكن له شيعة بالمعنى الذى يعرفه الفقهاء والمتكلمون أثناء خلافته ، وإنما كان له أنصار وأتباع ، وكانت كثرة المسلمين كلها له أنصاراً وأتباعاً ، حتى كانت موقعة صفين .

ويقول : وقد قتل على ، وليس له حزب منظم ، ولا شيعة مميزة ، بل لم ينظم الحزب العلوى ، ولم توجد الشيعة المميزة الا بعد تنازل الامام الحسن عن الخلافة لمعاوية .

بين الامام الحسن واشراف الكوفة :

قلنا ان أهل العراق ندموا على ما كان من تفریطهم فى جنب خليفتهم
كما ندموا على ما كان من أمر الصلح .

ويقول الدكتور طه ، انه أقبل على الامام الحسن ذات يوم وفد من
أشراف الكوفة ، فقال له متكلمهم وهو سليمان بن سرد الخزاعى : ما ينقضى
تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة ، كلهم
يأخذ العطاء ، وهم على أبواب منازلهم ، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأبائهم ،
سوى شيعتك من أهل البصرة ، وأهل الحجاز ، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة فى
العقد ولا حفا من العطية .

« فلو كنت اذ فعلت ما فعلت ، أشهدت على معاوية وجوه أهل
المشرق والمغرب ، وكتبت عليه كتابا بأن الأمر لك بعده ، كان الأمر علينا
أيسر ، ولكنه أعطاك شيئا بينك وبينه ثم لم يف به ، ثم لم يلبث أن قال
على رموس الناس ، انى كنت شرطت شروطا ، ووعدت عدات ، ارادة لاطفاء
نار الحرب ، ومدارة لقطع هذه الفتنة ، فأما اذ جمع الله لنا الكلمة والألفة ،
وأمننا من الفرقة ، فان ذلك تحت قدمى .

فوالله ما اغترنى بذلك الا ما كان بينك وبينه وقد تقضى ، فاذا شئت
فأعد الحرب جنة وأذن لى فى تقدمك الى الكوفة ، فأخرج عنها عامله ،
وأظهر خلمه ، وتبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين .

تعريف بسليمان بن سرد الخزاعى :

والى أرى من المفيد أن أعرف القارىء الكريم بهذا الرجل العظيم ،
فهو ضحابى جليل ، وهو الذى تزعم الشيعة للأخذ بثأر مولانا الامام
الحسين وقاتل الأمويين حتى قتل ، وتزعم المختار بن عبيد الله الثقفى الشيعة
من بعده وتكل بقتلة الامام الحسين تكالا شفى صدور قوم مؤمنين كما
سلف القول .

ونعود لما كنا فيه ، يقول الدكتور طه ، وقال الآخرون مثلما قال
سليمان بن سرد ، فهم اذن انما جاءوا المدينة ولقوا الحسن ليماتبوه أولا

لأنه جنح للسلم على رغم ما كان عنده من قوة وعدد ، وليعاقبوه ثانيا لأنه حين أمضى الصلح لم يشهد عليه وجوه الناس من أهل المشرق والمغرب ، ولم يشترط لنفسه ولاية عهد ، ثم لينبئوه ثالثا أن معاوية قد قفض الصلح ، وأعلن قفضه على رموس الأثهاد ، ثم ليطلبوا اليه بعد ذلك أن يعيد الحرب جذعة ، وأن يأذن لهم أن يسبقوا الى الكوفة ، فيعلنوا فيها خلع معاوية ، ويخرجوا منها عامله ، وحينئذ ينبذ الحسن الى معاوية على سواء أن الله لا يحب الخائنين .

ثم يقول الدكتور طه ، وقد قبل الحسن منهم شيئا ، ورفض شيئا ، وكان فيما قبل منهم ناصحا لهم ، رفيقا بهم ، مؤثرا السلم وحقن الدماء ، ولكنه لم يؤنسهم ، وإنما أبقى لهم شيئا من أمل ، فقال لهم فيما روى البلاذري :

أتم شيعتنا وأهل مودتنا ، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل ، ولسلطانها أعمل وأنصب ، ما كان معاوية بأبأس منى بأسا ، ولا أشد شكيمة ، ولا أمضى عزيمة ، ولكنني أرى غير ما رأيتم ، وما أردت فيما فعلت الا حقن الدماء ، فارضوا بقضاء الله ، وسلموا الأمر ، والزموا بيوتكم ، وامسكوا ، وكفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر .

ويعقب الدكتور طه قائلا : فقد أعطاهم الحسن كما ترى الرضا ، حين أعلن اليهم أنهم شيعة أهل البيت ، وذوو مودتهم ، واذن فمن الحق أن يسمعوا له ، ويأتمروا بأمره ، ويكونوا عندما يريد منهم ، ثم بين لهم أنه لم يصلح معاوية عن ضعف ولا عن عجز ، وإنما أراد حقن الدماء ، ولو قد أراد الحرب ، لما كان معاوية أشد منه قوة ولا أعسر مراسا ، ثم طلب اليهم أن يرضوا بقضاء الله ، ويطيعوا السلطان ، ويكفوا أيديهم عنه ، وألباهم بأنهم لن يفعلوا ذلك آخر الدهر ، ولن يستسلموا لعدوهم في غير مقاومة ، وإنما هو انتظار الى حين ، هو انتظار الى أن يستريح الأبرار من أهل الحق ، أو يريح الله من انفجار من أهل الباطل .

ويعتقد الدكتور طه أن اليوم الذي لقي فيه الحسن هؤلاء الوفد من أهل الكوفة ، هو اليوم الذي أنشئ فيه الحزب السياسي المنظم لشيعة علي وبنيه ، نظم الحزب في المدينة في ذلك المجلس ، وأصبح الحسن له رئيسا ، وعاد أشرف الكوفة الى من وراءهم ينبئونهم بالنظام الجديد ، والخطبة المرسومة ويهيتونهم لهذا السلم الموقوت ، ولحرب تثار ، حين يأتي الأمر بالارتها من الامام المقيم في المدينة .

ثم يقول : ومضى أمر الحزب على ذلك ، فجعل الشيعة يلقى بعضهم بعضا يتذكرون أمورهم ويسجلون على معاوية وولائه ، ما يتجاوزون به حدود الحق والعدل ، وينتظرون أن يأمرهم الامام بالخروج .

ولكن الامام لم يأمرهم بالخروج ، وكان الحسن وفيا لمعاوية ببيعته ، حفيظا له على عهده ، مستعينا به ان احتاج الى المعونة مهما يكن نوعها ، ولكنه مع ذلك كان معارضا ، ولم يكن يستخفى بمعارضته ، وانما كان يظهر منها ما يشاء في المدينة حيث كان يقيم ، وفي مكة حين كان يلم بها أثناء الموسم .

موقف معاوية من الامام الحسن :

يقول الدكتور طه : ان معاوية كان رفيقا بالحسن أعظم الرفق ، واصلا له أحسن الصلة ، ولكن معارضة الحسن كانت تبلغه ، فيعاتبه فيها لينا حيناً ، وشديدا حيناً .

ولكن مكان الحسن من معاوية لم يكن محببا اليه ، فقد كان معاوية رجلا بعيد النظر ، لم يكد يطمئن الى الخلافة ، ويرى أنها قد اطمأنت اليه ، حتى فكر في أن يجعلها تراثا من بعده لآل أبي سفيان ، وكان يفكر في ابنه يزيد دائما ، فيرى أن الحسن هو الحائل بينه وبين ما يريد من ذلك ، فهو تعجل الصلح مع الحسن فعرض عليه ولاية الأمر من بعده .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : ومن الحق أن الحسن لم يقبل منه ذلك وانما اشترط عليه أن تكون الخلافة بعده شورى بين المسلمين ، يختارون لها من أحبوا ، وكان الحسن في أكبر الظن يرى أن المسلمين لن يعدلوا

به بعد وفاة معاوية أحدا ، وكانت الشيعة تؤمن بذلك أشد الايمان ، وتدعو له فتلح في الدعاء .

مؤلف معاوية من الامام الحسين :

ويقول الدكتور طه ، وما ينبغي أن يذكر أمر الحسين بن علي ، فإن الحسين لم يكن نصب نفسه للبيعة اماما للمسلمين ، ولم يكن معاوية قد صالحه ، ولا وده ولا شرط له ، ومع ذلك فقد هم معاوية أن ينحى الحسين عن مكانه شيئا ، لتخلص له الطريق من ابني فاطمة ، وسبى النبي ، فقال ذات يوم لعبد الله بن عباس مازحا يريد الجدل « أنت سيد قومك بعد الحسن » ولكن عبد الله بن عباس لم ينخدع له ، وإنما أجابه في صراحة « أما وأبو عبد الله (أي الحسين) حي فلا » .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : ومع ذلك فلم يتردد معاوية في أن يبايع بولاية العهد لابنه يزيد ، وأكره الحسين كما أكره غيره من شباب المهاجرين على أن يسكتوا عن هذه البيعة التي كانوا يشكرونها في أنفسهم أشد الانكار .

تعقيب على راي الدكتور طه :

انصافا لأبناء المهاجرين أقول انهم عارضوا معاوية علانية معارضة شديدة عندما أبدى رغبته في بيعة ابنه يزيد ، واليك أمثلة من تلك المعارضة: أراد معاوية أن يستطلع رأى أهل الحجاز ، فرحل الى المدينة سنة ٥٥ هـ متظاهرا بالحج ، ودعا اليه الزعماء أمثال عبد الله بن عباس وعبد الله ابن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر ولم يدع الحسن أو الحسين .

واقترح معاوية عليهم أن يعهد بولاية العهد لابنه يزيد ، فهبوا في وجهه مستنكرين الفكرة كل الاستنكار .

وتكلم عنهم عبد الله بن الزبير فقال ، أما بعد ، فإن الخلافة لقرش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وأفعالها المرضية ، مع شرف الآباء وكرم

الأبناء ، فاتق الله يا معاوية وانصف من نفسك ، فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمه رسول الله ، وعلى خلف حسنا وحسينا ، وأنت تعلم من هما وما هما ، فاتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك .

وقال ابن عمر ، لقد كان قبلك خلفاء ، وكان لهم بنون ، وليس ابنك بخير من أبنائهم ، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك ، فلم يحابوا في هذا الأمر أحدا ، ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم .

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر ، يا معاوية انك والله لوددتا أن نكلتاك الى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد ، والذي نفسى بيده لتجعلنها شورى أو لاعيدها جذعة ، ثم قام ليخرج ، فتملق به معاوية وقال : على رسلك ، اللهم أكفنيه بما شئت ، وهدأ من روعه .

فلما رأى معاوية أن الموقف يقتضى الشدة عدل عن ملايئتهم ، وأمر مناديه أن ينادى فى الناس ليجتمعوا فى المسجد ، فتوافدوا ، وقصد الصحابة حول المنبر ، ثم دعا معاوية رئيس حرسه وقال له : أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين ، ومع كل واحد سيف ، فان ذهب رجل منهم يرد على بكلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما .

ثم صعد معاوية المنبر ، وقال غير صادق ، ان عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن على ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، قد رضوا وبايعوا ليزيد ، ثم طلب منهم البيعة فبايع الناس كلهم ، ثم غادر مكة الى المدينة حيث بايعه أهلها ثم غادرها الى الشام ، فأقبل الناس على هؤلاء السادة يلومونهم ، فقالوا والله ما بايعناه ولكن فعل وفعل .

مولف الامام الحسين مع معاوية من بيعة يزيد :

عندما ذهب معاوية الى الحجاز لأخذ البيعة لابنه يزيد ، بدأ بالمدينة ، واجتمع بالامام الحسين وعبدالله بن عباس وأجلس الامام الحسين عن يمينه ، وأجلس ابن عباس عن يساره ، وخطب فمدح ابنه يزيد ، وعرض

بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولى عمرو بن العاص القيادة في غزوة ذات السلاسل ، مقدما اياه على المهاجرين ، وقال : لكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

وهم ابن عباس بالاجابة ، فأشار اليه مولانا الحسين بالسكوت ، ليبدأ هو بالاجابة ، فقال مولانا الحسين معارضا ومجيبا :

يامعاوية ، لم يؤد القائل وان أطنب في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع جزءا ، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة والتكيب عن استبلاغ البيعة ، وهيهات هيهات يا معاوية ، فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس أنوار السرج .

ولقد فضلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجهفت ، ومنعت حتى بخلت ، وجرت حتى جاوزت المدى ، ما بذلت لذي حق من اسم حقه بنصيب ، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر ، ونصيبه الأكمل .

وفهمت ماذكرته عن يزيد ، من اكتماله وسياسته لأمة محمد ، تريد أن توهم الناس في يزيد ، كأنك تصف محجوبا ، أو تمت غائبا ، أو تخبر عما احتويته بعلم خاص .

وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد ما أخذ هو به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والحمام السبق لأثرابن ، والقينات ذوات المعازف ، وضروب الملاهي تجده ناصرا .

ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية ، فوالله ما برحت تقدم باطلا في جور ، وحنقا في ظلم ، في يوم مشهود ، ولات حين مناص .

ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ، ومنعتنا عن آباءنا تراثا ، ولقد والله أورثنا رسول الله ولادة ، وجئت لنا بما حجبتكم به القائم عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذعن للحجة بذلك ، وردة الايمان الى النصف ، فركبتم الأعاليل ، وفعلتم الأفاعيل ، وقتلتم كان ويكون ، حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك ، فهناك فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
وتأميره له ، وقد كان ذلك ، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة
الرسول ويعبته له ، وما صار لعمرو يومئذ ، حتى أنف القوم امرته ،
وكرهوا تقديمه ، وعدوا عليه أفعاله ، فقال صلى الله عليه وسلم ، « لا جرم
معشر المهاجرين ، لا يعمل عليكم بعد اليوم » .

فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول ، في أوكد الأحوال وأولها
بالمجتمع عليه من الضواب ، أم كيف ضاهيت بصاحب تابعا ، وحولك من
يؤمن في صحبته ، ويعتمد في دينه وقرابته ، وتتخطاهم الى مسرف
مفتون ، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه ، وتشقى
بها في آخرتك ، ان هذا هو الخسران المين ، وأستغفر الله لى ولكم .

وعندئذ نظر معاوية الى ابن عباس وقال : ما هذا يا ابن عباس ، ولما
عندك أدهى وأمر ، فقال ابن عباس : لعمر الله انها لذرية الرسول ، وأحد
أصحاب الكساء ، ومن البيت المطهر ، فإله عما تريد ، فان لك فى الناس
مقنعا ، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

فقال معاوية : أعوذ الحلم التحلم ، وخيره التحلم عن الأهل ، انصرف
فى حفظ الله .

الامام الحسين يعدد اخطاء معاوية :

روى ابن قتيبة فى الامامة والسياسة ، أن معاوية كتب للامام
الحسين بأن أمورا اتهمت اليه عنه وأنذره فى كتابه قائلا : فانك متى
تكرنى أنكرك ، ومتى تكدننى أكدك ، فاتق شق عصا هذه الأمة ..
فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يستخفك
السفهاء والذين لا يعلمون » .

قال : فلما وصل كتاب معاوية رد عليه الامام الحسين قائلا : أما بعد
فقد بلغنى كتابك تذكر فيه أنه اتهمت اليك عنى أمور ، أتت لى عنها راغب
وأنا بغيرها عندك جدير ، وان الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد اليها الا
الله تعالى .

وأما ما ذكرت أنه رقى اليك عنى ، فانه انما رقاہ اليك الملاقون ،
المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الجع ، وكذب الغاؤون ، ما أردت لك
حربا ، ولا عليك خلافا .

وانى لأخشى الله فى ترك ذلك منك ، ومن الاعذار فيه اليك ، والى
أوليائك القاسطين (الجائرين) الملحدين ، حزب الظلمة وأولياء الشياطين .

أست القاتل حجر بن عدى أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين ،
الذين كانوا ينكرون الظلم ويستنظفون البدع ، ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ، ولا يخافون فى الله لومة لائم ، ثم قتلتم ظلمنا
وعدوانا ، من بعد ما أعطيتهم الايمان المغلظة ، والمواثيق المؤكدة جراءة
على الله واستخفافا بعهدہ .

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وآله ، العبد الصالح ، الذى أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه ،
فقتلته بعد ما أمنتہ وأعطيته من اليهود ، ما لو فهمته العصم (نوع من
الوعول فى ذراعيه بياض) لنزلت من رؤوس الجبال .

أولست بمدعى زياد بن سمية ، المولود على فراش عبيد قتيب ،
فزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الولد
للفراش وللعاهر الحجر » ، فتركت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله
تعمدا ، وتبعت هواك بغير هدى من الله ، ثم سلطته على أهل الاسلام ،
بقتلهم ، ويقطع أيديهم وأرجلهم ، ويسمل أعينهم ، ويصلبهم على جذوع
النخل ، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك .

أو لست قاتل الحضرمي ، الذى كتب اليك فيه زياد ، أنه على دين
على ، كرم الله وجهه ، فكتبت اليه أن اقتل كل من كان على دين على ، فقتلهم
ومثل بهم بأمرك .

وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ، واتق شق عصا
هذه الأمة ، ولا تردهم الى فتنة ، وانى لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من
ولايتك عليها ، ولا أعظم نظرا لنفسى ولدينى ولأمة محمد صلى الله عليه

وسلم ، افضل من أن أجاهدك فإن فعلت فإنه قرابة الي الله ، وان تركته فاني استغفر الله لديني ، وأسأله توفيقه لارشاد أمرى ، وقلت فيما قلت ان انكرتك تنكرني ، وان أكدك تكدني ، فكدني ما بدا لك ، فاني أرجو ألا يضرنى كيدك ، وألا يكون على أحد أضر منه على نفسك ، لأنك قد ركبت جهلك ، وتحرصت على تقض عهدك .

ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد تقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر ، الذين قتلتمهم بعد الصلح والايان واليهود والمواثيق ، فقتلتمهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم الا لذكرهم فضلنا ، وتمظيمهم حقنا ، فقتلتمهم مخافة أمر ، لعلك لو لم تقتلهم ، مت قبل أن يفعلوا ، أو ماتوا قبل أن يدركوا .

فأبشر يا معاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم أن الله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ..

وليس الله بناس لأخذك بالظنة ، وقتلك أولياءه على التهم ، وهيك أولياءه من دورهم الى دار الغربة ، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث ، يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ، ما أراك الا قد خسرت نفسك ، وتبرت دينك ، وغششت رعيتك وأخربت أمانتك ، وسمعت مقالة السفية الجاهل ، وأخفت الورع التقى والسلام .

قال ، فلما قرأ معاوية كتاب الامام الحسين عليه السلام ، قال : لقد كان في نفسه ضب ما أشعر به فلما أشاروا عليه أن يجيبه بما يصغر اليه نفسه ، قال لو أني ذهبت لعيب على محققا ، فما عسيت أن أقول فيه ومثلى لا يحسن أن يعيب بالباطل (١٢) وما لا يعرف ، ومتى ماعبت رجلا بما لا يعرفه الناس ، لم يحفل به ، ولا يراه الناس شيئا وكذبوه ، وما غشيت أن أعيب حسينا ، والله ما أرى للعيب فيه موضعا ، وقد رأيت أن أكتب اليه أتوعده وأتهدده ، ثم رأيت ألا أفعل .

وكل منصف من المطلعين على موقف الامام الحسين من معاوية في مخالفتاه لشروط الصلح وشروط الخلافة ، وفي حمله الناس على بيعة

يزيد كرها ، يرى أن الامام الحسين نصيح لله ، وأدى أمانة الله ، ودافع دفاعا منقطع النظير عن حقوق الأمة ، في حياة معاوية ، وقد رأيت كيف جابهه بشجاعة وقوة وروعة ، وهو على سرير ملكه ، وأما بعد معاوية ، فقد بذل أعلى ما يملك دفاعا عن الحق وأهله ، بذل روحه الزكية ، التي توجت أرواح الشهداء في سبيل الحق .

العلامة المقاد وموقف الامام الحسين :

ويرحم الله العلامة المقاد اذ يقول في كتابه «أبو الشهداء» : ومن هو الشهيد ان لم يكن هو الرجل الذي يكلف الأيام ضد طباعها ويصدق الخير في طبيعة الانسان والخير عزيز والدنيا به شحيحه ، والحسين رضى الله عنه ، قد طلب خلافة الراشدين حيث لا تنسى خلافة الراشدين ، وكان الصراع بين الحسين ويزيد ، أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة ، وعهد الخلفاء الأولين ، قد بذل فيها الحسين روحه ، وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدوم من الحياة فهو أبو الشهداء ، وينبوع شهادة متعاقبة ، لا يقرن بها ينبوع في تاريخ البشر أجمعين .

هل تم معاوية ما اراد :

قلت في مقدمة كتابي « الامام الحسين بن علي » الذي تفضل المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فنشره في ١٥ شوال ١٣٨٥ الموافق ٥ فبراير ١٩٦٦ ما نصه :

« وأكاد أجزم أنه لو كشف الغيب لمعاوية ، فرأى أن الملك الذي أراد تأسيسه لبني سفيان سينتقل على عجل الى مروان وبنيه ، لفضل بذكائه الحاد ، ودهائه السياسي ، أن تبقى الخلافة شورى بين المسلمين ، كما كانت ، ولما راقته له فكرة المغيرة بن شعبة في استخلاف يزيد ، ولم يرد المغيرة بما أشار وجه الله ، فقد كان الحق واضحا ، وقد رضى معاوية أن يخلفه الامام الحسن في شروط الصلح بينهما ، ولكن لم يطل عمر الامام الحسن .

« واذا كان معاوية قد عزل مروان عن ولاية المدينة وولى مكانه سعيد ابن العاص ، فلا أظنه كان يجب أن يراه وارثا لملك يزيد ويورثه لبنيه وذراريهم ، خاصة وأنه عارضه فى بيعه يزيد وقال له فأقم الأمر يا ابن أبى سفيان ، واهدا من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك فى قومك نظرا ، وأن لهم على مناواتك وزرا .

« كذلك ما كان يرضى معاوية لعبد الله بن الزبير أن يأخذ الخلافة قهرا من بنى أمية ، وما من شك فى أن معاوية كان يرى الحق ولكنه رآه مغطى بحب الآباء الغريزي للأبناء ، فصجبت الحقيقة عن عينيه ، فكان ما كان ، وترتب على تلك البيعة بلايا ورزايا حاقت نكباتها بالمسلمين ، ففرقت جمعهم وشتتت شملهم ، فهم كذلك الى اليوم ، بعد أن كانوا يدا واحدة ، وقلبا واحدا ، والغيب لله ، والله غالب على أمره ، والملك عقيم ، كما قال عبد الملك بن مروان ، فى رثاء مصعب بن الزبير ، حين قتله ، وكان صديقا له قبل أن يتولى الملك عبد الملك » .

ومما تقدم يعلم القارئ الكريم ، انه لم يتم لمعاوية ما أراد ، وصدق من قال : وتهدرون فتضحك الاقدار ، على أننا لو قلنا ان مروان وبنيه من بنى أمية ، وقد ملكوا وكان ملكهم ثمرة لهم من ثمرات بيعه يزيد ، فإن ملكهم لم يدم بعد مقتل الامام الحسين الا ستين عاما لم تبلغ بهم ما أملوا من أن يكون ملكا خالدا على الزمن ، وكان مقتل الامام الحسين هو الممول الذى أتى على بنيائهم من القواعد وأسقطهم الى الابد .

بعض شهادات ضد معاوية

الشهادة الاولى :

تبدأ تلك الشهادات بشهادة ضده ، واجهه بها فى حياته صوت الحق ، الذى نطق على لسان سعية بن غريض وقد جاء عنه فى كتاب الأغاني لأبى الفرج ، انه كان يهوديا وأسلم وعمر طويلا .
وقال أبو الفرج فيما رواه عنه بسنده فى الأغاني عن الهيثم بن عدى
قال :

حج معاوية حجتين في خلافته ، وكانت له ثلاثون بغلة يحج عليها
نساؤه وجواريه ، قال فحج في احدهما فرأى شيخا يصلى في المسجد
الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ، فقال من هذا قالوا ، سعية بن غريض .
فأرسل اليه يدعوه ، فأناه رسوله فقال ، أجب أمير المؤمنين ، قال :
أو ليس قد مات أمير المؤمنين ، قيل فأجب معاوية :

فأناه ، فلم يسلم عليه بالخلافة ، فقال له معاوية ، ما فعلت أرضك
التي بتيماء ، قال يكسى منها العارى ، ويرد فضلها على الجار ، قال ، أتبيعها
قال نعم ، قال بكم ، قال بستين الف دينار ، ولولا خلة أصابت الحى لم
أبها ، قال لقد أغليت ، قال ، أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها
بستمائة ألف دينار ثم لم تبال ، قال : أجل ، واذ بخلت بأرضك فأشدنى
شعر أيبك يرثى به نفسه ، فقال قال أبى :

يا ليت شعرى حين ألدب هالكا ماذا تؤبني به ألواحى
أيقن لا تبعد ، فرب كرهة فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد ضربت بفضل مالى حقه عند الشتاء وهبة الأرواح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم ولقد رددت الحق غير ملاحى
وإذا دعيت لصعبة سهلتها أدعى بأفصح مرة ولججاج

فقال ، أنا كنت بهذا الشعر أولى من أيبك ، قال ، كذبت ولؤمت ،
قال ، أما كذبت فنعم ، وأما لؤمت فلم ، قال ، لأنك كنت ميت الحق فى
الجاهلية وميته فى الاسلام ، أما فى الجاهلية ، فقاتلت النبى صلى الله عليه
وسلم ، حتى جعل الله عز وجل كيدك المردود ، وأما فى الاسلام فمنعت ولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة ، وما أنت وهى ، وأنت طليق ابن
طليق فقال معاوية : لقد خرف الشيخ فأقسموه ، فأخذ بيده فأقيم .

الشهادة الثانية :

وتبع الشهادة المتقدمة ، بشهادة حفيده معاوية الثانى بن يزيد ، الذى
ولى الخلافة بعد أبيه وبقي فيها أربعين يوما ، فقد صعد المنبر فقال :

« أيها الناس ان جدى معاوية ، نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق منه ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون ، حتى أتته منيته ، فصار في قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بخطاياها .

« ثم قلد أبي الأمر ، فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه وأخلفه الأمل ، وقصر عنه الأجل ، وصار في قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بجرمه » .
« ان من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأباح الحرم وخرب الكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فشأنكم أمركم » -

وقد زلزلت خطبته هذه أركان الدولة الأموية ، خاصة وأنه لم يعين خلفا له على الرغم من السحاح أهله عليه ، بعد أن رأوا أن عدم استخلافه ، يمكن لعبد الله بن الزبير في الخلافة ، وقد ذهب بعض المؤرخين الى أنهم سموه ، وذهب بعضهم الى أنهم طعنوه .

وقد بايعت شبه الجزيرة العربية لابن الزبير ، كما بايعته كل من مكة والمدينة ، حيث تطلع الناس الى الخلاص من الحكم الأموي ، وقد كانت فظائع الحرة التي وقعت على أهل المدينة ، ماثلة في الأذهان ، وكذلك بايعت بلاد العراق لابن الزبير ، كما أقرت مصر خلافته ، وبايعه كثير من أهل الشام .

الشهادة الثالثة :

وهي شهادة رجل من العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من رمى بسهم في الاسلام ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسله فقال « اللهم سدد رميته واستجب دعوته » وهو سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه ، وهي ليست خاصة ببيعة يزيد ، والا كنا قدمناها على غيرها ، انما هي خاصة بالبيعة التي ابتلعها معاوية ، وهي سب الامام على على المنابر وقد بدأها هو ، وأمر ولاته باتباعها ، فكان الامام على ، وهو هو من الاسلام والمسلمين ، يسبه علانية بنو أمية وعمالهم دون أن يخافوا الله فيه .

وقد ولي معاوية سعد بن أبي وقاص ، فلم يتبع بدعة السب هذه مخالفاً بذلك معاوية ، فقال له معاوية ، ما يمنعك أن تسب أبا تراب (كنية الامام علي التي كناه بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم)

فقال سعد ، أما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن تكون لي واحدة منهن ، أحب الي من أن يكون لي حمر النعم ، فلن أسبه :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد خلفه في بعض المغازي ، فقال له علي ، يا رسول الله ، تخلفني مع النساء والصبيان ، فقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه لا نبوة بعدي . وسمعتة يقول يوم خيبر ، لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فتناولنا لها فقال : ادعوا لي عليا ، فأتاه وبه رمس ، فبصق في عينيه ، ورفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

ولما نزلت هذه الآية ، (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فقال : اللهم هؤلاء أهلي .

فهذه شهادة رجل كان من أصحاب الشورى الستة ، وكان امامنا علي منافسا له في الخلافة ، لكن لم يعدل به الهوى عن شهادة الحق ، والوقوف مع الحق حيث كان ، ولو ضايق ذلك صاحب السلطان .

الشهادة الرابعة :

وهي شهادة الخليفة الأموي الورع ، عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، فقد أبطل بدعة السب ، التي ابتدعها معاوية ، وأبدلها عمر عليه السلام بقوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون) .

أقول وقد قرأت في سبب ابطالها ، أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز تلقى في صباه العلم عن رجل ورع من ذرية عتبة بن مسعود ، فرأى في

فريقه الى المسجد ، عمر بن عبد العزيز ، بين صبيان بنى أمية ، يسبون الامام عليا ، فلما جاء عمر المسجد ليلتقى درسه ، أشاح الشيخ بوجهه عنه ، فسأل شيخه عن سبب ذلك ، فقال بسمعتك تسب الامام عليا مع الصبيان ، يا بنى متى علمت أن الله غضب على أهل بدر بعد اذ رضى عنهم ، قال عمر ، وهل كان علي فى بدر ، قال الشيخ ، وهل كانت بدر كلها الا لعلى .

يقول عمر ، ومن يومئذ ، نويت فى نفسى ، انى لو وليت أمر المسلمين أبطلت بدعة السب . وقد أنجز ما نواه حين ولى الخلافة فأرضى الله ورسوله .

الشهادة الخامسة :

وفى مناسبة عمر بن عبد العزيز ، أذكر ما دار بينه وبين أبيه ، عبد العزيز بن مروان ، حين كان واليا على المدينة ، فقد قال له عمر ، يا أبت أراك تهدر بالخطبة حتى اذا جئت الى سب على تلجلجت ، قال يا بنى لو يعلم الناس من أمر على ما يعلم أبوك ، ما بقى واحد منهم معنا .
ونكتفى بتلك الشهادات الخمس حتى لا يطول بنا الكلام ، وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون .

اهل الكوفة فى توديعهم للامام الحسن :

روى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى قال : لما كان عام الصلح ، أقام الحسن عليه السلام بالكوفة أياما ، ثم تجهز للشخص للامام ، فدخل عليه المسيب بن نجبة الفزارى ، وظبيان بن عمارة التيمى ، ليودعاه فقال الحسن :

الحمد لله الغالب على أمره ، لو أجمع الخلق جميعا على ألا يكون ما هو كائن ، ما استطاعوا .

فقال أخوه الحسين عليه السلام ، لقد كنت كارها لما كان ، طيب النفس على سبيل أبى ، حتى عزم على أخى فأطعته ، وكأله يجذ أنفى بالموسى .

فقال المسيب ، انه والله ما يكبر علينا هذا الأمر ، الا أن تضاموا
وتنتقصوا ، فأما نحن فانهم سيطلبون مودتنا بكل ماقدروا عليه .

فقال الامام الحسين ، يامسيب ، نحن نعلم أنك تحبنا ، فقال الامام
الحسن عليه السلام ، سمعت أبي يقول ، سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « من أحب قوما كان معهم » .

فعرض له المسيب وطلب بيان بالرجوع فقال ليس الى ذلك سبيل .

الامام الحسن عند توديعه الكوفة :

قال فلما كان من غد خرج ، فلما صار بدير هند ، نظر الى الكوفة
وقال :

ولا عن قلى فارقت دار معاشرى هم المانعونى حوزتى وذمارى
فانظر ، رعائك الله ، الى وفائه بأهل مودته ، فقد ذكر الكوفة بأهل
مودته ، ولم يذكرها بأهل عداوته ، وهذا شأن عباد الرحمن ، يقبلون من
المحسن ، ويتجاوزون عن المسيء (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) .

نصيحته رضى الله عنه لبعض خصوم ابيه :

قال المدائنى (فيما نقله ابن أبى حديد) ، حدثنا سليمان بن أيوب عن
الأسود بن قيس العبدى ، أن الحسن عليه السلام لقي يوما حبيب بن
مسلمة فقال له : يا حبيب رب مسير لك فى غير طاعة الله ، فقال أما مسيرى
الى أيبك فليس من ذلك ، قال بلى والله ، ولكنك أطمت معاوية على دنيا
قليلة زائلة ، فلتن قام بك فى دنياك ، لقد قعد بك فى آخرتك ، ولو كنت
اذ فعلت شرا ، قلت خيرا ، كان ذلك كما قال عز وجل (خلطوا عملا
صالحا وآخر سيئا) ولكنك كما قال الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون) .

وهى كما تراها نصيحة أمينة من رجل الدين لرجل الدنيا ، فهل
من مدكر ١٧

الامام الحسن يلجم خصومه :

وصف معاوية الامام الحسن يوما فقال ، انه ممن لا تطاق عارضته ، وكان ذلك حين وقعت مفاخرة بينه وبين رجالات من قريش ، من خصوم أبيه وخصومه .

وهي مفاخرة طويلة ، ذكرت مفصلة في مراجعها ، وقد رأيت أن أوجز ما جاء عنها في شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد .

ومع ما أوجزته ، سيرى القارئ الكريم ، عارضة الامام الحسن في قوتها ، وهو يلجم الحجر خمسة من كبار رجالات قريش وعلى رأسهم معاوية بعد أن استتب له الملك واستقر .

فقد اجتمع في دار معاوية : عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة .

وقد كان بلغهم عن الامام الحسن قوارص ، وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا لمعاوية ، يا أمير المؤمنين ، ان الحسن قد أحيا أباه وذكره ، وقال فصدق ، وأمر فاطم ، وخفقت له النعال ، وان ذلك لرافعه الى ما هو أعظم منه ، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا .

قال معاوية ، فما تريدون ، قالوا ابث اليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ، ونعيه ونويحه ، ونخبزه أن أباه قتل عثمان وقرره بذلك ، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئا من ذلك .

قال معاوية : انى لا أرى ذلك ولا أفعله ، قالوا عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن ، فقال ويحكم لاتفعلوا فوالله ما رأيت جالسا عندي الا خفت مقامه وعيبه لى ، قالوا ابث اليه على كل حال قال ان بعثت اليه لأنصفنه منكم .

فقال عمرو بن العاص ، أتخشى أن يأتى باطله على حقنا ، قال معاوية ، أما انى بعثت اليه لأمرته أن يتكلم بلسانه كله ، قالوا مره بذلك .

قال ، أما اذ عصيتمونى ، وبعثتم اليه وأيتم الا ذلك فلا تمرضوا له فى القول (أى لاتجعلوا قولكم مريضا) واعلموا أنهم أهل بيت

لا يعيبهم العائب ، ولا يلصق بهم العار ، ولكن اذفوه بحجره ، تقولون له ، ان اباك قتل عثمان ، وكره خلافة الخلفاء من قبله .

فبعث اليه معاوية ، فجاهه رسوله ، فقال ان امير المؤمنين يدعوك ، قال من عنده ، فسماهم له ، فقال الحسن عليه السلام : ما لهم خسر عليهم السقف من فوقهم ، واثامهم العذاب من حيث لا يشعرون .

ثم قال الامام الحسن ، يا جارية ، ابغيني ثيابي ، اللهم انى اعوذ بك من شرورهم ، وادرا بك فى نحورهم ، واستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت ، وانى شئت ، بحول منك وقوة ، يا ارحم الراحمين .

ثم قال : فلما دخل على معاوية ، أعظمه وأكرمه وأجلسه الى جانبه ، وقد ارتاد القوم وخطروا خطران الفحول ، بغيا فى انفسهم وعلوا ، ثم قال معاوية يا ابا محمد ، ان هؤلاء بعثوا اليك وعصونى .

فقال الحسن عليه السلام سبحانه الله « الدار دارك والاذن فيها اليك ، والله ان كنت أحببتهم الى ما أرادوا وما فى انفسهم ، الى لأستحى لك من الفحش ، وان كانوا غلبوك على رأيك انى لامتحى لك من الضعف ، فأيهما تقرر وأيها تنكر ، أما الى لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بنى عبد المطلب ، وما لى أن أكون مستوحشا منك ولا منهم ان ولى الله ، وهو يتولى الصالحين » .

فقال معاوية يا هذا ، انى كرهت أن ادعوك ، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك مع كراحتى له ، وان لك منهم النصف ومنى ، وانما دعوتك لنقررك أن عثمان قتل مظلوما ، وأن اباك قتله ، فاستمع منهم ثم أجبهم ، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تكلم بكل لسانك .

ثم تكلموا واحدا بعد واحد ، وكانوا فيما تكلموا به متجنين متحاملين ، ولقد جائبوا الصواب فيما تكلموا به ، ويكفى كأنموذج لتحاملهم ، أن أقلل للقارىء الكريم كلام عمرو بن العاص وهو أول متكلم فيهم :

تكلم عمرو ، فحمد الله ، وصلى على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر عليا ، عليه السلام فلم يترك شيئا يمينه به الا قاله ، وقال انه شتم ابا بكر وكره خلافته ، وامتنع من بيعته ، ثم بايعه مكرها ، وشرك في دم عمر ، وقتل عثمان ظلما ، وادعى من الخلافة ما ليس له .

ثم ذكر الفتنة يعيره بها ، وأضاف اليه مساوية ، وقال يا بنى عبد المطلب ، لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء ، واستحلالكم ما حرم الله من الدماء ، وحرصكم على الملك واتيانكم ما لا يعل .

ثم افك يا حسن ، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة اليك ، وليس عندك عقل ذلك ولا لبه ، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك ، فتركك أحق قريش ، يسخر منك ويهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك .

وانما دعوتناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرد الله به ، وكما لا أمره ، وأما أنت فأنت فأنك في أيدينا نختار فيك الخصال ، ولو قتلناك ما كان علينا اثم من الله ، ولا عيب من الناس ، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ، فإن كنت ترى أننا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا والآآن اعلم أنك وأباك ظالمان .

أقول ، وقد كنت أن أنكر عقلي ، وأن أقرأ مقالة عمرو هذه ، فكيف قالها ، وظن أنه صادق فيما قال ، مع أنه والله لم يقل صدقا ، ولا عدلا ، وقد كنت أربأ به في ذكائه أن يخبط ، بهوى سياسى ، مثل هذا الخبط ، وهو خبط عشواء وأضل ، ولئن كان أرضى معاوية ، فقد أغضب الله ربه ، وكأنه كلام محموم يهذى فلا يدري ما يقول ولا حول ولا قوة الا بالله .

والا فبماذا يستحل حرمة الامام الحسن وآله ، وبماذا يستحل دم الامام الحسن ، بعد أن وقف من السلم موقفا خلده في التاريخ ويرحم الله السيد محمد اقبال فيلسوف الباكستان العظيم اذ يقول مشيرا بذلك الموقف الكريم ، في قصيدته التي مرت عليك :

حسن الذى صان الجماعة بعدما أمسى تفرقها يحل عراها
ترك الخلافة ثم أصبح فى الديار امام القتها وحسن علاها

على أن امامنا الحسن ، عرض عليه معاوية ، أن يكون الخليفة من بعده ، وطبعا كان ذلك يُعلم عمرو ورضاه ، فهل كانت صورة الامام الحسن عندهما يومئذ هي الصورة القبيحة التي نطق بها عمرو افكارا وبهتاناً في مقالته المتقدمة ، التي يطعن بها حليفه معاوية قبل أن يطعن بها الامام الحسن ، لأنه لو صدقت الصورة ، وحاشا ، لكان اختيار معاوية الحسن للخلافة من بعده أسوأ اختيار ، وأن كذبت الصورة ، وهي كاذبة فعلا فلا يسمع قول لكذاب ، لأن الوقت أئمن من القول الكاذب .

وما لي أرد عليهم ، وقد أغناني الامام الحسن ، وأنى لثلى أو لأكبر منى أن يزاحمه ، فقد أجابهم واحدا واحدا ولقى عمرو منه جزاءه كما سترى :

حمد الامام الحسن الله ، وأثنى عليه ، وصلى على رسوله وآله ثم قال :

« أما بعد ، يا معاوية ، فما هؤلاء شتموني ، ولكنك شتمتني ، فحشا ألفتة ، وسوء رأى عرفت به ، وخلقا سيئا ثبت عليه ، وبشيا علينا ، عداوة منك لمحمد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا ، فلاقولن فيك وفيهم دون ما فيكم .

أنشدكم الله ، أيها الرهط ، أتعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم ، صلى للقبليتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر ، تراهما ضلالة ، وتعبد اللات والعزى غواية .

وأنشدكم الله ، هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما ، بيعة الفتح ، وبيعة الرضوان ، وأنت يا معاوية ، باحداها كافر ، وبالأخرى فاكث .

وأنشدكم الله هل تعلمون ، أنه أول الناس ايمانا ، وأنتك يامعاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم ، تسرون الكفر وتظهرون الاسلام ، وتستمالون بالأموال .

وأنشدكم الله ، أستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله يوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحد

ويوم الأحزاب ، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعك ومع أيك راية الشرك .

وفى كل ذلك يفتح الله له ، ويفلج حجه ، وينصر دعوته ، ويصدق حديثه ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك المواطن كلها عنه راض ، وعليك وعلى أيك ماخط .

وأشددك الله يامعاوية ، أتذكر يوما جاء أبوك على جبل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله عليه وسلم فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق .

أتسى يا معاوية الشعر الذى كتبت الى أيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك :

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا
بمعد الذين بيدر أصبجوا فرقا
خالى وعمى وعمم الأم ثالثهم
وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
ولا تركزن الى أمر تكلننا
والراقصات به فى مكة الخضرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد
حاد ابن حرب عن العزى اذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت أيها الرهط ، أتعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه الى بنى قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث عليا بالراية ، فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله ، وفعل فى خير مثلها .

ثم قال يا معاوية ، أظنك لا تعلم ، أنى أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ، لما أراد أن يكتب كتابا الى بنى خزيمة ، فبعث اليك ابن عباس ، فوجدك تأكل ، ثم بعث اليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، ثم بعث اليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، فدعا عليك الرسول بجوعك ، ونهيك الى أن تموت (جاءت هذه القصة فى ترجمة معاوية فى أسد الغابة منقولة من صحيح مسلم) .

وأفاض الامام الحسن فى وقائع أخرى مع أبى سفيان ، ثم وجه كلاما لعمر بن العاص ، عده عمرو قذفا ، وطالب معاوية بإقامة الحد على الامام الحسن ، فقال معاوية خل عنه ، لا جزاك الله خيرا ، وقد استحسنتم عدم نقله اختصارا .

ومما قاله الامام الحسن لعمر بن العاص ، فأنت عدو بنى هاشم فى الجاهلية والاسلام ، ثم أنك تعلم ، وكل هؤلاء الرهط يعلمون ، أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا من الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم انى لا أقول الشعر ولا ينبغى لى ، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة — فعليك اذن من الله مالا يحصى من اللعن .

وأما ما ذكرت من أمر عثمان ، فانت سمرت عليه الدنيا نارا ، ثم لحقت بفلسطين ، فلما أتاك قتله قلت ، أنا أبو عبدالله اذا نكأت قرحة أدميتها ، ثم حبست نفسك الى معاوية ، وبعت دينك بدنياك ، فلسنا نلومك على بغض ، ولا نماتبك على ود ، وبالله ما نصرت عثمان حيا ، ولا غضبت له مقتولا ، الى آخر ما عنفه به ثم قال له ، فهذا جوابك ، هل سمعته .

وكان مما قاله الامام الحسن للوليد بن عقبة :

وأما أنت يا وليد ، فوالله ما ألومك على بغض على ، وقد جلدك ثمانين فى الخمر ، وقتل أباك بين يدى رسول الله صبورا ، وأنت الذى سماه الله الفاسق ، وبسمى عليا المؤمن ، حيث تفاخرتما فقلت له ، اسكت يا على ، فأنا أشجع منك جنانا ، وأطول منك لسانا ، فقال لك على ، اسكت يا وليد فأنا مؤمن ، وأنت فاسق ، فأنزل الله تعالى فى موافقة قوله « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون » ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ويحك يا وليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك :

أنزل الله والكتاب عزيز فى على وفى الوليد قرآنا
فتبوى الوليد اذ ذاك فسقا وعلى مبسوا ايمانا
ليس من كان مؤمنا عمرك الله كمن كان فاسقا خوانا

ثم التفت الامام الحسن الى عتبة ، وقال متهمًا :

وأما أنت يا عتبة ، فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأحاورك
وأعائبك ، وما عندك خير يرجى ، ولا شر يتقى ، وما عقلك وعقل أمتك الا
سواء ، وما يضر عليا لو سبته على رؤوس الأشهاد ، وأعقب ذلك بكلام
قارس أمسكت عن قلبه اختصارًا ، ثم التفت الامام الحسن الى المغيرة ،
وقال له في سخرية لاذعة :

وأما أنت يا مغيرة ، فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه ، وإنما
مثلك مثل البموضة اذ قالت للنخلة ، استمسكي ، فاني طائرة عنك ، فقالت
النخلة ، وهل علمت بك واقفة على ، فأعلم بك طائرة عنى ، وأتبع ذلك
بكلام قارس أمسكت عن قلبه اختصارًا .
ثم وجه كلامه للجميع قائلًا :

وأما فخركم علينا بالامارة ، فان الله تعالى يقول « واذا أردنا أن
نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »
قالوا ، ثم قام الامام الحسن فنفض ثوبه ، وانصرف ، فقال معاوية
قد أبأنتكم أنه ممن لا تطاق عارضته ، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتموني ،
والله ما قام حتى أظلم على البيت ، قوموا عنى ، فقد فضحككم الله وأخزاكم
بترككم الحزم ، وعدولكم عن رأى الناصح المشفق والله المستعان .

استرعاه نظر :

والى أود أن استرعى نظر القارىء الكريم الى الاعتبارات الآتية :

١ — ان الامام عليا لم يكرهه أحد على بيعة أبى بكر ، كما ادعى عمرو
ابن العاص ، وكان تأخره عن بيعته ببعض الوقت فى أرجح الأقوال
كما مر عليك لسببين :

أ) انه لم يشترك فى اجتماع السقيفة ، وكان مشغولًا بتجهيز
مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يرجو أن يدعى
للاجتماع باعتباره من السابقين الأولين .

ب) ان السيدة الزهراء زوجته ، كانت تطالب سيدنا أبا بكر رضى الله عنه فى ميراثها من أبيها فى أرض فدك ، ولم يجيبها ، وأخبرها أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نحن معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه فهو صدقة ، وما زال الخليفة الأول يسترضيها حتى رضيت عنه ، وهدد بترك الخلافة ان لم تكن الزهراء عنه راضية ومما قاله فى استرضائها، « يا حبيبة رسول الله . والله ان قرابة رسول الله أحب الى من قرابتي ، وانك لأحب الى من عائشة ابنتى .. »

فالامام على فى تأخره عن البيعة ، كان يطيب خاطر زوجته ، حتى اذا رضيت بايع وقد قال تعالى فى نية رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبة « لم تحرم ما أحل الله لك تبغنى مرضاة أزواجك » وفى ذلك ثناء على نية علمها الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغنى تطيب خواطرهن ، ثم عاتب تعالى زوجته فقال « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه .. الآية » .

ويضاف الى ما تقدم أن الامام عليا وان تأخر فى البيعة ، فانه لم يخرج على الخليفة الأول ولم يحاربه ، كما فعل معاوية وعمر ، حين خرجا على الامام على ، وحارباه دون حق .

٢ — أما أن سيدنا عليا شارك فى دم عمر ، فلم يقل أحد ذلك ، وكيف وهو يخاف الله خوف السابقين ، يقتل النفس التى حرم الله الا بالحق .

وسيدنا عمر صهره ، وحيبيه ، وستعلم فيما يلى أنه حرص على مصاهرة الامام على ليكون له نسب بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث وقف على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل نسب ينقطع يوم القيامة الا نسبي » ، وكان سيدنا عمر ، كما مر القول ، يقول لا أبقانى الله فى بلد لست بها يا أبا الحسن ، فهل كان يشك فى عداوته ويقول ذلك أو يصاهره .

٣ - ان سيدنا عمر حين استخلف ، أشار بواحد من الستة الذين اتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وكان فيهم امامنا علي ، فكان موضع ثقته الى آخر رفق من حياته .

٤ - ان سيدنا عمر قال لبعض جلسائه مشيرا الى فضل الامام علي : لو ولوها الأجلح لحملهم على الجادة ، فقالوا وما يمنعك أن تستخلفه ، قال لا أحملها حيا وميتا فليختاروا لأنفسهم .

٥ - روى الامام القرطبي في تفسيره (في سورة الحديد) أن الامام عليا كرم الله وجهه قال منوها بفضل الشيخين أبي بكر وعمر :

سبق النبي صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر ، وثلاث عمر ، فلا أوتى برجل فضلى على أبي بكر الا جلده حد المفترى ثمانين جلدة وطرح الشهادة .

٦ - أما دم عثمان ، فان الامام عليا وابنيه الامامين الحسن والحسين ، دفعوا عنه بما لم يدفع عنه متهموه ، وكان عمرو بن العاص أول الناصحين لعثمان باعتزال الخلافة ، وكان يقاطع عثمان وهو يخطب ليسترضى الثائرين ، وكان يقول انى لالتقى الراعى فأحرضه على عثمان ، وقد مر عليك بادل على شماتته به حين قتل ، وأما معاوية فلم يدفع عنه بشيء ، كما أنه لم يقتص من قتلته ، كما كان يطلب من أمير المؤمنين على .

وذكره بالقصاص ورثة عثمان فتهرب ، وقد روى العلامة العقاد فى كتابه عبقرية الامام علي ، أن معاوية زار المدينة فسمع ابنة عثمان تقول على مسمع منه : وا أبتاه ، فقال لها متهربا من القصاص وهو فى سلطانه :

يا ابنة أخى ان الناس أعطونا طاعة ، وأعطيناهم أمانا ، وأظهرنا لهم حلما. تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل انسان سيفه ، وهو يرى مكان أنصاره فاذا نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا تكون أم

لنا ، ولأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين ، خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين .

وهذا الذى علمته من قول معاوية ، يريك بدليل واضح ، أن دم عثمان كان نكأة يخدعون بها الجبال ، ويحرضون بها أهل الشام ، الذين اتقادوا اتقياد الأعمى لقائده ، بدافع من المال الذى أغدقه عليهم معاوية بلا حساب .

وإذا كان معاوية قد نجح فى استمالة أنصار أهل البيت بماله ، فاستمالة أهل الشام كانت عليه أهون وأرخص ، أو ليس هو الذى قال : لاستميلين بالدنيا قهاة على ، ولاقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته . وقد غلبت على الناس الدنيا ، وصدق أمير المؤمنين على حين قال لأتباعه : والله ما معاوية بأدهى منى ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية القدر ، لكنت من أدهى الناس .

وحين قال لهم ، ولكنه لا رأى لمن لا يطاع .

وحين قال لهم ، لم تكن يبعثكم اياى فلتة ، وليس امرى وأمركم واحدا ، انى أريدكم لله وأتمم تريدونى لأنفسكم .

أقول وما أصدق سيدنا عثمان رضى الله عنه حين قال فى إحدى خطبه :

« ان ما تبتلى به هذه الأمة ، قدر واقع لايدفع ، وان فتنة الدنيا طفت على النفوس طغيانها الذى لاتجدى فيه الحيلة أو المحاولة » .

كما أقول صدق الامام الحسين رضى الله عنه حين قال :

« الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم ، يحوطونه ما درت به معاشتهم ، فاذا محصوا بالبلاء ، قل الديانون » .

بين عمرو بن العاص والامام الحسن مرة أخرى :

روى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى قال ، لقي عمرو بن العاص الحسن بن على عليه السلام فى الطواف ، فقال له ، ياحسن ، زعمت أن

الدين لا يقوم الا بك وبأييك ، فقد رأيت الله أقامه معاوية ، فجعله راسيا
بعد ميله ، وبيننا بعد خفائه ، أفرضى الله بقتل عثمان .

أو من الحق أن تطوف بالبيت ، كما يدور الجمل بالطحين ، عليك
ثياب كغرقم البيض (القشرة الملتزقة ببياض البيض) وأنت قاتل عثمان ،
والله أنه لآلم للشعث ، وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أييك .
فألقمه الامام الحسن عليه السلام الصخر ورد عليه قائلا :

« ان لأهل النار لعلامات يعرفون بها ، الحادا لأولياء الله ، وموالاة
لأعداء الله ، والله انك لتعلم أن عليا لم يرتب في الدين ، ولم يشك في الله
ساعة ولا طرفة عين قط .

وايم الله لتنتهين يا ابن أم عمرو ، أو لأنفذن خضنيك بنوافذ أشد
من التعضية (الأسنة) فايالك والتهجم على ، فإني من قد عرفت ، لست
بضعيف الغمزة ، ولاهش المشاشة (أي رؤوس العظام) ولا مريء
المأكلة .

« واني من قريش كواسطة القلادة ، يعرف حسبي ، ولا أدعى لغير
أبي ، وأنت من تعلم ويعلم الناس ، تحاكت فيك رجال قريش ، فغلب
عليك جزارها ، الأهمم حسبا ، وأعظمهم لؤما ، فايالك عنى ، فانك رجس ،
ونحن أهل بيت الطهارة ، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا . »
قال فأفهم عمرو وانصرف كئيبا .

مقارنة بين معاوية وعمرو :

دلى اطلاقى على أن معاوية كان يحسن معاملة السبطين الحسن
والحسين ، واذا قدم عليه أحدهما رحب به قائلا : مرحبا وأهلا ، وكان
يجلسهما معه على سرير الملك ، وكان يقضى لهما الحاجات ، وكان يتحاشى
اغضابهما ، لا بل انه أوصى يزيد ابنه بالامام الحسين وجاء في وصيته
تلك : ... « وان له رحما ماسة ، وحقا عظيما وقرابة من محمد ، صلى الله
عليه وسلم ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فان قدرت عليه

فاصفح عنه ، فانى لو أنى صاحبه عفوت عنه « ، ولعل حسن معاملة معاوية
للسبطين هو الذى جعل بعض الرواة يقولون ان الذى تولى سب الامام
الحسن هو يزيد وليس معاوية .

معاوية يتمسح عند موته فى آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم :

جاء فى شرح كتاب زاد المسلم ، قال صاحب العقد الفريد أنه لما ثقل
معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد ، فوجد عثمان بن محمد بن أبى سفيان
جالسا ، فأخذ بيده ودخل على معاوية ، وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد
فلم يكلمه فبكى يزيد .

ثم قال معاوية أى بنى ، ان أعظم ما أخاف الله فيه ، ما كنت أصنع
بك ، يا بنى انى خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا مضى
لحاجته وتوضأ ، أصب الماء على يديه ، فنظر الى قميص لى قد انخرق من
عاتقى ، فقال لى ، يا معاوية ألا أكسوك قميصا ، قلت بلى ، فكسانى قميصا
لم ألبسه الا لبسة واحدة ، وهو عندى ، واجتز (قص شعره) ذات يوم
فأخذت جزارة شعره وقلامة أظافره ، فجعلت ذلك فى قارورة .

فاذا مت يا بنى فاغسلنى ، ثم اجعل ذلك الشعر والأظفار فى عينى
ومنخرى وفمى ، ثم اجعل قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم شماعة
من تحت كفنى ، ان تفعلنى شئ نفع هذا .

تفاوت الصحابة فى الدرجات :

لاشك أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أفضل الأمة المحمدية ، وقد
نزلت آيات شتى فى القرآن الكريم تنوه بفضلهم وسبقهم وغفران ذنوبهم
ورفع درجاتهم .

الا أنهم رضوان الله عليهم يتفاضلون فى الدرجات عند الله فيما
بينهم ، نطق بذلك كتاب الله الكريم ، كما نطقت السنة النبوية المطهرة .
من ذلك مثلا قوله تعالى فى سورة الحديد (وما لكم ألا تنفقوا فى
سبيل الله والله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل

الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) .

والمراد بالفتح فى قول أكثر المفسرين فتح مكة ، وذهبت قلة الى أنه صلح الحديبية .

وجاء فى تفسير الامام القرطبي كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ، ونفتان احدهما أفضل من الأخرى ، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك ، لأن حاجة الناس قبل الفتح كانت أكثر لضعف الاسلام ، والاتفاق حينئذ كان على المنفقين أشق ، والأجر على قدر النصب . قال ، والآية نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ، وفيها دليل واضح على تفضيله وتقديمه ، لأنه أول من أسلم (من الرجال) ، وأول من أنفق على النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ، وقد وعد الله الجميع الجنة ، مع تفاوت الدرجات ، كما أن المهاجرين مفضلون على الأنصار ، وقد بين ذلك بجلاء سيدنا أبو بكر فى اجتماع السقيفة فقال للأنصار ، وقد مننا فى القرآن عليكم نحن الأمراء وأنتم الوزراء .

وأقول ، ولا شك أن الامام عليا بسبقه الى الاسلام صبيا دون الحلم ، وبقتاله الرائع قبل الفتح من أصحاب الدرجات العليا بنص الآية المتقدمة ، كيف لا وقد قال فيه أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : لولا سيفه ما قام عمود الاسلام .

اجتهاد الصحابة :

الى أو من باجتهاد الصحابة فى تصرفاتهم ، كما أو من أنهم عدول ، ولا يشذ منهم عن هذه القاعدة فى رأى ، الا من خالط تصرفاته هواه الشخصى الذى يخرج عن سواء السبيل .

فاذا قست كلا من معاوية وعمر بن العاص بهذا المقياس ، لا أقول باجتهاد أى منهما ، فقد كان معاوية فى خصومته للامام على ، كرم الله وجهه

يشد ملكا ، يتشبه فيه بكسرى وقيصر ، حيث كان أهل السابقة في الدين يريدون خلافة الراشدين .

وحيث أطفأ نيران الفتنة الامام الحسن عليه السلام بتنازله عن الخلافة ، لم يقف الهوى بمعاوية عند ملكه هو بل غلبه الهوى ، وحب ابنه ، وتأسيس الملك في بيته ، فأكره المهاجرين والانصار على بيعه ابنه برهة السيف ، وترتبت على تلك البيعة المشؤومة الحوادث التي غرمت الحزن الدائم في قلوب المسلمين ، كما كانت السبب المباشر في الخلاف القائم فيهم الى اليوم ، حتى في الآراء الدينية ، حيث جرت الخلافات السياسية الى الخلافات المذهبية ، وهي حالة تسوء ولا تسر ، وقد تأصلت في المسلمين علة الخلاف فاستعصت على علاج المصلحين ويا أسفاه .

وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسرى أهل بدر ، فأشار سيدنا أبو بكر وجماعة معه بأخذ الفدية ، وأشار سيدنا عمر بضرب رقابهم اذ لا هوادة في الدين ، وحيث لم يكن قد نزل وحى ، فقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى الأغلبية وقبل الفدية .

ولما نزل قوله تعالى (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) تخرج الصحابة من الأكل من مال الفدية ، فأزال الله عنهم الحرج وأحل لهم الغنيمة فقال (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فأقرهم على اجتهادهم ، لأنهم وان أخطأوا الرأي الصائب لكنهم أخطأوا باجتهاد جماعى ، لم يغلبهم فيه هوى فردى لنفع شخصى بل أرادوا أن يأخذوا الفدية ليستعينوا بها في المصلحة العامة ومواجهة أعدائهم الكافرين ، وقد وضع ذلك سيدنا أبو بكر في رأيه .

ومن الواضح أن معاوية لابس هوى الملك لنفسه وتمعدها الى ابنه وأعتابه ، فخرج على ولى الأمر أولا بغير حق ، ثم خرج عن أصل الشورى الذى كان يطلبه الى الامام على ، ثم الذى شرطه عليه في شروط الصلح الامام الحسن بن على ، وهو النهج الأقوى الذى سارت عليه سنة أسلافنا الأولين الصالحين .

وعمر بن العاص ، اشترط على معاوية في مؤازرته أن يعطيه خراج مصر بأكمله ان تم له الظفر على الامام على ، فكانت المصلحة الخاصة ، دافعة له ، في مواقفه العدائية ، لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحبذا لو لم يزل به الهوى هذه الزلة ، وهو فاتح الشام ومصر .

وما أصدق ما قال معاوية في شجاعة أدبية ، أما أبو بكر فلم تردم الدنيا ولم يردها ، وأما عمر فقد أرادته الدنيا فلم يردها ، وأما نحن فقد تهلينا فيها ظهرا لبطن .

مقارنة بين موقف الامامين الحسن والحسين عليهما السلام :

سلم الامام الحسن الامر لمعاوية ، ولم يفعل الامام الحسين فعله مع يزيد ، ولعل اختلاف الموقنين يشير شكوكا في افهام بعض الناس ، والنصف المتأمل يرى أن كلا منهما كان مجتهدا في رأيه ، ومحقا في موقفه .

أما عذر الامام الحسن في التنازل فقد بان للقارىء المتأمل في الحوادث التي جرت ، فإن أنصار معاوية كانوا من أهل الدنيا ، تلبس الأموال بأهوائهم ، وقد عرف معاوية علتهم فنثر عليهم الذهب والفضة ثرا ، فوجدوا في يدى معاوية ما يشتهون ..

وكان معاوية صالحا لأهل الدنيا ، وكان أهل الدنيا صالحين لمعاوية ، وقد مر عليك ما قاله عمرو بن العاص ، لا يصلح لهذا الأمر الا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر ، وما قاله معاوية : لأستميلن بالدنيا قناة على ، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياى آخرته ، فلم يكن في أهل العراق أحد في قلبه مرض الا طمع في معاوية .

أما أنصار الامام الحسن ، فهم أنصار أبيه ، وقد وصفهم أبوه فقال : أيها الناس المجتمع أيدائهم ، المختلفة أهواؤهم ، وقليل منهم من كان معه قلبا وقالبا .

وقد طلب الامام الحسن خلافة الراشدين ، وخاف الله كآبئه في أموال المسلمين ، فلم ينثر على جنوده الأموال ثرا ، بل أراد أن يقساق

الناس معه انتصارا للحق وطلباً للأخرة ، فلم يتحسب لذلك منهم الا أهل الصدق والوفاء والدين ، وقليل ما هم .

وقد خذله في موقف الجدل ، كما رأيت ، ابن عمه عبيد الله بن عباس والتمسه الناس ليصلى بهم الصبح فوجدوه في عسكر معاوية ، فلا رده دينه وورعه ، ولا ردعته عصييته لبني هاشم ، فلم يبق الى جوار خليفة الحق وابن عمه أمير المؤمنين الحسن عليه السلام وغلبت دنياه على دينه ، وخمدت حمية العصية فكان منه ذلك الموقف المخزي ، وقد ذهب المال الذي أغراه وبقي لاصقا به عار الموقف .

وفد رأينا للحق أنصارا أوفياء في صف الامام الحسن ، لكننا رأينا في قلة من أمثال قيس بن سعد ، وعدى بن حاتم ، وقيس بن سعيد ، لكن معاوية كان معه عشرات الألوف ، يأمرون بأمره ، وينتهون بنهيه . لذلك لم يكن عجباً ما علمته من أن جند الامام الحسن اعتدوا عليه ، ونهبوا عسكره ، وشتموه على مسمع الناس في سفاهة الحمقى ، الذين لا يكادون يفقهون قولاً .

أما الامام الحسين ، فقد عرفت أنه كان يعارض أخاه في الصبح مع معاوية ، وحين أصر أخوه رضخ لرايه على كره منه ، وقد زاد الشيعة معارضة بعد موت الامام الحسن ، وشجعتهم معارضة الامام الحسين لسياسة معاوية ، كما شجعتهم قسوة ولاية معاوية في معاملتهم ، وخاصة ما كان منها على يد زياد وابنه عبيد الله .

وآلت الخلافة لمعاوية ، عن رضا من الامام الحسن ، لكن يزيد آلت اليه الخلافة عن معارضة من الامام الحسين وسائر أبناء المهاجرين ، لكن معاوية حمل الناس على البيعة بقوة السلطان ورهبة السيف .

وكان الصراع ، كما يقول العلامة العقاد ، بين الحسين ويزيد أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة ، وعهد الخلفاء الأولين ، قد بذل فيها الحسين روحه ، وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدوم من الحياة فهو أبو الشهداء ، ولتبوع شهادة متخافة ، لا يقرب بها ينبوع في تاريخ البشر أجمعين .

اجتهاد كل من الامامين الحسن والحسين عليهما السلام :

ويرى ابن ابي حديد أن كلا من الامامين الحسن والحسين ، عليهما السلام ، كان مجتهدا فيما رآه ، فسلم الامام الحسن الأمر الى معاوية ، ونازع الامام الحسين اليزيد في الخلافة وعمل كل في موقفه بموجب اجتهاده ، وما غلب على ظنونهما من المصلحة .

وقد كان تمكن الامام الحسن من المصلحة الحاضرة ، أكثر من تمكن الامام الحسين في حاله الحاضرة ، لأن جند الحسن كان حوله ومطيئا به ، وهم كما روى مائة ألف سيف ، ولم يكن مع الامام الحسين من يحيط به ، ويسير بمسيره الى العراق الا دون مائة فارس ، ولكن ظنهما في عاقبة الأمر ومستقبل الحال كان مختلفا .

فكان الامام الحسن يظن خذلان أصحابه عند اللقاء والحرب ، وكان الامام الحسين يظن نصرة أصحابه عند اللقاء والحرب ، فلذلك أحجم احدهما ، وأقدم الآخر .

ويقول ابن ابي حديد في موضع آخر ، وقد صح في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما شاور في أمر أسرى بدر أبا بكر أشار ألا يقتلهم ، وأشار عمر بقتلهم ، فمدحهما رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا . ويتضح لك شعار الامام الحسين ، حين طلبوا اليه أن يبايع لليزيد ابقاء على حياته واتقاء للموت الذي يلقاه ان لم يبايع فقال لقائد الجيش الذي أرسلوه لقتاله : أبا الموت تخوفنى وتمثل :

سأمضى وما بالموت عار على الفتى إذا مانوى خيرا يجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مشبورا وفارق مجرما
فإن عشت لم ألدن وإن مت لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

وقال أيضا في شمع نبوى هاشمى ، لا والله ، لا أعطيهم يدي اعطاء الذليل ولا اقرار العبيد ، ألا وإن الدعى بن الدعى خيرا بين اثنتين : السلة أو الذلة (والسلة انتزاع الشيء ويقصد البيعة) وهيات منا الذلة ، يابى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت ، وبطون طهرت ، وأنوف حية ، ونفوس أبية .

وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين :

روى ابن عبد البر من وجوه في كتاب الاستيعاب ، أن الامام الحسن ، لما حضرته الوفاة قال للامام الحسين أخيه :

ياأخي ، ان أباك رحمه الله ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استشرف لهذا الأمر ، ورجا أن يكون صاحبه فصرفه الله عنه ، ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبابكر الوفاة تشوف لها أيضا ، فصرفت عنه الى عمر ، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين منته هو أحدهم ، فلم يشك أنها لاتعدوه ، فصرفت عنه الى عثمان ، فلما هلك عثمان ببيع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها ، فما صفا له شيء منها .

واني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرنك ما استخفك أهل الكوفة فأخرجوك .

اني وقد كنت طلبت الى عائشة اذا مت أن تأذن لي ، فأدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت نعم ، واني لا أدري ، لملها كان ذلك منها حياء ، فاذا أنامت فاطلب ذلك اليها ، فان طابت نفسها فادفني في بيتها ، وما أظن القوم الا سيمنعونك اذا أردت ذلك ، فان فعلوا فلا تراجعهم في ذلك وادفني في بقيع العرقد ، فان لي بمن فيه أسوة .

أقول وقد مر عليك ما يؤيد صدق فراسة الامام الحسن ، فقد اعترض مروان على دفن الامام الحسن الى جوار جده صلى الله عليه وسلم ، فدفن في البقيع الى جوار والدته السيدة الزهراء رضي الله عنهما وعن ذويهما .

لماذا خالف الامام الحسين وصية الامام الحسن :

اني شخصيا أعتقد أن الذي اضطر الامام الحسين لمخالفة الوصية التي أوصاه بها أخوه ، حين خرج من مكة الى الكوفة هي الاعتبارات الآتية :

١ - خروج معاوية عن مبدأ الثورى ، وجعله ملك بنى مسفيان وراثيا ، يتوارثه الخلف عن السلف ، وهو أمر خطير على الاسلام وأهله .

٢ - بيعة معاوية ليزيد ، وهو تابعى ، مع فسقه المشهور بين الناس وتركه لخيار الصحابة من المهاجرين والأنصار .

٣ - ايفاد الامام الحسين لابن عمه مسلم بن عقيل ، ليستوثق له من حال أهل الكوفة ، وقد أحسن أهل الكوفة استقباله وبأبموا تحت سمه وبصره لابن عمه الامام الحسين ، وكتب بذلك للامام الحسين ، فخرج من مكة الى الكوفة على بينة من أمره ، لكن أفسد بيعة الامام الحسين تولية عبيد الله بن زياد على الكوفة (مع ولايته على البصرة) فاشترى أهل الكوفة بالمال وأشاع فيهم الرعب ، فعدروا بسلم بن عقيل وتخلوا عنه ومكنوا ابن زياد منه فقتله ، وكان الامام الحسين قد وصل الى مشارف الكوفة ووقع استشاده مع أهله وصحبه فى كربلاء ، وهو قادر واقم ، والحذر لا ينجى من القدر ، وانا لله وانا اليه راجعون .

و شاء الله ، جلت حكمته ، أن يرتبط باستشهاد الامام الحسين سقوط دولة بنى أمية ، فان استشاده كان معول هدمها ، وان يرتبط باستشاده قيام الدولة العباسية فى المشرق ، والفاطمية فى المغرب ، والأموية فى الأندلس (حتى قضى عليها بنو حمود الاشراف الحسينيون) .

ولا تنس أن أهل الراى نصحوا لسيدنا أبى بكر الصديق بعدم قتال أهل الزدة فخالفهم جميعا حيث رأى باجتهاده أن قتالهم واجب وقال أينقص الدين وأنا حى (ولكل وجهة هو موليها) .

وقد حى الامام الحسين حياة الشهداء ، وباء خصومه بزوال ملكهم بعد ستين سنة من استشاده ، وهو عمر قصير فى طول الحياة ، وقد نالوا من عدالة الله جزاءهم فأخذوا وقتلوا تقتيلا ، وشربوا على يد المختار بن عبيد الله وأبى العباس السفاح وأعمامه ، مرارة بنعيم ، والآخرة أشد عذابا وأبقى ، وما ربك بظلام للعبيد .

اتماما للفائدة ، تتعرض لبعض الوقائع التي يحسن بالقارىء أن يلم بها ، فى مناسبة قراءته لتاريخ الامام الحسن .

بين معاوية وحجر بن عدى وأصحابه :

علم القارىء الكريم مما مر عليه أن معاوية قتل حجر بن عدى وأصحابه ، وهامى بعض التفاصيل :

جاء فى تاريخ الطبرى من حوادث سنة احدى وخمسين مقتل حجر بن عدى الكندى ، وذلك أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فى سنة ٤١ ، دعاه وأوصاه بشتى على وذمه والعيب على أصحابه والاقصاء لهم ، وباطراء شيعة عثمان ، والادناء لهم والاستماع منهم .

فأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية ، سبع سنين وأشهرًا ، لا يدع ذم على والوقوف فيه ، والدعاء لعثمان ، والتزكية لأصحابه ، والطلبين بدمه . فكان حجر بن عدى ، اذا سمع ذلك ، قال بل اياكم فذم الله ولعن ، ثم قام فقال ان الله عز وجل يقول (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) وآلا أشهد أن من تدمون وتميرون لاحق بالفضل .

ولما هلك المغيرة سنة ٥١ ، جمعت الكوفة والبصرة لزياد بن سمية ، فصعد المنبر ، وذكر عثمان وأصحابه فقرظه ، وذكر قتلته ، ولعنهم ، فقام حجر ففعل مثل الذى كان يفعل بالمغيرة .

ورجع زياد الى البصرة ، وولى الكوفة عمر بن الحرث ، فبلغه أن حجرا يجتمع اليه شيعة على ، ويظهرون لعن معاوية والبراءة منه ، فشخص الى الكوفة ، وخطب يوم الجمعة ، وأطال الخطبة وأخر الصلاة ، فقال حجر بن عدى : الصلاة ، فمضى فى خطبته ، ثم قال الصلاة ، فمضى فى خطبته فلما خشي حجر فوات الصلاة : ثار اليها وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد صلى بالناس .

وكتب الى معاوية فى أمره فكتب اليه معاوية ، أن شده فى الحديد ثم احمله الى ، فأخذ زياد حجر بن عدى وحبسه ، ثم أرسله الى معاوية فى

الحديد ، فلما جهل عليه ، سلم عليه فقال له معاوية ، والله لا أقيلك ،
أخرجوه فاضربوا عنقه .

وجاء فى التاريخ الكبير لابن عساکر ، أن حجر بن عدى الكندى ،
من أهل الكوفة ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان مع الجيش
الذى فتح الشام ، وشهد صفين مع على بن أبى طالب وقتل بعدد من قرى
دمشق ومسجد قبره بها معروف .

وقال حجر لأصحابه ، ان قتلنى معاوية ، لا تفكوا قيودى ، وادفونى
بها ، ولا تغسلوا عنى دما ، فانى ألقى معاوية بذلك غدا .

وجمع زياد من أصحاب حجر ثلاثة عشر رجلا فتسوا به أربعة عشر ،
وأرسلهم مع حجر الى معاوية فقتل منهم سبعة ، فاستقطع أهل الكوفة ذلك
استظانا شديدا .

وقد قال معاوية ، ما قتلت أحدا الا وأنا أعرف فيم قتلته ما خلا حجرا ،
فانى لا أعرف بأى ذنب قتلته .

أقول وهؤلاء ، الذين قتلهم معاوية ، كان الامام الحسن قد أخذ
الأمان لهم من معاوية ، وفى ذلك خروج سافر على شروط الصلح .

بين الامام الحسن وحجر بن على :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى ، قال ، دخل عبيدة بن عمرو
الكندى على الحسن عليه السلام ، وكان ضرب على وجهه ضربة ، وهو
مع قيس بن سعد بن عباد ، فقال ما الذى أرى بوجهك ، قال أصابنى مع
قيس .

فالتفت حجر بن عدى الى الامام الحسن فقال لو ددت أنك كنت من
فيل هذا اليوم ، ولم يكن ما كان ، انما رجعنا راغمين بما كرهنا ، ورجعوا
مسرورين بما أحبوا .

فتغير وجه الامام الحسن ، وغمز الحسن عليه السلام حجرا فسكت
فقال الامام الحسن عليه السلام ، يا حمر ليس كل الناس يحب ما تحب ، ولا
رأيه كرايك ، وما فعلت ما فعلت الا ابقاء عليك ، والله كل يوم فى شأن .

الْبَابُ الثَّلَاثُ

الْمَتَمَمَات

- ✽ الكُتُورُونُ مِنَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ
- ✽ حَوْلِ اجْتِمَاعِ النَّبُوَّةِ وَالْخِلاَفَةِ
- ✽ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ وَمِظَاةِرِ الْمَلِكِ
- ✽ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي وَصْفِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ
- ✽ وَصِيَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ لِابْنِهِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ

توبة طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة :

أجمع العلماء على توبة طلحة والزبير وأم المؤمنين سيدتنا عائشة من موقفهم في واقعة الجمل ، فعليهم رضوان الله .

أما الزبير فقد انسحب من المعركة كما علمت ، وقال لأمير المؤمنين على حين ذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد أذكرتني ما أنسانيه الدهر ، ولو ذكرت ذلك ماخرجت .

وأما طلحة ، فقد رأى وهو يجود بنفسه ، رجلا الى جواره ، فقال من أى الفريقين أنت قال من فريق أمير المؤمنين على ، فقال أبلغه أنى مبايعة ، ولما بلغ ذلك أمير المؤمنين ، قال أبى الله أن يدخل طلحة الجنة الا ويبتغى فى عنقه ، وقد حزن لقتله أمير المؤمنين عليه السلام ورثاه كما سلف القول .

أما سيدتنا عائشة ، فقد قالت لأمير المؤمنين على عليه السلام ، يا ابن أمى طالب ملكك فاسجج ، فقال لها غفر الله لك قالت وغفر لك ، وودت لو أنها ماتت قبل يوم الجمل بعشرين عاما ، وكانت تبكى وتقول وقرن فى بيوتكن ، كما أنها وهى خارجة من البصرة قالت للناس : أيها الناس لم يكن بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها (أهل الزوج) وقد سئلت رضى الله عنها أى الناس أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت فاطمة ، فقيل من الرجال ، قالت زوجها ، ان كان ما علمت فواما صراما .

وفى هذه المناسبة ، أذكر أن عبد الله بن الزبير وكان من قادة معركة الجمل ، كان يتردد على مجلس الامام الحسين ويسمع منه .

وكانت السيدة أم اسحق بنت طلحة زوجة للامام الحسن ، فلما حلت وفاته أوصى أخاه الامام الحسين ألا تخرج من بيوتهم ، وان يتزوجها الامام الحسين بعد انقضاء عدتها ، وفعل بالوصية ، وقد أعقب منها ، السيدة فاطمة (النبوية) التى تزوجت من ابن عمها الحسن بن الحسن، وهى أم عبد الله الذى مر عليك ما كان بينه وبين المنصور .

هو توترون من الامام على عليه السلام :

جاء في أخبار صفين ، فيما نقله بسنده ابن أبي حديد عن محمد بن اسحق ما خلاصته :

اجتمع عند معاوية في بعض ليالى صفين ، عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان ، والوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر ، وابن طلحة الطلحات .

فقال عتبة ، ان امرنا وأمر على بن أبي طالب لعجب ، ما فينا الا موتور سجاتح -

أما أنا فقتل جدى عتبة بن ربيعة ، وأخى حنظلة وشرك في دم عمى شية يوم بدر ، أما أنت يا وليد فقتل أباك صبوا ، وأما أنت يا ابن عامر فصرع أباك وسلب عمك ، وأما أنت يا ابن طلحة فقتل أباك يوم الجمل (مع أن مروان هو الذى قتله واعترف بقتله) وأيتهم اخوتك ، وأما أنت يا مروان فقد أفلت .

قال معاوية ، هذا الاقرار ، فابن الغير ، قال مروان ، وأى غير تريد ، قال أريد أن تشجروه بالرماح ، قال والله يا معاوية ، ما أراك الا هاذيا أو هازئا .

فقال ابن عقبة شعرا ، عرض فيه بعمرو بن العاص ، حين نال منه أماننا على مقتلا في صفين ، فالتى عمرو بنفسه عن فرسه ، واستلقى وكشف عورته فأدار أماننا على وجهه ، وتركه ولم يقتله ، وكان عمرو يعير بها فى الناس وجاء فيما قاله ابن عقبة :

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| يقول لنا معاوية بن حرب | أما فيكم لو اترككم طلوع |
| يشد على أبى حسن على | باسم لا تهجنه الكعوب |
| فقلت له أتلعب يا ابن هند | كأنك بيننا رجل غريب |
| أفترينا بحية بطن واد | إذا نهشت فليس لها طيب |
| وما ضيع يدب بطن واد | أسمح له به أسد مهيب |
| بأضعف حيلة منا إذا ما | لقيناه ولقيناه عجيب |
| سوى عمرو وقتنه خصيتاه | وكان لقلبه منه وجيب |

وقال عمرو بن العاص شعرا ، جاءت فيه شهادة صادقة في امامنا على
وخصومه ، وما قاله :

وعيرني الوليد لقياء ليث اذا ما شد هابتة الأسود
فأما في اللقياء فأين منه معاوية بن حرب والوليد
فرمها منه يا ابن أبي معيط وأنت الفارس البطل النجيد
وأقسم لو سمعت ندا على لطار القلب واتفخ الوريد
ولو لا قيته شقت جيوب عليك ولطمت فيك الخدود

بين عمرو ومعاوية في خلافته :

وروى ابن أبي حديد بسنده عن الواقدي قال :

قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له ، لعمرو بن العاص ، يا أبا
عبد الله ، لا أراك الا ويغلبني الضحك ، قال بماذا قال اذكر يوم حمل
عليك ، أبو تراب (كنية الامام علي) في صفين ، فازريت نفسك فرقا من
شبا سنانه ، وكشفت سواتك له .

فقال عمرو ، وأنا منك أشد ضحكا ، اني لأذكر يوم دعاك الى البراز
فاتفخ سحرك ، وربما لسالك في فمك ، وغصصت بريقك ، وارتعدت
فرائصك وبدا منك ما أكره ذكره لك .

فقال معاوية ، لم يكن هذا كله ، وكيف يكون ، ودوني عك
والأشعريون ، قال : انك تعلم ان الذي وصفت دون ما أصابك ، وقد نزل
ذلك بك ، ودونك عك والأشعريون ، فكيف كان حالك ، لو جمعكما
مأقط الحرب (موضع القتال) .

فقال معاوية ، يا أبا عبد الله خض بنا الهزل الى الجبد ، ان الجبن
والفرار من علي ، لا عار على أحد فيهما .

امير المؤمنين عمر وولاته :

وروى بن أبي حديد بسنده أن حذيفة قال لأمير المؤمنين عمر رضي
الله عنه : انك تستعين بالرجل الذي فيه ، وبعضهم يرويه بالرجل الفاجر ،

فقال استعمله لأستعين بقوته ، ثم أكون على قفانه (أى أتبع أمره وأستقصى عمله) .

وقد فسر أمير المؤمنين عمر عليه السلام ، السبب فى تركه بنى هاشم وعدم استعمالهم فى الولاية ، فقال لا أدنس هؤلاء بالعمل .

ومعروف أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، كان شديد المحاسبة لعماله وولائه ، وكانت له هيبه فيهم وفى الرعية كلها ، حتى قالوا : كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج .

ولقد كتب أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، لعمر بن العاص وهو واليه على مصر :

انكم معشر الأمراء ، أكلتم الأموال ، وأخذتم الى الأعداء ، فانما تاكلون النار ، وتورثون النار ، وقد رجعت اليك محمد بن مسلمة يشاطرك على ما فى يديك (أى بصادر نصف مالك) .

شهادة الامام على فى أمير المؤمنين عمر :

وحين جرى الى أمير المؤمنين عمر بجواهر كسرى ، ورآها قال مادحا لاعوانه ، ان فوما أدوا هذا لأمناء .

فقال له امامنا على : يا أمير المؤمنين : عفت فمفوا ، ولو رتعت لرتعوا . كما قال امامنا على مزكيا أمير المؤمنين عمر عند موته : ما أحد أحب الى أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى .

أمير المؤمنين عمر يتزوج أخت الامامين الحسن والحسين :

روى ابن أبى حديد بسنده عن الزبير بن بكار . قال : خطب عمر أم كلثوم بنت على عليه السلام ، فقال له انها صغيرة ، فقال زوجها يا أبا الحسن ، فانى أرصد من كرامتها مالا برصده أحد .

فقال ، أنا أبعثها اليك ، فان رضىتها زوجتكها فبعثها اليه ببرد ، وقال لها قولى هذا البرد الذى ذكرته لك ، فقالت له ذلك فقال ، قولى له فد رضىته رضى الله عنك .

ووضع أمير المؤمنين يده على ساقها ، فقالت له ، أتعمل هذا ، لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أهلك ، ثم جاءت أباهما فأخبرته الخبر ، وقالت بعثتى الى شيخ سوء ، قال مهلا يا بني ، انه زوجك .

فجاء عمر الى مجلس المهاجرين فى الروضة ، وكان يجلس فيها المهاجرون الأولون ، فقال رقتونى (أى هنتونى من قولهم بالرفاء والبنين).

قالوا بماذا يا أمير المؤمنين ، قال تزوجت أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كل سبب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى وصهرى) .

وأنت ترى من ذلك أن أمير المؤمنين عمر ، رضى الله عنه ، أراد أن يجمع الى مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (حيث كانت السيدة حفصة بنت عمر من أزواجه صلى الله عليه وسلم) النسب الكريم الذى يربطه بذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون له ترنان ، شرف من الصهر ، وشرف من النسب ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

حول اجتماع النبوة والخلافة :

أنت قرأت ما جاء فى وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين عليهما السلام من قوله :

« وانى والله ما أرى أن يجمع الله بينا أهل البب النبوة والخلافة . فلا أعرفك ما استخفك أهل الكوفة فأخرجوك » .

وقد يسيء ، البعض فهم هذا الكلام ، فيظن انه لا يجوز أن تجتمع النبوة والخلافة فى بنى هاشم ، فان وقع للبعض هذا الفهم كان بعيدا من الصواب ، ذلك بأن الله جمع لسيدنا داود عليه السلام النبوة والخلافة ، وكذلك جمعهما لسيدنا سليمان عليه السلام ، وقال تعالى فى آل ابراهيم عليهم السلام (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) .

وقد أدخل سيدنا عمر الامام عليا في الستة من أهل الشورى ، فلو كان يرى ذلك الفهم ما أدخله فيهم ، كما أن فضلاء المهاجرين والأنصار وأهل بدر بايعوا للامام علي بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان .

وواضح من ذلك أن الامام الحسن ، رأى بنور الله واستتجابا من معاكسات الظروف السياسية ، أن الله يريد أن يطهر آل البيت من حكم مجتمع أفسدته الدنيا ، فلم يكونوا أهلا لخلافة الراشدين ، ولو كان الامام الحسن يذهب لعذم الجواز ، ما أقر بيعة أيه ولا تولى الخلافة بعده نحو سبعة أشهر ، كما أن امامنا عليا ما كان يقبل الخلافة لو كان يعتقد أنه لا يجوز أن تجتمع لبني هاشم الخلافة مع النبوة .

وقد صحت فراسة الامام الحسن ، فقد خذل أهل العراق الامام الحسين ، كما خذلوا أباه وأخاه من قبله ، وقد تبين أهل العراق الرشد من النى بعد حين ، فندموا حيث لا ينفع الندم ، وبكوا أمير المؤمنين عليا وبنيه الى الأبد ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وكم لله من لطف خفى يدق خفاء عن فهم الذكى

السنة النبوية ومظاهر الملك :

جاء فى كتاب عبد الله بن الزبير للدكتور على حسنى الخربوطلى أن أهل المدينة كانوا يتمسكون بالسنة النبوية ، ولذا لم يرضوا بصبح الدولة الأموية بصبغة دنيوية زمنية ، واقتباس بعض النظم الرومانية .

واستفاد ابن الزبير من مظاهر الملك التى صبغت الدولة الأموية ، وكان معاوية أول من أقام الحرس ، والشرطة والبوابين فى الاسلام ، وأرعى الستور ، واستكتب النصارى ، ومشى بين يديه بالحراب ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، وجلس على السرير والناس تحته ، وجعل ديوان الخاتم ، وبنى وشيد البناء ، وسخر الناس فى البناء ، وكان معاوية يقول أنا أول الملوك .

أقول وصدق العلامة العقاد حين قال فى كتابه « عبقرية الامام » :

لم يكن معاوية زاهدا في الخلافة في عهد أبي بكر أو عمر أو عثمان، ولكن الخلافة كانت زاهدة فيه ، وقدما قال أبوه للعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى جيش المسلمين في فتح مكة : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما .

أهل الكوفة في وصف الامام الحسن :

جعل الناس ييكون عند خروج الامام الحسن من الكوفة ، فقيل له عليه السلام ، ما حملك على ما فعلت ، فقال : كرهت الدنيا ، ورأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحد أبدا الا غلب ، ليس منهم أحد يوافق آخر في رأى ولا هوى ، مختلفين . لانية لهم في خير ولا شر ، لقد لقي أبى منهم أمورا عظاما ، فليت شعري لمن يصلحون بعدي ، وهى أسرع البلاد خرابا

تمثيلية لبيعة يزيد في حياة الامام الحسن :

علمت مما تقدم أن الذى ألقى الى معاوية فكرة البيعة ليزيد هو المغيرة بن شعبة ، وأراد بذلك أن يشبه معاوية في ولاية الكوفة ، وكان هم بعزله وتولية سعيد بن العاص مكانه .

وطبعا صادفت فكرة المغيرة هوى في نفس معاوية ، فلما اجتمعت وفود الأمصار في دمشق ، وكان فيهم الأحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري فقال له : اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتى وكلامى ، فاستأذنى القيام ، فاذا أذنت لك ، فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذى يحق له عليك من حسن الثناء عليه ، ثم ادعنى الى توليته من بعدي ، فاني رأيت وأجمعت على توليته ، فأسال الله في ذلك وفي غيره حسن القضاء .

وهذا كما ترى املاء ارادة على الضحاك ، وكان صاحب شرطته .

ثم دعا معاوية عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ، وعبد الله بن مسعود الفزارى ، وثور بن معن السلمى ، وعبد الله بن عصام الأشعري ، فأمرهم أن يقوموا اذا فرغ الضحاك وأن يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد .

فلما فرغ معاوية من خطبته ، قاموا فنفذوا أمر معاوية ، ومدحوا
يزيد بما لبس فيه .

فقال معاوية : أوكلكم قد أجمع على هذا رأيه .

فقالوا : كلنا قد أجمع رأينا على ما ذكرنا .

قال : فإين الأحنف فاجابه ، قال الا تتكلم فقام الأحنف (أدرك
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وكان أحد الحكماء الدهاة ، وشهد
صنفيين مع أمير المؤمنين على) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أصلح الله أمير المؤمنين ، ان الناس قد امسكوا في منكر زمان قد
سلف ، وممروا زمان مؤتلف ، وبزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف .

وقد حلبت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين ، فاعرف من تسند اليه
الأمر من بعدك ، ثم اعص أمر من يأمرك ، لا يغررك من يشير عليك ولا
ينظر لك ، واثت أنظر للجباة وأعلم باستقامة الطاعة ، مع ان أهل الحجاز
أو أهل العراق لا يرضون بهذا ، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا .

فغضب الضحاك بن قيس واعترض على كلام الأحنف فقام الأحنف
مرة أخرى وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، انا قد فررنا عنك قريشا ، فوجدناك أكرمها زندا ،
وأشدّها عقدا ، وأوفاهها عهدا .

وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة ، ولم تظهر عليها قمصا ،
ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر
من بعدك ، فان تف فانت أهل الوفاء ، وإن تعذر تعلم .

والله ان وراء الحسن خيولا جيادا ، وأذرا شدادا ، وسيوفا
حدادا ، ان تدن له شيرا من غدر ، تجد وراءه باعا من نصر .

وانك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ، ولا أبغضوا عليا
وحسنا منذ أحبوها ، وما نزل عليهم في ذلك خبر من السماء .

وان السبوف التي شهروها عليك مع علي يوم صفين لعل عواتقهم :
والقلوب التي أبغضوك بها بين جوانحهم ، وايم الله ان الحسن لأحب الي
اهل العراق من علي .

فاعترض علي كلام الأحنف عبد الله بن عثمان الثقفي ، ووافق معاوية
ومدح يزيد بما ليس فيه ، فمن ذلك قوله :

فاذا خار الله لك فاعزم ، ثم اقطع قالة الكلام ، فان يزيد أعظماً حلماً
وعلماً ، وأوسعنا كنفاً ، وخيرنا سلفاً ، قد أحكمته التجارب ، وقصدت به
سبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف .

ثم هاجم الأحنف وعرض به قائلاً : ولا يقن بك دونها واقف ، بمن
هو شاسع عاص ، ينوص للفتنة كل مناص ، لسانه ملتو ، وفي صدره داء
دوى ، ان قال فشر قائل ، وان سكت فداء غائل .. الي آخر ما قال . فقام
معاوية فقال :

أيها الناس ، ان لا بليس من الناس اخوانا واخلانا ، بهم يستمدى ، واياهم
يستعين وعلى السبتهم ينطق ، ان رجوا طبعاً أوجفوا ، وان استغنى عنهم
أرجفوا ، ثم يلحقون الفتن بالفجور ، ويشققون لها حطب النفاق .

عبابون ، مرتابون ، ان لووا عروة أمر حنقوا ، وان دعوا الي غي
أسرفوا ، وليس أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ، ولا متمطين ، حتى تصيبهم
صواعق حمزى وييل ، وتعل بهم قسوارع أمر جليل ، تجتث أصولهم
كاجتثاث أصول النقم ، فأولى لأولئك ثم أولى ، فانا قد قدمنا وأنذرنا .
ان أغنى التقدم شئاً أو نفع النذر .

فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ، وترك المغيرة ، ودعا عبد
الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام أبو حنيف فقال :

ياأمير المؤمنين ، انا لانطبق السنة مضر وخطيها ، أنت يا أمير
المؤمنين ، فان هلكت فيزيد بعدك ، فمن أبي فهذا ، وسل سيفه .

فقال معاوية : أنت أخطب القوم وأكرمهم . ثم قام الأحنف بن قيس

فقال :

أنت أعلمنا بليله ونهاره ، وبسره وعلايته ، فإن كنت تعلم أنه شر لك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة ، فانه ليس لك من الآخرة الا ما طالب .

واعلم أنه لاجحة لك عند الله ان قدمت يزيد على الحسن والحسين ، وأنت تعلم من هما والى ما هما ، وانما علينا أن نقول : سمعنا وأطعناغفرالك ربنا واليك المصير .

أقول ، وقد علمت ما كان من معاوية مع أهل الحجاز ، وقد عارضه أبناء المهاجرين فى مواجهته بكل شجاعة وصراحة ولكن ادعى أنهم بايعوا وحصل الناس برهبة السيف والسلطان على تلك البيعة المشؤومة التى كانت شرا مستطيرا على الاسلام الى اليوم والى ماشاء الله تعالى .

بين الامام على وابى موسى الأشعري والامام الحسن :

قد يقول القارئ لماذا قال أمير المؤمنين على حين أشاروا عليه أصحابه فى أن يكون الحكم أبا موسى الأشعري ، انه ليس لى ثقة ، فهذا هو الجواب .

كان أبو موسى أميرا على الكوفة ، وقد سمعه الامام الحسن يثبط أهل الكوفة ، ويصرفهم عن القتال ، وهو عكس ما كان ينتظر منه فى مناصرة أمير المؤمنين ، واليك ما قال أبو موسى لهم :

انها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب .

فكونوا جرئومة من جرائم العرب ، فأغمدوا السيوف ، وأنصلوا الأسنة (أى ائزعوها) واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهدين حتى يلتئم هذا الأمر .

فرد عليه الامام الحسن قائلا :

يا أبا موسى ، لم تثبط الناس عنا ، فو الله ما أردنا الا الاصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء .

ثم خاطب الامام الحسن أهل الكوفة وحثهم على اجابة دعوة ابيه
أمير المؤمنين فقال :

يا أيها الناس أجيئوا دعوى أميركم ، وسيروا الى اخوانكم ، فانه
سيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه ، والله لأن يليه أولو النهى أمثل فى
العاجلة ، وخير فى العاقلة ، فاجيئوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به
وابتليتم .

وكان لهذا ، الكلام أثره فى النفوس ، ثم قال رضى الله عنه أيها
الناس ، انى غاد ، فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظهر ومن شاء
فليخرج فى الماء .

فخرج معه تسعة آلاف ، أما أبو موسى فأخرجه الناس من قصر
الامارة ، واعتزل الامارة بأمر أمير المؤمنين .

وصية أمير المؤمنين على لابنه الامام الحسن :

ونختم التمهات بوصية أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لابنه الامام
الحسن ، وليس أمير المؤمنين فى حاجة التقريظى أو تقرىظ غيرى ، فهو
غنى فى علمه وبلاغته عن التعريف والتقرىظ ، وشمس النهار لا تحتاج الى
دليل .

واليك نص الوصية منقولة من شرح نهج البلاغة لابن أبى حديد ،
وقد كتبها اليه بحاضرين عند انصرافه من صفين :

من الوالد الفانى ، المقر للزمان ، المدير العمر ، المستسلم للدهر ،
الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، الطاعن عنها غدا .

الى المولود المؤمل مالا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض
الأسقام ، ورهينة الأيام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر القرور ،
وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب
الآفات ، وصريع الشهوات وخليفة الأموات .

أما بعد ، فإن فيما تبينت من ادبار الدنيا عنى ، وجموح الدهر على ،
واقبال الآخرة الى ، ما يزغنى عن ذكر من سوى ، والاهتمام بما ورائى ،
غير أنى حيث تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى ، فصدقتى رأى
وصرفنى عن هواى ، وصرح لى محض أمرى ، فأفضى بى الى جد لا يكون
فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، وجدتك بعضى ، بل وجدتك كلنى ،
حتى كان شيئاً لو أصابك أصابنى ، فكان الموت لو أتاك أتانى ، فعنانى
من أمرى ما يعينى من أمر نفسى ، فكتبت اليك كتابى مستظهِراً به ، ان أنا
بقيت لك أو فنيت .

فانى أوصيك بتقوى الله — أى بنى — ولزوم أمره ، وعمارة قلبك
بذكره ، والاعتصام بحبله ، وأى سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ، ان
أنت أخذت به .

أحى قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوه باليقين ، ونوره
بالحكمة ، وذالته بذكر الموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ،
وحذره صولة الدهر ، وفحش تقلب الليالى والأيام ، واعرض عليه أخبار
الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين .

وسر فى ديارهم وآثارهم ، فانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا ،
فانك تجدهم انتقلوا عن الأحبة ، وحلوا دار الغربية ، وكانك عن قليل قد
صرت كأحدهم .

وأمر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر بيدك ولسانك ،
وبأين من فعله بجهدك ، وجاهد فى الله حق جهاده ، ولا تأخذك فى الله
لومة لائم .

وخض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه فى الدين ، وعود نفسك
التصبر على المكروه ، ونعم الخلق التصبر فى الحق .

والجىء نفسك فى أمورك كلها الى الهك ، فانك تلجئها الى كهف
حريز ، ومانع عزيز .

وأخلص في المسألة لربك ، فإن يئده العطاء والحرمان ، وأكثر
الاستخارة ، وتعلم وصيتي ، ولا تذهبن عنك صفتها ، فإن خير القول ما تمع .
واعلم أنه لا خير في علم لا ينفع ، ولا تنتفع بعلم لا يحق تعلمه .

أى بنى ، انى لما رأيتى قد بلغت سنا ، ورأيتى أزداد وهنا ، بادرت
بوصيتى اليك ، وأوردت خصالا منها قبل أن يعجل بى أجلى دون أن أفضى
اليك بما فى نفسى ، أو أن أقص فى رأى كما نصت فى جسمى ، أو
يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا ، فتكون كالصعب انفور .
وانما قلب الحدن كالأرض الخالية ، ما أتى فيها من تنه فيه .
فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويشغل لبك ، لتستقبل بجد رأيك
من الأمر ما عد كفاك أهل النجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد كتبت سورة
الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأناك من ذلك ما قد كنا نأبه ،
واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

أى بنى إنى وإن لم أكن عمرت عمر من كافى قبلى . فقد نقرت فى
أسمائهم . وفكرت فى أخبارهم ، وسرت فى آفأهم ، حتى عدت كأحدهم .
كانى بما اتى إلى من أمورهم ، قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم ، فعرفت
صفو ذلك من كدره ، ونعمه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر
جليله وتوخيخ لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله .

ورأيت حيث عنانى من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه
من أدبك ، أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ، ومقبل الدهر ، ذو نمة
سليمة ونفس صافية ، وأن ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله ،
وشرائع الاسلام وأحكامه ، وحلاله ، وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك أنى
غيره .

ثم أشفقت أن يتبس عليك ما اختلف الناس فيه ، من هواتهم
وآرائهم ، مثل الذى التبس عليهم ، فكان احكام ذلك على ما كرهت من
تبيهاك له ، أحب إلى من اسلامك إلى أمر لا آمن عليك به الهلكة ،
ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لتصدقك ، فهدى اليك
وصيتى هذه .

واعلم يا بنى ، أن أحب ما أنت آخذ به الى من وصيتى تهوى الله ،
والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من
آبائك والصالحون من أهل بيتك ، فانهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما
أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك الى الأخذ بما
عرفوا ، والأمسك عما لم يكلفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن
تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، لا يتورط الشبهات ،
وعلق الخصومات .

وابداً قبل نظرك فى ذلك بالاستعانة باللهك والرغبة اليه فى توفيقك ،
وترك كل شائبة أولجتك فى شبهة ، أو أسلستك الى ضلالة ، فإن أيقنت
أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك فى ذلك هما
واحداً ، فانظر فيما فسرت لك .

وان أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك ،
فاعلم أنك انما تخبط العشواء ، وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من
خبط أو خلط ، والأمسك عن ذلك أمثل ، فتفهم يا بنى وصيتى ، واعلم
أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وان الخالق هو المميت ، وأن المعنى هو
المعيد ، وأن المبتلى هو المعافى ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر الا على
ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء فى الميعاد ، أو ما شاء مما
لا تعلم ، فان أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك ، فانك أول ما
خلقت به جاهلاً ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه
رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك .

فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك ، فليكن له تعبدك ، واليه
رغبتك ، ومنه شفقتك ..

واعلم يا بنى ، أن أحداً لم ينبىء عن الله سبحانه كما أبا عنه نبينا
صلى الله عليه وسلم وآله ، فارض به رائداً ، والى النجاة قائداً ، فالى لم
ألك نصيحة ، وانك لن تبلغ فى النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظرى
لك .

واعلم يا بنى ، أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ، ولرايت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه اله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاذه فى ملكه أحد ، ولا يزول أبدا ولم يزل ، أول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء ، بلا نهاية ، عظم أن تثبت ربوبيته بأحاطة قلب أو بصر .

فإذا شرفت ذلك فافعل كما ينبى لملك أن يفعل فى صغر خطره ، وقلة مقدراته وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته الى ربه ، فى طلب طاعته ، والخشية من عقوبته ، والشفقة من سخطه ، فانه لم يأمرك الا بحسن ، ولم ينهك الا عن قبيح .

يا بنى انى قد أباتك عن الدنيا وحالها ، وزوالها وانتقالها ، وأباتك عن الآخرة وما أعد لأهلها ، وضربت لك فيهما الأمثال ، لتعتبر بها وتمحذو عليها .

الما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سمر ، با بهم منزل جديد ، فأموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا ، فأحتملوا وعشاء الطريق ، وفراق الصديق ، وخشونة السفر ، وجشوبة المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ، ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لذلك ألما ، ولا يرون تفقة فيه مفرما ، ولا شيء أحب اليهم مما قربهم الى منزلهم ، وأدأهم الى محلتهم .

ومثل من اغتربها ، كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب ، فنبأهم الى منزل جديد ، فليس شيء أكره اليهم ، ولا أفضح عندهم ، من مطارقة ما كانوا فيه ، الى ما يهجمون عليه ، ويصيرون اليه .

يا بنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، وأكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارضى من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع في كدحك ،
ولا تكن خازنا لغيرك ، وإن أنت هديت لقصدك ، فكن أخشع ماتكول
لربك .

واعلم أن أمامك طريقا إذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة ، وإنه لاغنى
بك فيه عن حسن الارتياح ، وقدر بلاغك من الزاد ، مع خفة الظهر ، فلا
تحملن فوق ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك ، وإذا وجدت
من أهل العاقبة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة ، فيوافقك به غدا حيث
تحتاج اليه فاعتنمه ، وحمله إياه ، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه ،
فلعلك تطلبه فلا تجده .

وافتم من استقرضك في حال غناك ، ليجعل قضاءه لك في يوم
عسرتك .

واعلم أن أمامك عقبة كؤودا ، المخف فيها أحسن حالا من المثقل ،
والمبطيء عليها أقبح حالا من المسرع ، وأن مهبطك بها لا معالة ، اما على
جنة أو على نار ، فارتد لنفسك قبل نزولك ، ووطيء المنزل قبل حلولك ،
فليس بعد الموت مستجب ، ولا الى الدنيا منصرف .

واعلم أن الذى بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك فى
الدعاء ، وتكفل لك بالإجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترحه
ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجب عنه ، ولم يلجئك الى من
يشفع لك اليه ، ولم يمنعك ان أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ،
ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ، ولم يشدد عليك فى قبول الانابة ،
ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يونسك من الرخمة ، بل جعل نزوعك عن
الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك عشرة .

وفتح لك باب المتاب ، وباب الاستعتاب ، فاذا ناديتك سمع . نداءك ،
وتأجبتك علم لجوالك ، فأفضيت اليه بعاجتك ، وأبنتته ذات نفسك ،
وشكوت اليه همومك ، واستكشفته كربك ، واستعتت على أمورك ،
وسألتك من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره ، من زيادة الأعمار
وصحة الأبدان ، وسعة الأرواق .

ثم جعل فى يدك مفاتيح خزائنه ، بما أذن لك فيه من مسأته ،
فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته ، واستطردت شأبيب رحمته ،
فلا يقنطنك إبطاء إجابته ، فإن العطية على قدر النية ، وربما أخرت عنك
الإجابة ، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الأمل .

وربما سألت الشيء فلا تؤتاه ، وأوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا ، أو
صرف عنك لما هو خير لك ، فلو لم ير أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو
أوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، وينفى عنك وباله ، فالله مال
لا يبقى لك ولا تبقى له .

واعلم يا بنى أنك خلقت للأخرة لا للدنيا ، وللفناء لا للبقاء ، وللموت
لا للحياة ، وأنت فى منزل قلعة ، ودار بلغة ، وطريق الى الآخرة ، وأنت
طريد الموت الذى لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه ، ولا يد أنه مدركه
فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك
منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك ، فإذا أنت أهلكت نفسك .

يا بنى أكثر من ذكر الموت ، وذكر ما تهجم عليه ، وتفضى بعد الموت
إليه ، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرک ، وشددت له أزرک ، ولا يأتیک بغتة
فيبهرك .

واياك أن تغتر بما ترى من اخلاص أهل الدنيا إليها ، وتكالبهم عليها ،
لقد نبأك الله عنها ، ونعتت هى لك نفسها ، وتكشفت لك عن مساوئها ،
فإنما أهلها كلاب عاوية ، وسباع ضارية ، يهر بعضها على بعض ، ويأكل
عزیزها ذليلها ، ويقهر كبيرها صغيرها ، نعم معقله ، وأخرى مهملة ، قد
أضلت عقولها ، وركبت مجهولها ، سروح عاهة بواد وعت ، ليس لها
راع يقيمها ، ولا مسيم يسيما .

سلكت بهم الدنيا سبيل العمى ، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى ،
فتأهروا فى حيرتها ، وغرقوا فى نعمتها ، واتخذوها ربا فلعبت بهم ، ولعبوا
بها ، ونسوا ما وراءها ، رويدا يسفر الظلام ، كأن قد وردت الأظمان ،
يوشك من أسرع أن يلحق .

واعلم يا بنى أن من كانت مطيته الليل والنهار ، فإنه يسار به وإن كان واقفا ، ويقطع المسافة وإن كان مقيما. وادعنا .

واعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك ، ولن تمدو أجلك ، وأنت في سبيل من كان قبلك .

فخفض في الطلب ، وأجمل في المكتسب ، فإنه رب طلب قد جر إلى حرب ، وليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم .

وأكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقنتك إلى الرغائب ، فإنك لن تعترض بها تبذل من نفسك عوضا ، ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرا ، وما خير لا ينال إلا بشر ، ويسر لا ينال إلا بعسر .

واياك أن توجف بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل الهلكة ، وإن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فإنك مدرك قسمك ، وآخذ سهمك ، وإن اليسير من الله سبحانه ، أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وإن كان كل منه .

وتلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر من ادراكك ما فات من منطقتك ، وحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء ، وحفظ ما في يديك أحب إلى من طلب ما في يدي غيرك ، ومرارة اليأس ، خير من الطلب إلى الناس ، والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره ، ورب ساع فيما يضره ، من أكثر أهجر ، ومن تفكر أبصر .

قارن أهل الخير تكن منهم ، وبأهل الشر تبين عنهم ، بشس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، إذا كان الرفق خرقا ، كان الخرق رفقا ، ربما كان الدواء داء ، والداء دواء ، وربما فصيح غير الناصح ، وغش المستصحب .

واياك والاتكال على المنى ، فإنها بضائع النوكى ، والعقل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك .

بادر الفرصة قبل ان تكون غصّة ، ليس كل طالب يصيب ، ولا كل
غائب يتوب ، ومن الفساد اضاءة الزاد ، ومفسدة المعاد ، ولكل أمر
عاقبة ، سوف ياتيك ما قدر لك ، التاجر مخاطر ، ورب يسير أنى من
كثير .

لا خيز في معين مهين ، ولا في صديق ظنين ، ساهل الدهر ما ذل
لك قعوده ، ولا تنظر بشيء رجاء أكثر منه ، واياك أن تجمع بك مطية
اللجاج .

احمل نفسك من أخيك عند صرمة على الصلة ، وعند صدوده على
اللطف والمقاربة ، وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدفوف ،
وعند شدته على اللين ، وعند جرمه على العذر ، حتى كأنك له عبد ، وكأنه
ذو نعمة عليك ، واياك ان تضع ذلك في غير موضعه ، او ان تفعله بغير
أهله .

لا تتخذن عدو صديقك صديقا ، فتعادي صديقك ، وامحض أخاك
النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة ، وتجرح الغيظ ، فاني لم أر جرعة
أحلى منها عاقبة ، ولا أذ مغبة .

ولن لمن غالطك ، فانه يوشك أن يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل
فانه أحد الظفرين ، وان أردت قطيعة أخيك ، فاستبق له من نفسك بقية
يرجع اليها ، ان بدا له ذلك يوما ما .

ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما
بينك وبينه ، فانه ليس لك بأخ من أضعت حقه .

ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، ولا ترغبن فيمن زهد عنك ، ولا
يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ، ولا تكونن على
الاساءة أقوى منك على الاحسان ، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فانه
يسمى في مضرته ونفعك ، وليس جزاء من سرك ان تسوءه .

واظلم يابنى أن الرزق رزقان ، رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فان أنت
لم تأته اتاك .

ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند التنى ، انما لك من
دياك ما أسلحت به مثواك ، وان كنت جازعا على ما تفلت من يديك ،
فاجزع على كل ما لم يصل اليك .

استدل على ما لم يكن بما قد كان ، فان الأمور أشباه ، ولا تكون
ممن لا تنفعه العظة ، الا اذا بالغت فى ايلامه ، فان العاقل يتعظ بالآداب ،
والبهائم لا تتعظ الا بالضرب .

اطرح عنك واردة الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين .

من ترك القصد جار ، والصاحب مناسب ، والصديق من صدق
غيبه ، والهوى شريك العسى ، ورب بعيد أقرب من قريب ، وقريب أبعد
من بعيد ، والغريب من لم يكن له حبيب .

من تعدى الحق ضاق مذهبه ، ومن اقتصر على قدره كان أبقى له ،
وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه ، ومن لم يبالك فهو
عدوك .

قد يكون اليأس ادراكا ، اذا كان الطمع هلاكا ، ليس كل عورة
تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما اخطأ البصير قصده ، وأصاب الاعمى
رشده .

آخر الشر ، فانك اذا شئت تمجته ، وقطيعة الجاهل ، تمدل صلة
العاقل .

من أمن الزمان خاله ، ومن أعظمه أهانه .

ليس كل من رمى أصاب .

اذا تغير السلطان ، تغير الزمان .

سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار .

اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا ، وان حكيت ذلك عن
غيرك ، واياك ومشاورة النباء ، فان رأيهم الى أفن ، وعزمهم الى وهن
واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب أبقي

عليهن ، وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن ، واذ استطعت الا يعرفن غيرك فافعل .

ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فان المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها في ان تشفع لغيرها .

واياك والتغاير في غير موضع غيرة ، فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم ، والبريئة الى الريب .

واجمل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به ، فانه احرى الا يتواكلوا في خدمتك .

واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير ، وأصلك الذي اليه تصير ، ويدك التي بها تصول .

استودع الله دينك ودنياك ، واسأله خير القضاء لك في العاجلة والأجلة والدنيا والآخرة والسلام .

وتلك الوصية هي مسك الختام .

(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

الفهرس

مقدمة ٥

الباب الأول تاريخه الشخصى

| | |
|----|----------------------|
| ٩٩ | نسب الامام الحسن |
| ٣٩ | مناقبه |
| ٤٤ | علمه |
| ٥٠ | جهاده |
| ٥٢ | ازواجه وأولاده |
| ٦٩ | وفاته |
| ٧٥ | من حكمه رضى الله عنه |

الباب الثانى تاريخه السياسى

| | |
|-----|---------------------------|
| ٨١ | كيف بويع الامام على |
| ٨٩ | الخلافة والملك |
| ٩٨ | فتنة الخوارج |
| ١٠٢ | بيعة الامام الحسن |
| ١٢١ | تنازله لماوية وكتاب الصلح |

الباب الثالث التميمات

| | |
|-----|---------------------------------|
| ١٧٢ | الموتورون من الامام على |
| ١٧٥ | حول اجتماع النبوة والخلافة |
| ١٧٦ | السنة النبوية ومظاهر الملك |
| ١٧٧ | اهل الكوفة فى وصف الامام الحسين |
| ١٨١ | وصية الامام على لابنه الحسن |

مراجع الكتاب

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| القرآن الكريم | |
| كتب السنة | |
| تفسير القرطبي | .. للإمام القرطبي |
| تفسير الألوسي | .. للإمام الألوسي |
| تاريخ الأمم | .. لابن جرير الطبري |
| مقاتل الطالبيين | .. لأبي الفرج الأصفهاني |
| الكامل | .. لابن الأثير |
| مطالب السؤل | .. لابن أبي طلحة القرشي |
| الأغانى | .. لأبي الفرج الأصفهاني |
| سرح نهج البلاغة | .. لابن أبي حديد |
| الإصابة | .. لابن حجر |
| الاستيعاب | .. لابن عبد البر |
| مروح الذهب | .. للمسعودي |
| الإمامة والسياسة | .. لابن قتيبة |
| الطبقات الكبرى | .. للإمام الشعرائي |
| عقبه الإمام | .. للعقاد |
| عثمان ذو النورين | .. للعقاد |
| الفتنة الكبرى | .. لعميد الأدب العربي |
| علي وبنوه | .. لعميد الأدب العربي |
| الإمام زين العابدين | .. للشهيد أحمد فهمي |

| | |
|--------------------------------|--------------------------------------|
| كريمة الدارين | للشيخ احمد فهى |
| المقيلة الطاهرة | للشيخ احمد فهى |
| الحسن والحسين | للاستاذ محمد رضا |
| آل بيت رسول الله | للاستاذين كامل البنا وتوفيق عريه |
| الحسين | للمستشار على الحسينى |
| نور الحى القيوم | للاستاذ احمد عبد المنعم الحلوانى |
| السمو الروحى | للاستاذ احمد عبد المنعم الحلوانى |
| عبد الله بن الزبير | للدكتور حسنى الخربوطلى |
| فلسفة اقبال | للاستاذين الصاوى شعلان ومحمد الاعظمى |
| تاريخ الامم الاسلامية | للشيخ الخضرى |
| دائرة المعارف الاسلامية | ... |
| مجلة منبر الاسلام | ... |
| فاطمة الزهراء | للاستاذ عطية خميس الحامى |
| نور الابصار | للشيخ الشبلنجى |
| شرح ورد سحر | للعارف عمر الشبراوى |
| الامام الحسين بن على | للمؤلف |

مطبع الأهرام التجارية - القويه - مصر

To: www.al-mostafa.com